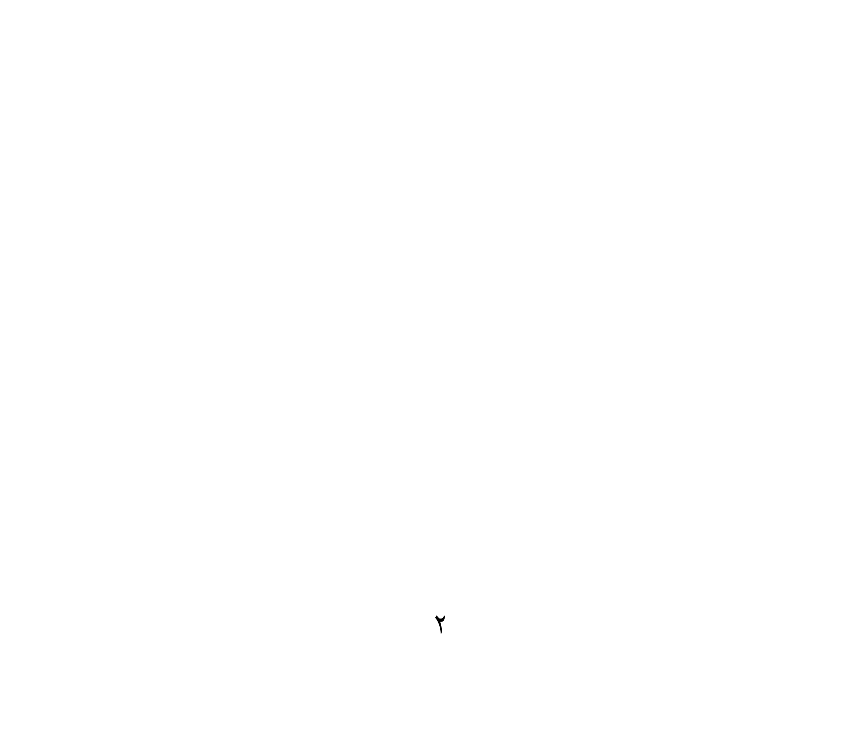

رحلتي مع رسائل النور





إحسان قاسم الصالحي

إسطنبول ٢٠١٦

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/١٠/٤٩٩٨)

٩٢٠.٧١
الصالحي، إحسان قاسم
رحلتي مع رسائل النور/ إحسان قاسم الصالحي. _ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
(٢٩٦) ص
ر.أ.: (٤٩٩٨/ ١٠/ ٢٠١٦).
الواصفات: / السيرة الذاتية/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ٥-٤٢٩-٧٧-٩٩٥٧-٩٧٨ ISBN

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com



بين يدي الكتاب

اخي القارئ العزيز!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن هذا الكتاب الذي بين يديك ليس كتاب ذكريات ولا مذكرات، ولا كتاب تاريخ يسرد الحوادث سردًا. فلا تحاول أن تقرأه بهذا المنظار.

وليس هو كتابًا سطّرت عباراته نتيجة هوىً في الكتابة ورغبة في النشر ونيل الصيت. كلا.. لا هذا ولا ذاك.

فأنا أصارحك لأني أخشى أن تنتظر من الكتاب ما في خيالك، ثم تخرج منه خاوي الوفاض.

كل ما في الأمر أن إخوة أعزاء لهم أفضال عليّ ومنزلة في قلبي كانوا يصرون عليّ إصرارًا شديدًا وباستمرار ومنذ سنين خلت، أن أسجل ما شاهدت وما سمعت في أثناء مسيرة حياتي ولا سيما في أثناء ترجمة رسائل النور وما أعقبها من زيارات شتى، تحت أسماء مختلفة كالمؤتمرات والندوات والملتقيات وغيرها.. وكنت أرفض كتابة أي شيء من هذا القبيل، لما كنت أخشاه من أن يُحمل كلامي على الشهرة والصيت، ذلك الداء الوبيل الماحق لكل خير وبركة، لأن كثيرًا من الناس يرون السبب ويسندون إليه الفضل، دون أن يرفعوا أبصارهم إلى

مسبِّب الأسباب الذي بيده مقاليد الأمور كلها من الذرات إلى المجرات.

فكل ما تجده يا أخي القارئ من خير وجمال في هذا الكتاب ليس إلّا من المنعم الحقيقي الواحد الأحد سبحانه، وكل ما فيه من تقصير ونقص فهو مني ليس إلّا.

ولكن يبدو أن المشيب أخذ مني مأخذه، فأصبحتُ لا أستطيع المقاومة؛ أقصد ردّهم وإحباط مسعاهم. وأقنعوني أن هذا معلوم لدى قراء هذا النمط من الكتابة، وواضح لديهم فلا داعي إلى التذكير. فلا خوف إذًا من تسرب الرياء وتسلل الشهرة إلى الأذهان. فالخير كله موكول إليه تعالى والقصور والسيئات من عندنا.

وعند ذلك قلت: "بسم الله" وبدأت أسجل لنفسي لا لغيري ما ظل في ذاكرتي التي ظننت أنها كلّت وفقدت حدّتها، من حوارات وما جرى في اللقاءات من كلام أو أحداث، وقد أحسست أن الخواطر والأحداث تتسابق في الخروج من أكمامها، فشرعتُ بكتابة ما خطر لي وما جمعته من بعض ما أعتزّ به من رسائل ووثائق، ويسّر المولى الكريم الوقت الكافي للكتابة، فكان هذا الذي بين أيديك. فأرجو منك ومن ذوي الهمم أن يكملوا ما فاتني ويتداركوا ما غاب عني.

ولكن لا أخفيك أخي القارئ سرًا، وهو أن ما كتبتُه غيضٌ من فيض وما هو إلّا ما رأيتُه وسمعته وعشته صدقًا وحقيقة؛ والصدق له وقعه الخاص في القلوب النابضة بالحياة، والحقيقة لا تتخذ موضعًا لها إلّا في صميم القلب. وحاولت قدر الإمكان أن أتحاشى الإطناب في أمور لا تهم القارئ الكريم. بل صرفت نظري حتى عن أمور جليلة جرت في

مسيرة الحياة من خلال ما رأيت وما سمعت، وقلت إن لهذا مجالا آخر في كتاب آخر وثائقي مستقل، خوفًا من أن يطول الكلام هنا على القارئ الكريم فيملّ.

فاقرأ هذا الكتاب كأنه رسالة من أخ يعزّك ولا يرجو منك إلّا دعاءً خالصًا بظهر الغيب. فلعل الله تعالى يفتح عليك في أثناء قراءتك من أبواب الخير ما يكون لنا نصيب من بركاته.

ولكن أرجوك أن تقرأه على مكث وبإمعان وإنعام نظر. وتغض الطرف عن أخطاء ربما وقعت فيها من دون قصد؛ على وفق القاعدة الأساس: خذ ما صفا ودع ما كدر.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حُسن القصد وصحة الفهم
وصواب القول وسداد العمل.
وصلِّ اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إحسان قاسم الصالحي
إسطنبول
في شباط ٢٠١٦م

* * *

الجو العائلي

أنا: إحسان.

والدي: قاسم بن مصطفى الصالحي.

ولدت في كركوك، العراق سنة ١٩٣٧م.[١]

كان والدي كل شيء في حياتنا العائلية، نكنّ له حبًا لا يوصف. وقورٌ مهيب شفيق نشعر بدفء شفقته دومًا، لم يكن يختلط معنا كثيرًا، يتناول وجبات طعامه منفردًا. ملَك علينا مشاعرنا. وانتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٩٦٤/٦/٣م عن عمر ناهز الخامسة والسبعين.

كان عالمًا بالعربية بفروعها كافة من أدب ونحو وبلاغة وغيرها.. وكان يجمعنا على الموقد ليالي الشتاء ويسرد لنا بعض الحكايات، لم نكن نفهم كثيرًا كنه تلك الحكايات في وقتها إلى أن كبرنا وأدركنا الحكمة والمغزى منها.

أذكر واحدة منها ظلت في ذاكرتي، قال:

كان في مدينة كركوك عالم جليل ربما لا مثيل له. ولم يكن يملك

---

(١) هذه سنة ولادتي الحقيقية، ولكن استبدلت بقرار المحكمة إلى ١٩٣٦ لغرض قبولي في الجامعة.

من حطام الدنيا شيئًا. وكان يقضي حياته في غرفة مسجد من المساجد. دارت الأيام وأُخرج من غرفته في المسجد، ولم يعرف إلى أين يذهب، فأخذ كتبه في صندوق صغير معه. وشاهده الناس في السوق وهو يصيح بصوت عال: " نابْمْ" (التي تعني بالكردية: لن أكون).. ومرت الأيام فسأله بعض معارفه: عما كان يقول في السوق؟ فأجابهم: تراءت لي آنذاك صورة "حماو" المحتال الذي كان يبتز أموال الناس بشتى الطرق، فأصبح غنيًا له من البيوت ما له. فكأن هاتفًا يقول لي: كن مثله نعطك! فأنا أقول: لن أكون.

هذه الحكاية جعلتنا أنا وإخوتي نقول: لن أكون! لكل الأحزاب الدنيوية على مختلف أسمائها في العراق إلى يومنا هذا.

ومن الحكايات التي حفظناها من أيام الطفولة من والدي ولكن لم أفقه كنهها إلّا بعد فهم رسائل النور؛ هي: أن الأسباب لا تعمل بنفسها، فالطلب يكون من مسبِّب الأسباب؛ ورغم أن الحكاية تروى عن بني إسرائيل إلّا أنها عميقة في حكمتها ودلالتها ولا سيما ممن أُشربوا في المدارس أن الأسباب هي الفاعلة المدبرة من دون أن يرد إلى أذهانهم أن مسبِّب الأسباب هو رب العالمين.

طلب بنو إسرائيل من سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام أن يدعو الرب سبحانه بأن يجعل السنابل بقامة الرجال، فدعا سيدنا موسى الرب سبحانه. فلما نمت السنابل وازدهرت أقاموا الأفراح والاحتفالات، حتى إذا جاؤوا للحصاد وجدوها سنابل خاوية بلا حب، فرفعوا أصواتهم بالاحتجاج على سيدنا موسى ليدعو الرب سبحانه، فقال الرب سبحانه:

أنتم تصورتم الرزق في السنابل فطلبتم أن تكون السنابل بقامة الرجال، ولم تطلبوا البركة في الرزق، فكان الحصاد كما وجدتم.

لم نسمع يومًا من أبينا تأنيبًا أو تقريعًا أو شيئًا من هذا القبيل على ما نقوم به من تصرفات صبيانية غير لائقة أو معيبة؛ وإنما كانت تربيته لنا إيحاءً بكونه قدوة لنا، وكل ذلك يتم في مناخ المحبة والشفقة الغامرتين. فتأصل ما أراده منا في نفوسنا حتى أصبح جزءًا لا يتجزأ منا؛ فمثلًا: الوفاء واحترام الكبير والشفقة على الخلق ومحبة العلم وطلبه بكثرة القراءة، وعفة النظر وطهر اللسان.. كل ذلك وأمثاله اكتسبناه بالقدوة من دون أن يسوقنا إليه بقدسية الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة.

وكان حريصًا على اقتناء مجلة "الرسالة لأحمد حسن الزيات" و"الثقافة لأحمد أمين" وكذا "الهلال"، دون روايات الهلال، وقد نبّهنا أن فيها الدس والكذب الفاضح.

وكنا نقرأ هذه المجلات أو بالأحرى نتصفحها، وكنت أنا أقرأ عناوين المقالات وأتعرف على كتّابها، فتربينا على محبة أسماء أمثال: علي الطنطاوي، والرافعي، والعقاد، وطه حسين، الذي ما كان الوالد يحبه. ولكن كتبه كانت في مكتبته مثل: الأيام، والفتنة الكبرى وغيرها.

ومما ذكره لنا عن علي الطنطاوي أنه قال: كان مدرسًا معنا أتى مع أساتذة سوريين للتدريس؛ ولما سأله أحدهم سؤالا أجابه: وهل يُفتى ومالك في المدينة؟ مشيرًا إليّ. وذلك أنه استشارني يومًا في زيارة الشيخ الفلاني: قلت له لا تذهب. وعندما رجع قال: ندمت إذ لم آخذ بمشورتك، إنه جاهل حقًا.

وقد حفظنا أسماء شعراء لا نعرف إلّا أسماءهم؛ أمثال المتنبي وابن الرومي والبحتري وبشار بن برد وامرئ القيس وغيرهم.

أما والدتي فقد كانت مريضة طوال حياتها، وكانت تقول: إن هذا المرض هديةٌ من الله وإكرامٌ منه إليّ، وما كانت لها غير التسبيحات والصلاة. حتى إنني صليت أول صلاة معها. ولشدة ورعها الفطري ما كانت تنظر إلى الساعة المثبتة على الحائط بعدما ألصقنا على طرفيها أنا وأخي ما كان يوزع مجانًا في سني الحرب العالمية الثانية من صور كبيرة لملك بريطانيا وزوجته، فكانت تسألنا: كم الساعة؟ ثم رفعنا الصورتين فعادت تنظر بنفسها إلى الساعة. وظلت على أذكارها إلى أن توفاها الله وتغمدها برحمته وهي ساجدة في صلاة الظهر في ٥/٨/ ١٩٦٨م.

وأختي الكبيرة هي التي ربّتنا منذ الصغر، وغدت لنا بمثابة الوالدة الشفيقة، فلقد ضحت بحياتها في تربيتنا وتنشئتنا، بل بتربية أولادنا وتنشئتهم كذلك. ومازال صوتها يرن بأذني وهي تصرخ من خوفها عليّ: إحسان.. إحسان.. وتأتي إليّ لتضمني إليها، كنت يومها طفلًا بين الثالثة والرابعة، وكنت نائمًا في غرفة أخرى؛ عندما أتت طائرة في وضح النهار إلى سماء كركوك وكانت منخفضة أرهب صوتُها الناس كلهم. فكان ذلك سبب خوفها عليّ. ربما كان ذلك أيام رشيد عالي الكيلاني[(١)] وخلال أيام الحرب العالمية الثانية. توفاها الله في ١/٤/١٩٨٠م تغمدها الله برحمته.

---

(١) (١٨٩٢-١٩٦٥) سياسي عراقي شغل منصب رئيس الوزراء ثلاث مرات أثناء العهد الملكي في العراق حيث كان رئيساً للوزراء في الأعوام ١٩٣٣، ١٩٤٠، ١٩٤١. واشتهر الكيلاني بمناهضته للإنكليز .

أما أخي الأكبر هاشم (مواليد ١٩٢٧م) فكان يأتي إلينا بجرائد ومجلات تركية عامة ومجلات الكاريكاتور التي كانت تصل إلى كركوك بالبريد، ولكثرة شغفه بالأدب التركي أصبح أديبًا وطُبعت له عدة كتب من القصص القصيرة. انتقل إلى رحمة الله تعالى في ٦/١٥/ ٢٠١٥م عن ثمان وثمانين عامًا.

وكان صاحب مكتبة في كركوك يأتي بكتب تركية عثمانية. فكنا نشتري بعضها بأرخص الأثمان. فبدأنا نقرأ روايات لحسين رحمي ورشاد نوري ويعقوب قدري وغيرهم.

ولما بلغ أخي الكبير صباح (مواليد ١٩٣٣م) مرحلة الثانوية بدأ يراسل القاص المشهور محمود تيمور الذي كان يرسل له الجديد من كتبه هدية وعليها عبارات أدبية؛ ومن هذه الكتب: سلوى في مهب الريح وحواء الخالدة، وعطر ودخان. وغيرها.

وأخي الأصغر مني نجدت (مواليد ١٩٤٦م) كان أستاذًا في الجامعة المستنصرية، مختصًا في التربية. اختطفه الإرهابيون في أحداث العراق في (١٩رمضان ١٤٢٧هـ) ثم استشهد في العشر الأواخر (٢٥ رمضان الموافق ١٦ /١٠ /٢٠٠٦م)، ورمي بجثمانه في الشارع. كان أديبًا وضليعا في اختصاصه.

أرسلت إليه هدية زهيدة جدًا أثناء الحصار الاقتصادي على العراق، فأرسل إليّ العبارات الآتية:

"إلى إحسان!

مَن قصُرت يدُه بالمكافأة امتدّ لسانُه بالشكر. الشكر الوافر على

قطرات الغيث التي سقطت على الصعيد البلقع. متّعك الله بمزيد من العمر موصول بفرائضه من الشكر، وأنْ لا يتمّ عليكم حقَّ نعمةٍ حتى يجدد لكم أخرى. آمين".

والخلاصة استنشقنا هذا الجو الذي نشأنا فيه داخل البيت؛ من أدب وثقافة وشفقة، علمًا أن كثيرين من أمثالنا كان يعمهم ظلام الجهل والقسوة.

أما خارج البيت فما كان لنا إليه سبيل إلّا أيام العيد نخرج للشوارع الكبيرة... وهكذا.

* * *

ما قبل الجامعة وما بعدها

الولع بالخط العربي

كنت ولوعًا بالخط العربي مذ كنت طالبًا في المرحلة الدراسية المتوسطة، وربما كان هذا وراثيًا لأن والدي وإخوتي كلهم كانوا من ذوي الخط الجميل. فكنت أقتني خطوط الشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي (ت ١٩٣٦م) التي كانت تباع بأثمان زهيدة.

ولما سافرت إلى بغداد اتصلت بالخطاط صبري بن مهدي الهلالي (ت١٩٥٣م) وهو خطاط البلاط الملكي، وكانت خطوطه على كتب المطالعة العربية جاذبة.

ثم ذهبت إلى محل عمل الخطاط هاشم محمد البغدادي (ت١٩٧٣م) فرحّب بي كثيرًا. وبدأت أتردد إليه يوميًا حتى في عزّ الحرّ وأجلس في مقر عمله ساعات طوالا دون ملل وأنا أتصفح الخطوط التي جمعها لمشاهير الخطاطين. وتوثقت العلاقة بيننا إلى حد أنه أعطاني قصاصات من الجرائد التركية المكتوبة حول الخط بقلم الدكتور سهيل أونوَر (ت ١٩٦٨م) لأترجمها له وأنا في تلك المرحلة ما كنت أجيد حتى الكلام الفصيح. وعلى كل حال استجبت لطلبه، ثم أتاني أخي الأكبر من إسطنبول بالنسخة الأصلية لكراسة درويش علي

(ت١٦٧٣م) -الذي تتلمذ عليه الخطاط حافظ عثمان- فأرسلتها إليه، وبعث إليّ رسالة باستلامها وبخط جميل كنت أحتفظ بها.

ولعل الله سبحانه وتعالى قد حفظني من كثير من الخطايا والذنوب والنظر الحرام بشغفي بهذا الخط، إذ أتذكر جيدا أنني عندما كنت أذهب مع الأصدقاء إلى بغداد كنت أنظر من دونهم إلى اللوحات الموجودة على الحوانيت والمحلات.

وعندما أتينا مع الأخ عابدين رشيد أحمد[1] إلى تركيا اصطحبَنا الأخ الكبير محمد فرنجي[2] لعيادة الخطاط حامد الآمدي الذي كان طريح الفراش (ت١٩٨٢م) وأخذ يتبادل معنا الحديث حول البطاقات الشخصية التي عملها لرجالات العراق.

وعندما باشرنا بفضل الله بطبع الرسائل تعرفنا إلى الخطاط مهدي الجبوري (ت٢٠١٥ م) في مكتبه الكائن في شارع الرشيد ببغداد. وكتب لنا كثيرًا من عناوين رسائل النور، وكذا الأمر مع الخطاط علي حامد الراوي (ت٢٠١١م) بالموصل.

وإلى الآن لا يفارقني هذا الشغف بالخط الجميل. وبعكسه أتألم نفسيًا عندما أشاهد خطًا على غير القواعد المثبتة للخط.

---

(١) من مواليد ١٩٣٧ بكركوك عمل بالتعليم لحين أحيل على التقاعد، له مؤلفات منها: في محراب القلم، رجل وكتاب، رجل من مدينتنا سليمان القابلي.

(٢) من مواليد عام ١٩٢٨م في إحدى القرى التابعة لقضاء (اينَكول)- ولاية (بورصة). ممن شاهد الأستاذ النورسي وساهم في نشر رسائل النور وتعريف العالم الخارجي بها.

التوجه نحو الإيمان

درّسَنا في مرحلة الثانوية الأستاذ (عابد توفيق الهاشمي)[1] اللغة العربية عدة سنوات في بداية الخمسينات، وله الفضل علينا بعد الله تعالى في ترسيخ محبة الإسلام والصحابة الكرام رضي الله عنهم فينا، وذلك بما كان يذكر في ثنايا الدرس من أخبارهم وبطولاتهم من أمثال عمار بن ياسر وقصة الثلاثة المخلفين وغيرها.. وهو الذي علّمنا كيفية أداء الصلاة وأهميتها. جزاه الله عنا خير الجزاء.

وبعد النصف الأول من السنة الدراسية الجامعية ١٩٥٣-١٩٥٤م، دعاني زميلي في الصف عبد الجبار المفتي إلى درس إسلامي، عرفت فيما بعد أنه دعاني لجماعة الإخوان، فاستجبت لطلبه واستمر الأمر على هذا المنوال فتعرفت على بعض كتب الإخوان وشخصياتهم. وفي السنة التي بعدها لازمني الأخ صبحي محي الدين الداودي[2] وأصبحنا لا يفارق أحدنا الآخر حتى أواسط السبعينات.

وحيث إن الدراسة القيمة التي نالت بها الأخت الفاضلة "إيمان عبد الحميد الدباغ" شهادة الدكتوراه بعنوان "الإخوان المسلمون في العراق" وطبعت في دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن،٢٠١١. قد ذكرت عن

---

(١) من مواليد ١٩٣٠م الموصل، دكتور في العقيدة والأديان، بلغت كتبه المؤلفة أكثر من مئة كتاب. تولى مناصب إدارية عديدة منها عمادة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد. وترأس جمعية الأماني الثقافية في أوائل الستينات من القرن المنصرم.

(٢) من مواليد ١٩٣٣م كركوك، تخرج من قسم الفيزياء، من أوائل الإخوان في كركوك، من مؤلفاته: (في محراب الدعوة) و(شيخ دعاة كركوك سليمان محمد أمين القابلي). يقيم الآن في أربيل.

تلك الفترة بتفصيل مستندة على الشهود والوثائق، فقد أغنتنا عن التكرار، وجزاها الله عنا خيرًا.

وقد تعرّفت على كتب الإخوان ورسائل الإمام حسن البنا (استشهد ١٩٤٩م) ومجلة لواء الإسلام وفيها محمد أبو زهرة وغيرهم، وكتب محمد يوسف موسى وأمثاله، وتتبعت مقالات سيد قطب (استشهد ١٩٦٦م) - قبل الظلال- في مجلة "المسلمون" لسعيد رمضان التي كانت تصدر في مصر. ثم جُمعت هذه المقالات فظهرت في ظلال القرآن بشكل أجزاء، كل جزء لجزء من القرآن الكريم. فكنت انتظر بفارغ الصبر متى سيأتي الجزء التالي. كان الطابع الأدبي غالبًا عليه. ولكن لما أجرى التنقيح عليه من البداية -في السجن- أصبح طابعه دعويًا. وسار على هذا النهج إلى أن أكمل الظلال وكتب المقدمة ورزقه الله تعالى الشهادة.

وفي مرحلة ما قبل الجامعة وما بعدها قرأت للعقاد وبنت الشاطئ ومحمد الغزالي وعلي الطنطاوي والدكتور البوطي وكتب الأستاذ المودودي وأبي الحسن الندوي وحياة الصحابة للكاندهلوي وغيرهم. والحمد لله على أفضاله.

فكنت أتتبع مع الأخ نشأة عبدالغفور(١) كتب ومقالات محمد أبو زهرة ومحمد يوسف موسى. ومع نجم الدين علي مردان(٢) في ظلال القرآن.

---

(١) من أوائل الإخوان في كركوك، تسنم مناصب إدارية في التربية والتعليم في السليمانية، وانتقل إلى رحمة الله بعد الوقفة في عرفة سنة ٢٠١٥م.

(٢) من مواليد ١٩٣٣م كركوك، أستاذ جامعي، له مؤلفات عدة، انتقل إلى رحمة الله في سنة ٢٠١٥م.

وقضيت شهورًا في قراءة المذكرات المترجمة: مذكرات تشرشل وكفاحي لهتلر وغوبلز...

ولله الحمد والمنة أن رزقني شغفًا بقراءة الظلال طوال ربع قرن.

ويومًا، لما رآني والدي (رحمه الله) أقرأ الظلال ولا يفارقني أخذه وشرع بقراءة صفحات منه. ثم قال ويضرب بسبابته نقرات على الكشاف للزمخشري الذي ما كان يغادره: كل الصيد في جوف الفرا.. كل الصيد في جوف الفرا[1].

وفي هذه المرحلة أثّرت فيّ حادثة بقيت محفورة في ذاكرتي وهي:

أتى نائب المرشد العام في مصر إلى بغداد باسم مستعار أخذنا بعض الإخوة مع طلاب الجامعة إلى مخيم في فلاة بعيدة عن المدن وكأننا في صحراء. عشنا في هذا المخيم أياما معدودة. صلى بنا ليلة صلاة التهجد وقرأ سورة " القلم" قراءة من القلب وكان يكرر الآية الواحدة ويعيدها قراءة، ولا سيما الآية الكريمة: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم:٣٥-٣٦) وهو يبكي ويبكي ونحن جميعا نبكي. فكانت حقا ليلة من ليالي العمر لا تُنسى.

ومما استقر في أرواحنا منذ تلك المدة:

المحبة الخالصة والأخوة الصادقة وأن الالتزام بالإسلام ليس صوريا وظاهريا وإنما ما يستقر في القلب ويصدقه العمل؛ فما كان

---

(١) من أمثال العرب، ضربه النبي ﷺ مثلاً لأبي سفيان حين قال له: أنت يا أبا سفيان! كما قيل: وكل الصيد في جوف الفرا. والمثل يضرب في الواحد الذي يقوم مقام الكثير لعظمه (المستقصى من أمثال العرب للزمخشري ٢/٢٢٤).

يخطر ببالنا الفصل بين القول والعمل، وما كانت الشكليات الظاهرية تحول بيننا وبين ما نعتقده من صفاء الإسلام، كما استلهمناه من قول الإمام حسن البنا:

"أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد. ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله، وصوت داو يعلو مرددًا دعوة الرسول ﷺ. ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلّى عنه الناس".[١]

سليمان محمد أمين القابلي[٢]

هذا الإنسان البسيط مظهرًا والعميق مخبرًا، ذو القلب الرقيق والعقل الواسع. صدّاع بالحق مبتغ وجه الله وحده لا يريد جزاءً ولا شكورًا من أحد. أسس مع المحامي نورالدين الواعظ[٣] مركز الإخوان المسلمين في كركوك سنة١٩٤٩م، ثم أنشأ مكتبة لبيع الكتب الإسلامية سنة ١٩٥١م.

تعلّمنا منه الكثير والكثير بالعمل دون القول. فمدينة كركوك كانت

---

(١) رسالة بين الأمس واليوم.

(٢) من مواليد ١٩٢٢م كركوك، التحق بكلية الحقوق ببغداد. كان موظفاً في دائرة كاتب عدل كركوك. تتلمذ على الشيخ أمجد الزهاوي رئيس رابطة علماء العراق وعاصر الشيخ محمد محمود الصواف المراقب العام للإخوان المسلمين بالعراق. وافاه الأجل في ٩ صفر ١٤١٦ هـ / ٧ تموز ١٩٩٥م.

(٣) من مواليد ١٩٣٠م كركوك، محام قدير من مؤسسي الإخوان في كركوك، تسنم رئاسة بلديتها فترة سنة ١٩٥٩م. واستقر ببغداد بعد مجزرة كركوك تموز سنة ١٩٥٩. والده الملا رضا الواعظ من العلماء الأفذاذ بكركوك.

تعج بالصراع بين القوميات والعنصريات المتحاربة وما من أحد إلّا وقد أصابه من لوثات هذه النعرات. ولكن كنت تجده وهو تركماني لا يميل إلى أحد لقوميته ولا يدافع عن أحد لكونه من قومه، فكان خالصًا لله. لا يريد إلّا وجه الله. تعلّمنا هذا من سيرة حياته معنا ومن حوادث وقعت في خضم الأحداث السياسية، فرأينا حقًا أن ما كان يقوله: مَن لم يجعل دعوى القومية والعنصرية تحت أقدامه لا يرقى إلى تذوّق معنى الأخوة في الله. فعشنا عيشة كريمة نبيلة مع قومنا ومع غيرنا من دون أن نجرح شعور أحد من الناس، بل الأخوة الإسلامية هي المستولية على القلوب والعقول؛ فما كان يخطر ببالنا قط أن هذا كردي أو عربي أو تركماني وإنما هو أخي في الله.

ومازال أولئك السابقون متميزين في المجتمع بالنزاهة والنبل والوفاء والأخوة الخالصة لله بفضل من الله تعالى.

وتعلمت منه التعظيم: تعظيم حرمات الله وتعظيم الرسول ﷺ وتعظيم كل ما يمت إلى الإسلام بصلة.

وكان يقوم بكل عمل بعفوية تامة دون تكلف أو تصنع قط، ولا يحمل لأي مسلم في قلبه حقدًا ولا ضغينة. ورغم أنه كان كثير المزاح إلّا أنه كان شديدًا جدًا في المواقف التي تخص الإسلام.

شجعني كثيرًا على الترجمة وكان يعتقد جازمًا أن رسائل النور ذات أهمية قصوى في هذا العصر، وأنها أهم من الكتب الإسلامية التي كانت منتشرة بين الأيدي في ذلك الوقت. وكنا نعقد أحيانًا الدروس النورية في بيته.

وكان ينبهني إلى الأغلاط التي أقع فيها، وأحيانًا يقول لي: يا أخي هذه الفقرة فيها رائحة الترجمة أو فيها ركاكة، وقد قرأ أكثر الترجمات قبل طبعها. وما أسمع الآن من أساتذة كبار في العربية والأدب العربي من مدح وثناء على الترجمة يعود فضله إلى الله سبحانه ثم إلى الأخ سليمان الذي كان عنده حاسة غريبة في معرفة العجمة، وقد نبهني إليها كثيرًا وقمت بالتعديل والتصحيح.

ومآثره كثيرة، أذكر منها واحدة:

أسس مكتبة الأخوة الإسلامية سنة ١٩٥١م، وهي مسجلة باسمه لدى الجهات الرسمية. وأدارها سنوات طويلة ما يقرب من ربع قرن. ولما صدر من الجماعة أمر تسليم أمورها إلى شخص آخر، سلّم مفاتيحها إلى الأخ عبد الرحمن صديق توفيق وهو في ريعان الشباب. وقال له: إن لم تطعني فأنا أطيعك. وكان يدعوه دائما بـ"أوسطة" أي أستاذ. وقاما معًا في إدارة المكتبة خير قيام.

رسالة الطبيعة

وفي الخمسينات مذ عرفنا طالب النور التركي "أحمد رمضان"[(١)] عرفنا رسائل النور. ولكن لم نقرأها. ثم لمّا كانت الدروس في القسم البيولوجي للكلية منطلقة من نظرية التطور، حتى كان في قاعة الدرس تمثال نصفي لدارون، من دون أن يكون لنا أي رصيد إيماني علمي لدحض هذه النظرية، بدأنا نبحث عن ملجأ وعلاج، إلى أن جاء الأخ

(١) من مواليد ١٩٢٧م ملاطيا، كلّفه الأستاذ النورسي بنشر رسائل النور في خارج تركيا. يقيم الآن في المدينة المنورة إلى جوار مسجد رسول الله ﷺ.

"رمزي محمد جميل"[1] الطالب في كلية الطب بجامعة إسطنبول، وقد كنا نجلس على المقعد نفسه في الصف الأول الابتدائي، وقال: يقولون: إن بديع الزمان سعيد النورسي قد دحض هذه النظرية من أساسها. فذهبت إلى أحمد رمضان وذكرت له الأمر. قال: نعم، وأهداني كتاب LEMALAR التركي (المطبوع سنة ١٩٥٧م من قبل: سعيد أوزدمير، عاطف أورال)، تصفحته ولم أر فيه دارون ولا التطور، فوضعته جانبًا. وكنت أقلب الكتاب أحيانًا وأقرأ بعض الصفحات منه ثم أدَعه. ولم أنتبه في حينه أن "اللمعة الثالثة والعشرين" التي هي رسالة الطبيعة تقوّض النظرية و" تُبيد تيار الكفر النابع من مفهوم "الطبيعة" إبادة تامة وتُفتّت حجر زاوية الكفر وتحطّم ركيزته الأساس".

أحمد رمضان

لقد أجريتُ معه حوارًا ودّيا يوم ١١و٢٦/١٠/٢٠١١م عندما أتى إلى إسطنبول وفي ملاطيا. أقتطف منه الآتي[2]:

"...عملت مديرًا للنشر في مجلة "بيوك دوغو"(الشرق الكبير) لغرض نشر بعض أجزاء من رسائل النور فيها. وفعلًا نشرنا بعض الأجزاء.

ولدى مقابلتي للأستاذ النورسي قال لي: "اترك وظيفتك وقم بنشر رسائل النور في الخارج". وأنا بدوري ذهبت إلى صاحب المجلة السيد

(١) وكان آخر لقاء لنا في الحج سنة ١٩٧٢م وانتقل إلى رحمة الله تعالى بحادث سيارة بعد الحج مباشرة ودفن في البقيع.

(٢) نشر الحوار كاملا في المجلد الثالث للشهود الأواخر، دار سوزلر للنشر، القاهرة،٢٠١٢.

نجيب فاضل[1] وأخبرته: أنني سأترك العمل في المجلة اعتبارًا من الغد. فاستشاط غضبًا من كلامي، إلّا أنني أصررت على رأيي. ولما عدت إلى الأستاذ كلّفني بالذهاب إلى مصر، وأعطاني رسالة موجهة إلى الإخوان المسلمين...

ولما كنت أسير على رصيف أحد شوارع القاهرة، إذا بأحدهم يناديني باسمي من الرصيف الآخر وهو السيد سعيد رمضان -صهر الأستاذ حسن البنا- وكنت من قبل على معرفة به حيث أتى إسطنبول وخطب في مسجد الفاتح وأبكى الجميع رغم أنه كان يخطب بالعربية. وأخبرني أنه خرج مع صديقه ليشتريا أثاثًا للمركز العام للإخوان المسلمين الذي أُحرق من قبل. سلّمته الرسالة ولا أعلم ما فيها إلّا أنها كانت من ورقتين كاملتين. وبالمقابل أعطاني بعض رسائل الأستاذ حسن البنا هدية للأستاذ النورسي.

ولما عدت إلى تركيا استفسرت من الأستاذ: أين سأظل في الخارج لنشر رسائل النور؟ قال: في بغداد. فعدت إلى الشام إلى أن هيأ الله شاحنة كبيرة ذاهبة إلى العراق فاستقلّيت مؤخرتها أياما وليالي لحين وصولنا إلى العراق (سنة ١٩٥١م).

ولما وصلت أربيل استضافني الشيخ محي الدين ثم أرسلني إلى

---

(١) (١٩٠٤-١٩٨٣م) ويلقب بسلطان الشعراء وكاتب وصحفي وقاص تركي. أكمل دراسته في إسطنبول، ثم التحق بجامعة السوربون. عمل مدرساً للغة التركية وآدابها. ثم أصدر مجلة "آغاج" ثم مجلة "بويوك دوغو". له ما يربو على مئة كتاب في الشعر والأدب والاجتماع والمسرح والفكر والتاريخ والقصة. عدا مقالاته القيمة في العديد من المجلات والجرائد.

الملا رضا الواعظ[1] في كركوك فاستضافني الملا رضا الواعظ في مسجده مدة شهر، ثم أرسلني إلى الشيخ أمجد الزهاوي[2] في بغداد فتكفل بي الشيخ أمجد لمعرفته بالأستاذ النورسي حيث قابله لما كان طالبًا في مدرسة القضاة بإسطنبول. وأسكنني في "مسجد السليمانية" القريب لمديرية الشرطة والبريد المركزي. وكان يطلب مني صحبته في زياراته إلى المدن الأخرى، وقد صاحبتُه والأستاذ محمد محمود الصواف[3] في زياراته إلى شمال العراق ومدن عدة أخرى. وأصبحت هذه السفرات مع الشيخ سببًا في تقديم رسائل النور الموجودة لديّ إلى علماء تلك المدن. كانت تلك الرسائل مطبوعة بالرونيو وباللغة التركية أو بالعربية التي ترجمها الملا عبد المجيد شقيق الأستاذ النورسي. ثم طلب الشيخ فؤاد الآلوسي -وهو ابن أخ الآلوسي أبو الثناء محمود صاحب التفسير- من الشيخ أمجد أن أظل عنده، فوافق الشيخ بناء على إصراره وأسكنني الشيخ فؤاد في "جامع مرجان" في بداية سوق الشورجة على شارع الرشيد. وبقيت هناك حتى سنة ١٩٦٥م حيث استأجرت مسكنًا إلى حين مغادرتي العراق سنة ١٩٦٨م.

---

(١) (١٨٧٠-١٩٦٣م) عين واعظاً لولاية الموصل في عهد الدولة العثمانية، ومنها جاء لقبه الواعظ، وعند تأسيس الحكومة العراقية عام ١٩٢١م، عين مديراً لأوقاف كركوك، ثم تفرغ لتدريس العلوم الشرعية في مساجد كركوك.

(٢) (١٨٨٢-١٩٦٧م) تخرج من كلية الحقوق ومعهد القضاة بإسطنبول ١٩٠٦م. تسنم وظائف قضائية. رئيس رابطة علماء العراق.

(٣) (١٩١٥-١٩٩٢م) تخرج من الأزهر. درّس في كلية الشريعة ببغداد. المراقب العام للإخوان المسلمين في العراق. ولما التقيته في إسطنبول وهو قادم من المصالحة بين الأطراف الإسلامية المتنازعة في أفغانستان أهديته مجلد "الكلمات" فقال: الأستاذ مجاهد عظيم.

وفي بغداد قدمت كثيرًا من الرسائل إلى العلماء فآزروني، منهم المحامي عبد الرحمن خضر، ورئيس ديوان الأوقاف سامي باش عالم، والمفتش فيها عيسى عبد القادر، الذي كان ينقّح مترجمات الملا عبدالمجيد وينشرها في جريدة "الدفاع" البغدادية. وكنا ننشر شهريا كراسة صغيرة بالعربية تحوي مقتطفات من الرسائل وأخبار النور. وقد أعجب الكثيرون بـ"إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" العربية ولا سيما الدكتور عبدالكريم زيدان[1] حتى همّ بالسفر إلى تركيا لزيارة الأستاذ إلّا أن الشيخ أمجد صرفه عن السفر ليكون سفره لقضايا المسلمين.

واشتركتُ في مؤتمر القدس سنة ١٩٥٣م مع الشيخ أمجد الزهاوي والشيخ الصواف والمحامي نورالدين الواعظ من كركوك والشيخ محي الدين والمحامي محمد صادق من أربيل. وكان معنا السيد سعيد شامل حفيد الشيخ شامل، ونواب صفوي رئيس جماعة فدائيان إسلام بإيران الذي نشر في مجلته "القدس" عن "إشارات الإعجاز"، وأساتذة وعلماء آخرون من أنحاء العالم الإسلامي منهم محمد ناصر من إندونيسيا وسيد قطب وعلي الطنطاوي وكامل الشريف. ودعانا الملك حسين إلى مأدبة عشاء". اهـ باختصار

جمعية الأماني

قدمتُ مع عدد من الإخوة التربويين في كركوك في نهاية ١٩٦٣م طلبًا إلى وزارة الداخلية العراقية لإجازة فرع لجمعية الأماني في كركوك، بعد استحصال موافقة المركز العام للجمعية في بغداد.

---

(١) استاذ الشريعة الإسلامية، له مؤلفات كثيرة، المراقب العام للإخوان المسلمين في العراق منذ ١٩٦٠م إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة ٢٠١٤م عن عمر ناهز ٩٧ عاما.

وبعد ردّ الوزارة بالموافقة على إجازة الفرع اجتمعت الهيئة التأسيسية المتكونة من (٢٠) عضوًا للفرع لانتخاب الهيئة الإدارية، فانتخبتُ (رئيسًا للفرع)، وراجي عايد البياتي(نائبًا)، وحسن عثمان وهاب (أمينًا للصندوق)، ويوسف صدقي، وعبدالجبار حسن، وعباس علي العطار، وعدنان عبدالصمد علي (أعضاء أصليين)، واسماعيل عبدالله، وعابدين رشيد أحمد (عضوي احتياط).

وبدأت الجمعية مسيرتها التربوية بفتح روضة لها في كركوك، وأعقب ذلك فتح ثانوية مسائية للبنين، استطاعت الجمعية بها تخريج دورات عدة تميزت بالكفاءة العلمية بشهادة الكثيرين. وسعت إدارة الثانوية إلى تحسين المستوى العلمي لطلابها بإقامة الدورات الصيفية، رغبة منها في رفد المسيرة العلمية بأجيال على قدر واسع من الثقافة.

واستمر الأمر على هذا المنوال إلى أن أُلغيت إجازة الجمعية في أواخر عام ١٩٧٥م.

وما ذكرتُ هذه الفقرة إلّا ليغنم أولئك الإخوة البررة الدعاء من القراء الكرام، فمنهم من رحل عنا إلى دار البقاء ومنهم من ينتظر.

زيارة القدس

في سنة ١٩٦٦م سافرت (وأخَواي) معًا إلى القدس. تفسحنا وشاهدنا المسجد الأقصى، هبط بنا الدليل تحت أرض المسجد الأقصى، شاهدنا أعمدة ضخمة رخامية، وهناك زاوية قال لنا: إن مريم العذراء كانت تتعبد هنا. الأرضية كانت اعتيادية والسقف منخفض.

وقال لنا: إن سيدنا عمر رضي الله عنه، حين حانت الصلاة لم يشأ أن يصلي في الكنيسة حتى لا تؤخذ الكنيسة من أصحابها من بعده، وإنما انتحى مكانًا صلى فيه.

ولما دخلنا المسجد الأقصى لصلاة الظهر أجهش أخي الأكبر بالبكاء ولم يزل يبكي إلى أن أكملنا زيارة كثير من الأماكن في داخل السور الكبير. ومنذئذ لازم القرآن والإيمان إلى أن تغمده الله برحمته.

تذكرت هناك ما ذكره الأستاذ سليمان القابلي لنا من فراسة الشيخ أمجد الزهاوي، أنه عندما شرعوا في جمع التبرعات لتذهيب قبة الصخرة، قال لهم: اشتروا بهذا المال مدافع، فذلك أفيد للقدس.

* * *

لقاء طلاب النور

في سنة ١٩٧٥م وفي أول سفر سياحي مع العائلة بسيارتنا الخاصة إلى تركيا، كنا عازمين على زيارتها مدينة تلو أخرى، وهكذا إلى أن وصلنا مدينة "أونية" على ساحل البحر الأسود. فاقتنيت هناك كتابين عن حياة سعيد النورسي بالتركية. أحدهما "بديع الزمان وجوانب مجهولة من حياته" والآخر "طريق نورس". والكتابان لنجم الدين شاهينر.

وفي سنة١٩٧٧م قمنا مع العائلة أيضًا بسفر مماثل. فكانت مدينة دياربكر أولى المدن في زيارتنا. ونزلنا في فندق مريح على شارع الملك أحمد. وقد كنت أرغب في لقاء طلاب النور الذين لم نظفر بهم في السنة السابقة. الغريب أن أحدهم في الفندق همس في أذني: إذا أردتم لقاء طلاب الشيخ سعيد فهم في الطابق الخامس. تعجبت من كلامه هذا لأنني لم أتكلم عن رغبتي هذه لأحد! وفعلًا صعدت الطابق الخامس ووجدتهم متحلقين على منضدة يقرؤون رسائل النور ويتباحثون فيما بينهم. ودخلت معهم في بحث أمور كثيرة.

ثم أخذوني إلى مدرسة نورية فرأيت مدارسهم لأول مرة. وبالليل أخذوني إلى درس من دروس النور وقرأ أحدهم (وهو الدكتور محمد جوشقون سيل) قطعة رائعة لوصف يد الرسول ﷺ، لم أسمع مثلها من قبل وهي:

اليد الشريفة المباركة

"لو سُطّرت هذه القطعة بماء الذهب
ورُصّعت بالألماس لكانت جديرة

إن تسبيحَ الحصى وخشوعَه في كفه ﷺ ..

وتحوّلَ التراب والحصيات فيها كقذائف في وجوه الأعداء حتى ولّوا مُدبرين بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾..

وانفلاقَ القمر فلقتين بإصبعٍ من الكفِّ نفسها كما هو نص القرآن الكريم: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَر﴾..

وفورانَ الماء كعينٍ جارية من بين الأصابع العشرة وارتواء الجيش منه...

وكونَ تلك اليدِ بلسمًا للجرحى وشفاءً للمرضى..

لَيبيّن بجلاء: مدى بركة تلك اليد الشريفة.. ومدى كونها معجزة قدرة إلهية عظيمة.

لكأن كفَّ تلك اليد:

زاويةُ ذكر سبحانية صغيرة بين الأحباب، لو دخلها الحصى لسبّح وذكر..

وتِرسانةٌ ربانية صغيرة تجاه الأعداء، لو دخلها الترابُ لتطاير تطايرَ القنابل..

وتعود صيدليةً رحمانية صغيرة للمرضى والجرحى، لو لامستْ داءً لغدتْ له شفاءً..

وحينما تنهضُ تلك اليدُ تنهض بجلالٍ فتشقُّ القمرَ شِقين بإصبع منها.

وإذا التفتتْ التفاتةَ جمالٍ فجّرتْ ينبوعَ رحمةٍ يَدفُق من عشر عيونٍ تجري كالكوثر السلسبيل.

فلئن كانت يدُ هذا النبي الكريم ﷺ موضعَ معجزاتٍ باهرة إلى هذا الحد..

ألا يُدرَك بداهةً: مدى حظوتِه عند ربه.. ومبلغَ صدقه في دعوته.. ومدى سعادة أولئك الذين بايعوا تلك اليد المباركة؟"[1]

أنتم منّا

وهكذا عشت معهم بضعة أيام جميلة. كان معاون مدير محطة السكك هناك (حسين أوستون داغ) يلح كثيرًا على ضيافتنا في بيته وكنت أرفض. ولكن لشدة إصراره قبلت. وأخذَنا إلى بيته، نحن مع الأولاد في الحديقة والعائلة مع النساء في الداخل. قدّم لنا طعامًا، ولفت انتباهي بساطة الطعام وعدم التكلف له، حتى لكأننا بعض أسرته، وقال: يا أخي أنتم لمّا وافقتم واستجبتم للدعوة اتصلت بأهلي وقلت: إن عندنا ضيوفًا. فقالت لي: وهل هم منا أم غرباء عنا؟ قلت: إنهم منا. هذا الطعام الذي تراه هو طعامنا نحن، وأنتم منا. والله يأتينا أحيانًا ضيوف من أقاربنا، نعمل أضعاف أضعاف هذا الطعام لأنهم ليسوا منا. هذا الكلام الفطري الصادق النابع من القلب نزل بردًا وسلامًا على قلبي! وإلى الآن أشعر بلذته في قلبي.

ثم أعطونا عناوين لإخوةٍ كي نلتقيهم في المنزل التالي من منازل

(١) المكتوب التاسع عشر، الإشارة الثالثة عشرة ص ١٧٥.

سفرنا للمدن. فوصلنا مدينة ملاطيا وبحثت عن العنوان فوجدناه محل بقال اسمه حسين. رحّب بنا واتصل مع بعضهم هاتفيًّا فوزعونا؛ أنا والأولاد إلى مدرسة نورية، والعائلة إلى بيت (مولود بولاط) الذي ترك البيت وبات معنا في المدرسة النورية. استضافونا ثلاثة أيام، وشاهدنا جميعًا منهم وممن لاقينا الأخلاق الفاضلة والتواضع الجم والكرم؛ وبتعبير أوجز: شاهدنا الإسلام الحي. ثم تابعنا السير إلى مدينة قيصري.

محمد فرنجي

كان لقائي الأخ الكبير محمد فرنجي سنة ١٩٧٧م في المدرسة النورية في قيصري. سألته بعد انتهاء درس النور: هل رأيتم الأستاذ النورسي؟

قال: نعم.

قلت: هل يمكن أن تذكر لنا كرامة من كراماته؟ فتبسم. وقال:

كنت في يوم من الأيام مع الأستاذ أشرف أديب[١] نذهب معًا إلى اجتماع للمفكرين والأدباء يعقد في منطقة أميرغان بإسطنبول. قال لي: يا أخي محمد أنتم تقولون: الأستاذ النورسي صاحب كرامات، وأنا صديق حميم له، لم أر منه كرامة.

فقلت: أستاذي المحترم! إظهار الأستاذ النورسي كرامة أمام أمثالكم عبث وأمر لا يجوز. ولكن بالنسبة إلى شخص مثلي الذي لم يكمّل إلى الآن دراسة المتوسطة، فكرامته لي أنه جعلني مرافقًا لشخص مثلكم،

(١) كاتب مشهور وصحفي صاحب مجلة "سبيل الرشاد" الإسلامية. ألّف كتابا في تاريخ حياة الأستاذ النورسي، توفي سنة ١٩٧١م.

ونذهب معًا إلى اجتماع مهم. ألا يكفي هذا كرامة من كرامات الأستاذ. فتبسم موافقًا.

ثم تابعنا سفرنا إلى مدينة أخرى وأخرى، إلى أن وصلنا إسطنبول. فالتقينا طلاب النور الذين شاهدوا الأستاذ النورسي وخدموه وعددًا من الكتّاب والمؤلفين.

الإسلام الحي

وفي العام الدراسي (١٩٧٦-١٩٧٧م) يلتقي "بابا علي طاهر" الطالب الجامعي ببغداد، طالب النور التركي "صادق روزكار" الموفد من قبل الحكومة التركية إلى العراق. ويتصادقان في القسم الداخلي لسكن الطلاب بل يتآخيان، إذ يرى بابا علي منه عجبًا في سلوكه وإخلاصه. ويذكر لنا (أنا وللأخ عابدين رشيد) انطباعاته عنه وإعجابه به..

وقد لمسنا في جولتنا السياحية في تركيا مع العائلة سنة١٩٧٧م، الإسلام حيًا نابضًا ومعيشًا في حلّهم وترحالهم، بل اكتشفنا فيهم صفاء الإيمان ونقاء الوفاء وصدق الإخلاص ودوام العطاء، واستشعرنا بالاطمئنان والسكينة تغمران قلوبهم. وصدّقنا فعلًا ما كان يقوله لنا الأخ بابا علي عن صادق روزكار.

ويصف الأستاذ الدكتور سليمان عشراتي[١] حالته النفسية لدى لقائه طلاب النور بأسلوبه الأدبي الرفيع في رسالة أرسلها إليّ بالفاكس أقتطف منها الآتي:

---

(١) الأستاذ في جامعة وهران، الجزائر. وقد سجل يومياته في الرحلات الثلاث التي قضاها في تركيا، ولم تطبع مع الأسف. الأولى: رحلة إلى بلاد النور، والثانية: في ضيافة النوريين. والثالثة: يوميات عاكف في الوقف.

"لا أنسى أيها الأخ الفاضل تلك الأيام التي انقضت -عَلِم الله- مثل الدقائق، لما اكتنفنا فيها من أجواء نورانية، أظلتنا فيها رحمة الله، ببركة القرآن وخادم القرآن الأبر، الصالح، النورسي قدس الله روحه..

لا أنسى دماثة الأرواح النورانية التي لاقيناها، والمصداقية الربانية التي علت وجوه وتصرفات الأشقاء الكرام، صنغور[1] وشاهين وكنعان والثلة المتولهة للخير من الشباب..

أيها الأخ بلّغ محبتي لكنعان، فقد جمعتنا المناسبة فتصرفنا كأننا على تعارف حاصل بالنشأة والمعايشة.. لكأنني لاقيت أخًا تربيتُ معه وسلختُ الطفولة معه..

أما أخونا الأكبر صنغور، فقد علقت محبته -يشهد الله- منذ أول ما عرفت أنه صنغور. لقد ظلت صورة الطلائع النورانيين تتبلور في ذهني على نحو من الشموخ والقوة والإباء...

ورأيت لطفًا، بل تواضعًا يصرف النفس حتمًا إلى الإيقان من أن القدرة هي قدرة الروح والجوهر وما تستمده الخشية من مكامن السر الإلهي الذي يحيلها إلى قوة تقهر التحديات والأعاصير. بلّغ أخي صنغور أن فيه لمحة ملائكية لا ريب أنها أثر قرآني جلي، أني لأشوق إلى لقائه والامتلاء بما أسمع من أحاديثه عن النورسي..

أما شاهين فإنه تجسيد حي للحبور والرضى والاطمئنان.. بلّغه

---

(١) لازم الأستاذ النورسي ثلاث عشرة سنة. لم يؤلف كتابًا وإنما ألّف قلوب طلاب النور جميعهم، بل كل العاملين للقرآن الكريم. انتقل إلى رحمة ربه في ٢٠١٢/١٢/١م عن عمر يناهز ثلاثًا وثمانين سنة.

سلامي القلبي الذي لا يفتر.. ولا يفوتني أن أقول: إن هناك قاسمًا مشتركا رأيته يجمع شخصيتكم، ولمسته في كنعان كذلك، هو هذه الطمأنينة، وهذه السكينة، وهذا الانصياع الذي لا يتكدر.. إنه بلا شك التأثير القرآني الذي طفق النورسي يحرض عليه.. فطوبى لكم". اهـ

وبعد أن شاهدنا كيف فعلت رسائل النور بمن حُرموا منابع الإيمان والقرآن، وأخذ سلوكهم الإسلامي يلفت نظرنا، أتيت بجميع رسائل النور المطبوعة بالتركية إلى العراق. وباشرت بقراءتها قراءة جادة رغم أنه تعسر عليّ الأمر في البداية، ولكن بتكرار قراءتها، فتح الله عليّ منها ما فتح فبدأت أتلذذ بمطالعتها وافتقدها إن لم أقرأ منها يوميًا. ولا شك أنني انبهرت بها؛ بأسلوبها وعرضها لنصاعة حقائق القرآن بحيث لا تدع ثغرة لوساوس شياطين الجن والإنس. فكنت أهرع بما أفهم من نفائسها ومعانيها إلى الأصدقاء والأقرباء ومن أعرفهم.

وساءلت نفسي: كيف نال طلاب النور هذا القدر الوافر من السلوك القويم والإيمان العميق الذي ينعكس نوره حتى على ملامحهم ناهيك عن أعمالهم وحركاتهم، على الرغم من حرمانهم من اللغة العربية بل حتى من الحروف العربية، بعد ما فعلت بهم فؤوس الحقد ومعاول الهدم والتخريب ما فعلت؟

لا شك أن السر يكمن في رسائل النور التي يقرؤونها ويتدارسونها، ولا شيء غيرها.. فلقد حيل بينهم وبين مصادر الإسلام كافة بتغيير الحروف إلى اللاتينية، بل حيل بينهم وبين القرآن الكريم.. وغدت لهم هذه الرسائل المصدر والمرجع لاستلهام حقائق الإيمان. وبفضل الله سبحانه وتعالى استطاعت هذه الرسائل بروحها القرآنية أن تأخذ بأيدي

طلابها من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي (التصديقي) وتعرج بهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة مَن يصدُق عليه حديث جبريل عليه السلام الذي سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام، ثم قال: (ما الإحسان؟ قال: أنْ تعبدَ اللهَ كأنكَ تراهُ، فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ)[1].

وجوده في عدمها، عدمه في وجودها

وفي صيف سنة ١٩٧٨م سافرنا أنا والأخ عابدين رشيد إلى تركيا وكلانا حديث عهد برسائل النور. وأخذَنا الأخ الكبير محمد فرنجي إلى مدينة بورصة الجميلة، واصطحبنا إلى أماكن كثيرة. وكنت ألحّ عليه كثيرًا أن نسافر إلى سورية أو مصر لنجد مترجمين لهذه الحقائق القرآنية العظيمة في رسائل النور، فلا يمكن أن تبقى هذه الحقائق محصورة في تركيا. فكان يتمتم بصوت خافض: وجوده في عدمها، عدمه في وجودها. وكلما أصرّ عليه وأكرر الذهاب لأجل الترجمة كان يردد الجملة نفسها. وأنا لا أفهم معناها. فقلت له: أخي الكبير ماذا تقصد بهذه الجملة؟ قال: الذين تقول عنهم لنذهب إليهم، يجدون في أنفسهم أنهم علماء، فعندما يترجمون الرسائل يمزجون فكرهم بما يقوله الأستاذ، لأنهم يعتقدون أنهم علماء وسعيد النورسي عالم مثلهم. وعند ذلك لا تكون ترجمة خالصة للرسائل. أما إذا عدّ العالمُ نفسه عدمًا أي أنه طالب والنورسي أستاذه فعندئذ تكون ترجمته ترجمة خالصة للرسائل لا حظّ لنفسه فيها.

* * *

(١) حديث متفق عليه.

دروس النور

بدأ الإخوة الأعزاء بالتوافد إلى بيتي لأجل قراءة الرسائل والاستماع إليها. فكنت أفتح أي رسالة كانت وأقرأها على الضيف الكريم فأجده يقول: والله كان هذا سؤالًا في ذهني والآن وجدت الجواب. حدث هذا عشرات المرات.

أذكر هنا واحدًا أو اثنين من الأمثلة الكثيرة التي ترد إلى بال كل مسلم:

"يقول داعية أهل الضلال: لقد لُعنَت الدنيا في أحاديثكم،[1] وذُكرت أنها جيفة،[2] ونرى أن أهل الولاية وأهل الحقيقة يحقرون الدنيا ويستهينون بها ويقولون: إنها فاسدة، قذرة. بينما تبيّنها أنت: أنها مبعثُ كمالٍ إلهي وحجة له، وتذكرها ذكرَ عاشقٍ لها.

الجواب: الدنيا لها ثلاثة وجوه:

---

(١) قال رسول الله ﷺ: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا" (انظر: الترمذي، الزهد ١٤؛ ابن ماجه، الزهد ٣؛ الدارمي، المقدمة ٣٢؛ عبد الرزاق، المصنف ٧/٢٠١؛ الطبراني، المعجم الأوسط ٤/٢٣٦).

(٢) انظر: الديلمي، المسند ١/١٤١-١٤٢؛ العجلوني، كشف الخفاء ١/٤٩٢؛ أبو نعيم، حلية الأولياء ٨/٢٣٨.

الوجه الأول: ينظر إلى أسماء الله الحسنى ويبين آثار تلك الأسماء ونقوشها، وتؤدي الدنيا، بهذا الوجه، وظيفة مرآة لتلك الأسماء بالمعنى الحرفي[1]، فهذا الوجه مكاتيب صمدانية لا تحد. لذا يستحق العشقَ لا النفور، لأنه في غاية الجمال.

الوجه الثاني: وجه ينظر إلى الآخرة، فهو مزرعة الآخرة، مزرعة الجنة، موضعُ إزهار أزاهير الرحمة الإلهية. وهذا الوجه جميل كالوجه الأول يستحق المحبةَ لا التحقير.

الوجه الثالث: وجه ينظر إلى أهواء الإنسان، ويكون ستارَ الغافلين، وموضع لعب أهل الدنيا وأهوائهم. وهذا الوجه قبيح دميم، لأنه فانٍ، زائل، مؤلم، خداع.

فالتحقير الوارد في الحديث الشريف، والنفور الذي لدى أهل الحقيقة هو من هذا الوجه. أما ذكرُ القرآن الكريم للموجودات بأهمية بالغة وإعجاب وإطراء فهو متوجه إلى الوجهين الأولين، وإن الدنيا المرغوبة فيها لدى الصحابة الكرام وسائر أولياء الله في الوجهين الأولين".[2]

مثال آخر:

"إن المحبة ليست اختيارية، لا تقع تحت إرادتنا، فأنا بمقتضى حاجتي الفطرية أحب الأطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة، وأحب والديّ وأولادي وزوجتي التي هي رفيقة حياتي، وأحب الأنبياء المكرمين والأولياء

---

(١) سيرد شرح هذا المصطلح في الصفحات التالية.

(٢) الكلمات، الكلمة الثانية والثلاثون ص٧٤٧.

الصالحين، وأحب شبابي وحياتي وأحب الربيع وكل شيء جميل، وبعبارة أوجز أنا أحب الدنيا، ولِمَ لا أحب كل هذه؟.. ولكن كيف أستطيع أن أقدّم جميع هذه الأنواع من المحبة لله، وأجعل محبتي لأسمائه الحسنى ولصفاته الجليلة ولذاته المقدسة سبحانه؟ ماذا يعني هذا؟".[1]

خاطرة

كنا في درس لقراءة رسائل النور في بيتنا في غرفة الضيوف. أمسك بيدي الأستاذ سليمان القابلي في وسط الدرس وأخذني إلى الصالون لم يكن هناك أحد. وأخذ كتابًا من المكتبة بيمينه ورفع يده ممسكًا الكتاب إلى أعلى وأخذ كتابًا آخر بيده اليسرى وقال: والله إنني أعلمُ أن ما تقرؤونه كهذا ملوّحًا ما بيده اليمنى في الأعلى وأن ما نقرأه نحن مثل هذا ملوّحًا ما بيده اليسرى، ولكن في عنقنا بيعة.

بركة رؤيا

من فضل الله علينا كنا بعيدين كل البعد عن هذر السياسة وملاعيب الإعلام. فكأن الله سدّ في وجوهنا هذه الأبواب كي نتفرغ كليًا للرسائل.

نعم، سد علينا الرب الرحيم تلك الأبواب وفتح لنا أبواب العيش في المعاني الجليلة الزاهية لحقائق القرآن.

وعندما بدأت الحرب الإيرانية العراقية كان التعتيم يعم مدينة كركوك كاملة. فلا يمكن أن يُرى ولو بصيص ضوء من أي مكان كان. ففي

(١) يراجع الجواب في موضعه، الكلمات، "الكلمة الثانية والثلاثين، الموقف الثالث، المبحث الثاني" ص٧٤٠.

إحدى الليالي انهمكت بالراديو أدير من محطة إلى أخرى حيث كان الجنرال محمد ضياء الحق رئيس جمهورية باكستان يراوح بمساعيه الحميدة بين البلدين علّه يعين على إطفاء هذه النار بين الجارتين. ونمت تلك الليلة على هموم أحداث الحرب التي استمعت إليها من الإذاعات. رأيت فيما يرى النائم أنني واقف مطأطئ الرأس –كمن ارتكب ذنبًا– أمام سيدنا علي رضي الله عنه، وهو مهيب الهيئة ذو وجه مستدير ولحية سوداء كثيفة مجعدة. وبجنبه الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله أسراره وهو نحيف البدن ذو لحية بيضاء مدببة. وقد رفع أحدهم يده ليضرب رقبتي تأديبًا على خطأ ارتكبته. وقال: أأضرب؟

أفقت من النوم وعلمت أنني ارتكبت خطأً حيث ضيّعت الليل منهمكًا بالأخبار. ومنذ تلك الرؤيا المحذّرة تركت الاستماع إلى الراديو وقراءة الجرائد.. وما شابه ذلك.

ثم ذكرت الرؤيا لإخوتنا الذين يقرؤون الرسائل. فغدت هذه الرؤيا بركة عميمة على أوقاتنا جميعًا. حيث صرفناها إلى قراءة الرسائل وارتشاف الحقائق القرآنية منها.

حقيقة كأنها طُرفة:

لما انتهت الحرب في ١٩٨٨/٨/٨م بعد ثماني سنوات دامية، انطلق الناس إلى الشوارع لإظهار ابتهاجهم بشتى الوسائل. وأُعلن أن الغد عطلة رسمية لكافة الدوائر. ولكن أحد إخوتنا، بيته في ضواحي المدينة ولا يستمع إلى الراديو ولا يشاهد التلفاز، ذهب في اليوم التالي إلى الدوام كعادته. ولما وصل إلى باب دائرته التي يعمل فيها لم يجد أحدًا

غير الحارس. فقال له: أين الموظفون؟ قال: يا أستاذ هل كنتم في القمر أم في المريخ! الحرب انتهت والحكومة عطلت الدوائر بهذه المناسبة.

* * *

الترجمة شفاهاً وكتابة

كان إخوتنا الزائرون الكرماء إلى البيت من قوميات ثلاث؛ التركمانية والكردية والعربية. إن كان الضيف تركمانيا فهو بلا شك يفهم ما يُقرأ، وإن كان كرديا أو عربيا فأضطر إلى الترجمة المباشرة.

هكذا مضت ثلاث سنوات حتى سمع بالرسائل القاصي والداني من أحبتنا فألحّوا عليّ بالترجمة كتابة، فكنت أرفضها رفضًا باتًا لعدم تمكني منها. فلم أقرأ كتابًا في فن الترجمة ولا اقتديت بأحد ولا أخذت معلومات من أحد، فكيف أترجم؟ ولكن الله سبحانه الذي يخلق من بذرة صغيرة شجرة باسقة مثمرة. إذا أراد شيئا أوجد أسبابه. فوعدني الإخوة خيرًا بالتعاون التام. فلما باشرت بالترجمة كتابة كان الأخ عابدين رشيد أول ناصح وقارئ للترجمة.

وأول عملي بالترجمة أرسلته إلى الأخ (أورخان محمد علي) رحمه الله رحمة واسعة[١] الحاذق بالترجمة. فعادت إليّ الترجمة والصفحة

---

(١) من مواليد ١٩٣٧م كركوك، أكمل دراسته في الهندسة المدنية بإسطنبول وكلية الاقتصاد في بغداد. نشرت له مجلة "المسلمون" الصادرة في جنيف عدة مقالات مترجمة. ويعدّ كتابه في حياة الأستاذ النورسي "رجل القدر في حياة أمة" في مقدمة مؤلفاته، وطبع عدة طبعات، وله مؤلفات كثيرة وأوسعها انتشارا "حياة السلطان عبد الحميد". وترجم وألّف كثيرا من الكتب العلمية ولا سيما في الرد على نظرية التطور، فضلا عن مقالات لا تعد

مليئة بالخطوط الحمراء. ذلك لأني ترجمتها ترجمة حرفية، وأغلب الجمل تبدأ بجمل اسمية كما هي في اللغة التركية. بينما في اللغة العربية أغلب الجمل تبدأ بالفعل. وهكذا عرفت خطئي، ومرّت الترجمات الأخرى بسلام.

وكان الأستاذ سليمان محمد أمين القابلي شيخ دعاة كركوك ضليعا باللغتين التركية والعربية، إلى درجة كأنه يشم رائحة الترجمة (كما سبق ذكره). فكان يقول لي: يا أخي إحسان يجب ألّا يشعر القارئ العربي بأنها ترجمة وإلّا لن يقرأها. انظر هذه الفقرة تشم فيها رائحة الترجمة، أعد ترجمتها! فكنت أعيد ترجمتها.

وأوصاني أن آخذ الترجمات إلى الأخ أديب إبراهيم الدباغ[1] في الموصل، فذهبنا مع الأخ عابدين رشيد إليه، فهو أديب حقًا، وجزاه الله خيرًا فقد سبك كثيرًا من جملي بأسلوبه الأدبي المعروف عنه، وصحح

نشرها في مجلة "المجتمع" الكويتية وفي صحف أخرى. كنا معًا أغلب الأوقات منذ السبعينات إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى بإسطنبول في ٢٠١٠/٢/٨م.

ويصفه الأستاذ عشراتي في مذكراته:

"وأورخان ذو التعابير الحالمة، أوشكت أن استدل عليه بنفسي. أهل الابداع يكونون أبدًا بهذه السمة، وبهذا الألم الذي يتسلل من عيونهم، وبهذه الرحابة التي تسع البحار. تعرفت عليه ونحن على المائدة، واستحضرت -وأنا أدقق في ملامحه- ذلك الجهد الجزل الذي صنف به كتابه عن النورسي (رجل القدر)، وسمعته في بعض أطوار الحديث يصرح للمخرج المصري وهو ينظر إليّ بأن عمله ذلك يصلح أن يكون فيلمًا. أجل يا أخي أورخان، إنه لعمل لافت حقًا، استوفى الغاية في التعريف بحياة النورسي، فأنعم به من جهد". (رحلة إلى بلاد الأناضول).

(١) من مواليد ١٩٣١م بالموصل.

الأخطاء. ثم تناول الأستاذ غانم حمودات[١] الذي أمضى عمره في تدريس النحو العربي بتصحيح الأمور النحوية. وأخذ الأخ حازم ناظم فاضل بتنظيم الهوامش ووضع الفهارس[٢]، وخرّج الأحاديث الشريفة الواردة في الرسائل الأخ فلاح عبد الرحمن عبدالله ... وهكذا تجمّع بفضل الله وكرمه -دون قصد منا- حول الترجمات إخوة أبرار وأساتذة حاذقون في تخصصهم؛ ولم يألُ جهدًا الدكتور عماد الدين خليل والدكتور محسن عبد الحميد والدكتور حازم عبد الله خضر[٣] والدكتور إدريس الحاج داوود[٤] والشيخ عمر فتاح يعقوب الريشاوي[٥] وأمثالهم من بيان ملاحظاتهم القيمة، ولا ننسى فضل الأستاذ فاروق رسول يحيى الذي كان يترجم العبارات الفارسية.

---

(١) من مؤسسي جماعة الإخوان في الموصل. توفي سنة٢٠١٢م.

(٢) في رسالة الكترونية من الأستاذ عبد القادر الإدريسي. مسؤول الإعلام في الإيسيسكو، الرباط؛ ما نشره في (جرية العَلَم المغربية) يقول فيها:

"وهو من إعداد الأستاذ حازم ناظم فاضل. وقد وجدت أن هذا الاسم ينطبق تمامًا على العمل المبدع المتقن المحكم المنسجم الجامع الذي قام به صاحبه في صناعة هذه الفهارس. وأقول (صناعة الفهارس) على غرار ما كان يكتبه على أغلفة الكتب التي يحققها أستاذي محمود محمد شاكر شيخ المحققين للتراث العربي الإسلامي، وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة والصديق الشخصي للزعيم الأستاذ علال الفاسي، رحمهما الله. فهذه الفهارس المفصلة بدقة متناهية، هي غوص في بحر كليات رسائل النور لاستخراج اللؤلؤ والمرجان من أعماق هذا البحر المحيط. ولستُ أعلم مصنفًا أو مفهرسًا أنجز عملًا توثيقيًا بهذا الحجم والشمول والتدقيق".

(٣) الأستاذ في كلية الآداب في جامعة الموصل توفي سنة ١٩٩٨م.

(٤) من أوائل الإخوان في الموصل توفي في سنة ٢٠٠٦م.

(٥) من أوائل الإخوان في مدينة حلبجة توفي سنة ٢٠٠١م.

وكان الأخ عماد صالح محي الدين يأخذ الترجمات ويقارنها مع الأصل التركي كلمة كلمة وجملة جملة. فكان يجد أحيانا ثغرات وينبهني عليها. علمًا أنني كنت بعد أن أترجم الفقرة أراجعها فأنظر لو تُرجمت إلى التركية أكانت تطابق الأصل أم لا؟

لا شك أن الترجمة التي تكثر عليها الاقتراحات والملاحظات تحتاج إلى تبييض. فكان في المقدمة أخونا حازم ناظم فاضل ثم ابني البار سعد يقومان به، وكذا الأخت الفاضلة المخلصة أم زينب التي منحها الله سبحانه الخط الواضح الجميل، فكانت تبيّض المترجمات بعد التهجد ليلًا والأطفال نائمون. وفي اليوم التالي يأتيني بالمبيضة زوجها (يلمان عثمان) المهندس في شركة النفط.

وقد أهديتها كتاب "المعجزات الأحمدية" بعد طبعه، وكتبت لها:

ابنتي العزيزة؛

لقد أقر الله أعيننا بطبع ما استنسختموه من مسوّدات " المعجزات" نسأله تعالى القبول. نرجو أن نكون ضمن دعواتكم المقبولة كلما أعدتم قراءة المعجزات، والعيش مع الرسول الحبيب صلوات الله وسلامه عليه.... عمكم إحسان قاسم.

وقد قام أخي الكبير صباح بتبييض ترجماتنا لرسائل النور في مجلدين كبيرين لما وهبه الله من خط جميل، وما زالا محفوظين لدينا. ومما شدّ إعجابي به -وهو لم يبيّض بعدُ إلّا رسالة أو رسالتين- أنه عرف كنه الرسائل حينما قال لي:

"إحسان سيكون لهذه الرسائل شأن عظيم يومًا ما".

وأراد الأخ عصام معتصم نامق تبييض مسوّدة ترجمة "التوحيد الحقيقي"، وهو المقام الثاني من الكلمة الثانية والعشرين. وبعد يوم أتى بالمبيضة. وقال: لقد قمت بعمل التبييض ولكن لم أفهم منه في أثناء التبييض، وكررت القراءة ربما عشرين مرة حتى استوعبته إلى درجة كأنه جزء مني، إن شئتم اسألوني أي سؤال كان.

بركة الدعاء والصلاح

عندما شرعت بترجمة "الشعاع الرابع" الخاص بمراتب الآية الكريمة: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣) في تسع مراتب، ترجمت المرتبة الأولى ثم لم تعجبني الترجمة ورأيتها غير وافية حق الإيفاء ومزقت الورقة. وأعدت الترجمة.. وبقيت على هذه الحال شهرًا دون أن أفلح في ترجمة المرتبة الأولى، فقلت لإخوتي ادعوا الله أن يفتح عليّ الترجمة فإني منذ شهر لم أتمكن من إنهاء مرتبة واحدة.

وفي هذه الأيام دعاني الأخ المهندس إلى بيته دعوة عائلية. فاستجبت ولكنه كان موظفًا لا بد أن يذهب إلى الدوام الرسمي فبقيت أنا مع النساء في البيت. فقلت: ضعوا لي كرسيًا ومنضدة في الحديقة، وأنتم تعملون في المطبخ. وبدأت بالمرتبة الأولى وأنهيتها ثم الثانية ثم الثالثة وهكذا إلى التاسعة بفضل الله سبحانه. فلا أعلم أببركة دعوات الإخوة أم ببركة هذه الصالحة (أم زينب) التقية أنجزت ترجمة الشعاع الرابع. والله أعلم.

الإحساس بأنواع الجمال

في رؤيا رأيتها وما كنت أجد تعبيرًا لها؛ إذ رأيت فيما يرى النائم أنني جالس على الأرض وسيدنا عمر رضي الله عنه جالس على ديوان، وأنظر إلى وجهه فأرى جمالًا لا يوصف، وأقول في نفسي: إن كان سيدنا عمر رضي الله عنه بهذا الجمال فكيف جمال رسول الله ﷺ ؟ وما سمعت أحدًا وصف سيدنا عمر رضي الله عنه بالجمال، ولا قرأت فيما قرأت من الكتب شيئًا من هذا القبيل.

ولكن عندما قرأت "الشعاع الرابع" في رسائل النور حول الجمال الإلهي وكيف نستشعره وما أنواع الجمال ... تذكّرت الرؤيا وانحل الإشكال الذي في ذهني:

يقول الأستاذ النورسي:

"من المعلوم أن حُسن كل شيء يلائمه ويكون على وفقه، وأنه يوجد بألوف الأنماط من الجمال والألوان فيختلف بعضها عن بعض، كاختلاف الأنواع في المخلوقات.

فمثلًا: الجمالُ الذي يُحَسّ بالعين لا يشبه حتمًا حُسنًا تحس به الأذن، وإن حُسنًا عقليًا يُدرَك بالعقل لا يشبه حُسن الطعام الذي يُحس بالفم ويتذوقه، كذلك الجمال الذي يستحسنه ويشعر به القلب والروح وسائر الحواس الظاهرة والباطنة، هذا الجمال مختلف كذلك كاختلاف تلك اللطائف والحواس.

ومثلًا :جمالُ الإيمان وجمال الحقيقة وحُسن النور وحسن الزهرة، وجمال الروح وجمال الصورة وجمال الشفقة وجمال العدالة وحُسن

الرحمة وحسن الحكمة .. كل نوع من أنواع هذا الجمال مختلف عن الآخر. كذلك جمال الأسماء الحسنى لجميلٍ ذي جلال، هذا الجمال الذي هو جمال مطلق يختلف بعضه عن بعض، لذلك اختلفت أنواع الحُسن والجمال في الموجودات لأجله"[١].

ففهمت أن جمال العدالة انعكس على وجه سيدنا عمر رضي الله عنه فرأيته على ذلك الوجه الجميل.

عقبات علمية

ولقد لقيت في أثناء الترجمة صعوبات أثقلت كاهلي، ولكن الله سبحانه هو المعين. أذكر بعض الأمثلة:

فمثلًا:

في شرحه لقوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الإسراء:١). يقول: "فالضمير في ﴿إنّه﴾ إما أن يرجع إلى الله تعالى، أو إلى الرسول الكريم ﷺ".[٢]

هذا الكلام لم أسمعه من قبل. فأعانني الله أنني لدى البحث في بعض الكتب في أحد المساجد وجدت أن علماء آخرين قد ذكروا كلامًا مشابهًا، فسجلت ملاحظاتي[٣]. علمًا أن الأستاذ النورسي يفصّل ذلك بقوله:

---

(١) الشعاعات، الشعاع الرابع، النقطة الرابعة من المرتبة الحسبية السادسة ص٨٩.

(٢) الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون ص٤٩١.

(٣) جاء في تفسير روح المعاني للعلامة الآلوسي (١٤/١٥) ما يأتي: "وأما على تقدير كون

"فإذا كان راجعًا إلى الرسول ﷺ، فإن قوانين البلاغة ومناسبة سياق الكلام تفيدان أنّ هذه السياحة الجزئية، فيها من السير العمومي والعروج الكلي ما قد سَمِع وشاهَدَ كلَّ ما لاقى بَصَره وسمعه من الآيات الربانية، وبدائع الصنعة الإلهية في أثناء ارتقائه المراتب الكلية للأسماء الإلهية الحسنى البالغة إلى سدرة المنتهى، حتى كان قاب قوسين أو أدنى. مما يدل على أن هذه السياحة الجزئية هي في حُكم مفتاحٍ لسياحةٍ كليةٍ جامعة لعجائب الصنعة الإلهية".

ومثلًا:

لفت نظري اسم "السفياني"، الوارد في الرسائل. فما كنت قد سمعت بهذا الاسم من قبل، فاستفسرت عنه الأستاذ محسن عبدالحميد، فقال: أحاديث ضعيفة أو موضوعة.

وعندما سافرت إلى مدينة شقلاوة[1] استفسرت عن الاسم نفسه من الملا عبد المجيد المدرس رحمه الله تعالى، فدعا أحد طلابه وقال: ائت لي بالكتاب الفلاني. ولما أتى به ناولني الكتاب وإذا به "تذكرة القرطبي" وفيه الكثير من الأحاديث الشريفة عن السفياني[2]، وشكرته.

الضمير للنبي ﷺ، كما نقله أبو البقاء عن بعضهم وقال: أي السميع لكلامنا البصير لذاتنا، وقال الجلبي: إنه لا يبعد، والمعنى عليه: إن عبدي الذي شرّفته بهذا التشريف هو المستأهل له فإنه السميع لأوامري ونواهي، العامل بهما، البصير الذي ينظر بنظر العبرة في مخلوقاتي فيعتبر، أو البصير بالآيات التي أريناه إياها". وانظر أيضًا تفسير إسماعيل القنوي على البيضاوي (٤/٢٢٤).

(١) مدينة في شمال محافظة أربيل وتعد من مصايف العراق المشهورة.

(٢) وردت أحاديث كثيرة بحق دجال المسلمين الموصوف "بالسفياني" انظر الحاكم في المستدرك ٤/٥٢٠.

ولما أكملت "رسالة الاجتهاد" سلّمت له نسخة منها، فقرأها وأعادها إليّ وقال: هذا الإمام هو غزاليُّ هذا العصر. وكثيرًا ما كنت أستفسر منه عما يستغلق عليّ.

ومثلًا:

يرد هذا الرقم ٦٦٦٦ في موضعين[1] في الرسائل أنه عدد آيات القرآن الكريم، بيد أن المصحف الشريف الموجود بأيدينا ليس فيه هذا العدد من الآيات الكريمة. ثم وجدنا أن هذا العدد محسوب على معنى الآيات وليس على فواصلها كما هو بالمصاحف الموجودة في أيدينا كالآتي:

(ستة آلاف وستمائة وست وستون):

ألف آية أمر، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾. الآية.

وألف آية نهي، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾. الآية.

وألف آية وعد، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. الآية.

وألفٌ وعيد، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾. الآية.

وألفٌ خبر، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾. الآية.

وألفٌ قصص، كقصة يوسف عليه السلام مع إخوته.

و(ستمائة) فيها أحكام من حلال وحرام.

---

(١) في الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرين، عظمة القرآن الكريم ص٥١١. وفي الشعاعات، الشعاع السابع، المقام السابع عشر ص ١٦٥.

و(ست وستون) ناسخ ومنسوخ.[١]

ومثلًا:

يرد في موضعين من الرسائل وصف السماء بالخضراء. إذ يقول الأستاذ:

"تضع الآية بهذا التشبيه أمام عين خيال السامع، كأن وراء ستار الخضراء شجرة شق أحدُ أغصانها النورانية المدببة البيضاء ذلك الستار ومدّ رأسه إلى الخارج".[٢]

فأسعفنا الأخ حازم ناظم فاضل وأتى لنا بالحديث الشريف ووضعناه في الهامش. وهو: (ما أقلَّتِ الغبراءُ ولا أظلَّتِ الخضراءُ من رجلٍ أصدقَ لَهجةً من أبي ذرٍّ). [٣]

ومثلًا:

الجذر الأصم الكلامي، الذي يرد في "إشارات الإعجاز"، لم أسمع به من قبل، وبحثت كثيرًا لأفهمه. ولكن ما وجدته إلّا في شرح العالم الفاضل صدرالدين يوكسل البدليسي[٤] في كراس مخطوط.[٥]

* * *

---

(١) من تفسير "أبدع البيان لجميع آي القرآن" للشيخ محمد بدرالدين التلوي ص٣، دار النيل، ازمير ١٩٩٢. ورواه ابن خزيمة في كتابه " الناسخ والمنسوخ".

(٢) الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون ص٤٣٥. ويرد كذلك في المكتوب الثالث من المكتوبات ص ٢٠.

(٣) صحيح ابن ماجه ص١٢٧؛ سنن الترمذي ٣٨٠١؛ صحيح ابن حبان٧١٣٢.

(٤) (١٩٢٠-٢٠٠٤م) عالم جليل يتقن اللغات العربية والعثمانية والكردية وله مؤلفات عدة في العلوم الإسلامية.

(٥) يراجع إشارات الإعجاز ص ٧٢، تفسير الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة:٦).

عجباً لأمر المؤمن

أنعم الله علينا سبحانه بسيارة أنيقة مريحة "تويوتا كراون" وسخّر لنا هذه الدابة للذهاب إلى الحج شتاءً والسفر إلى تركيا صيفًا. والحمد لله أولًا وآخرًا.

ولكن في يوم من أيام سنة١٩٨٠ اصطدمتُ بسيارة عسكرية بخطأ مني. فانكسر عظم الترقوة الأيسر ونهاية العمود الفقري أصابتها الرضوض. فبقيتُ مستلقيا على ظهري ثمانية عشر يومًا دون أي حراك. فأصبحتْ عضلات الجسم كلها متكلسة لا تتحرك.

أتاني الأخ (الدكتور عرفان صديق توفيق) الاختصاصي وأجلسني بحذاقته برفق وأنا في الفراش. بدأ الجسم بكامله يؤلمني ألمًا شديدًا. لم أتمالك نفسي أمام هذا الألم فبدأت أبكي وأصرخ دون إرادة وأتوسل إلى الطبيب أن يعيدني فيمددني في الفراش مرة أخرى. لكن دون جدوى فقد كنت أراه ساكتًا لا يتكلم.

استمرت الأوجاع والآلام نصف ساعة. وأنا أبكي بكاءً مرًا لينجدني الدكتور ولكن لا جواب.. ثم قام من مجلسه وطوّق ظهري بيديه بلطف وأخذني حتى أنزلني من الفراش لأتمكن من الوقوف. يا لله ما أعظم هذا الأمر.. أقف على قدميّ!

بدأ الألم يخف تدريجيًا.. وساعدني على أن أخطو خطوة واحدة ثم أخرى ثم أخرى.. يالله ما هذه النعمة.. نمشي ولا نشعر بأنه نعمة! حينها شعرت بهذه النعمة. ثم قال: كنت أعلم أن سيكون لك هذا الألم في العضلات وسيزول تدريجيًا بعد نصف ساعة. وحينها عرفت نعمة التنفس الحقيقي. وعندما تثاءبت لأول مرة.. يا لله ما هذه النعمة.. وكذا الأمور الأخرى.

الجانب الآخر من القضية أن الأقارب والأحباب وأصحابي جميعهم من كركوك وخارجها بدأوا يتقاطرون للزيارة. كان وضعًا عجيبًا وملائمًا لدروس النور؛ فكنت أذكر لهم نتفًا منها وهم بدورهم يندهشون. فتحولت عيادة المريض إلى دروس النور.

والفضل في الأولى والآخرة لله الواحد الأحد.

تذوقت طعوم النعم المهداة إلينا التي لا أشعر بها إلّا بعد فقدانها.. ثم كيف كان هؤلاء الأحبة وبأي وسيلة يجتمعون لأجل أن يستمعوا إلى الحقائق القرآنية في رسائل النور ويذوقوا ما فيها من طعوم الإيمان.. وصدق رسول الله ﷺ الذي قال: (عجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلّا للمُؤْمنِ إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ).[1]

رمز الوفاء

الأخ أحمد عثمان لازمني مدة مرضي من حادث اصطدام السيارة ملازمة الظل والأخ لأخيه، جزاه الله خيرًا.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٩٥٩)، ومسلم (٢٩٩٩)، والدارمي (٢٧٧٧)، وابن حبان (٢٨٩٦).

ويومًا دعاني إلى غداء في بيته وقد دعا رئيس العلماء في كركوك العالم عبد المجيد القطب وهو صديق والدي ورفيقه في الدرس.

فذكر لي الأستاذ عبد المجيد القطب الآتي:

ألقيتُ كلمة في احتفال وكان قاسم بك حاضرًا، وأخطأتُ في جملة خطأً نحويًا. التقاني بعد انتهاء الاحتفال وقال لي: كيف تخطئ خطأً كهذا؟ قلت: ليس خطأ، قال: كيف؟ قلت: ألا يقول ابن مالك كذا وكذا؛ ونظمت بيتًا من عندي لإظهار خطأي صوابًا! وسكت قاسم بك حائرًا. ولما التقينا من يوم غد قال لي: أين هذا البيت من ابن مالك؟ فذكرت له الحقيقة أنني نظمته على وفق منظومة ابن مالك هربًا من عتابه. فضحكنا.

وذكر لي كذلك: أن العالم الجليل سليمان (رحمه الله)(١) كان من أكبر علماء كركوك يدرّسهم العقائد، وعندما بلغوا موضوع "الاقتران" قال لهم: انتقلوا إلى موضوع آخر، هذا الموضوع لن تفهموه.

فقلت في نفسي، ولم أجرؤ على أن أصرّح به احتراما لعلمه: إن رسائل النور قد حلت هذه القضية العويصة بمثال لطيف وقربتها إلى الأذهان. أنقل منها الآتي:

---

(١) هو العلامة الشيخ سليمان بن محمد أغا بن مصطفى خربوطلي زاده. ولد في سنة ١٢٩٨هـ -١٨٨١م بكركوك ودرس على علماء كركوك الأفاضل منهم العلامة الشيخ رضا الواعظ. ونال منه الاجازه العلمية. وقد تخرج على يده جماعة من العلماء الكبار منهم علامة كركوك الشيخ عبد المجيد القطب. وقد شغل عدة وظائف دينية حتى توفاه الله تعالى بتاريخ ١٩٥٤/١٢/٢٦م.

"إن الذي يوهم عَبَدة الأسباب ويخدعهم هو اعتبارُ أحد الشيئين علةً للآخر عند مجيئهما معًا، أو عند وجودهما معًا. وهذا هو الذي يسمى بـ"الاقتران".

وحيث إن عدم وجود شيء ما، يصبح علةً لعدم وجود نعمة، لذا يتوهم المرء أن وجود ذلك الشيء هو علةٌ لوجود تلك النعمة، فيبدأ بتقديم شكره وامتنانه إلى ذلك الشيء فيخطئ؛ لأن وجودَ نعمة ما يترتبُ على مقدمات كثيرة وشرائط عديدة، بينما انعدامُ تلك النعمة يحدث بمجرد انعدام شرط واحد فقط.

مثلًا: إن الذي لا يفتح مجرى الساقية المؤدية إلى الحديقة يصبح سببًا وعلةً لجفاف الحديقة ووسيلةً لموتها، وبالتالي إلى انعدام النعم التي فيها. ولكن وجود النِعم في تلك الحديقة لا يتوقف على عمل ذلك الشخص وحده، بل يتوقف أيضًا على مئاتٍ من الشرائط الأخرى، بل لا تحصل تلك النعم كلها إلّا بالعلّة الحقيقية التي هي القدرةُ الربانية والإرادة الإلهية".[1]

أجواء المحبة ومناخات الأخوة

إن كل من أخذ حظا ولو قليلا من كنوز الحقائق القرآنية في رسائل النور يتوق إلى أن يعلنها إلى العالم ولا سيما إلى كل من يعرفهم. فقد هيأ الله للرسائل شخصًا كريمًا نبيلًا ذا سعة من المال وهو (الحاج متعب مردان) الذي فتح أبواب بيته للضيوف الكرام الذين كانوا يزورونه من

---

(١) تراجع التفاصيل في اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، المذكرة الثالثة عشرة، المسألة الرابعة ص ١٨٦.

كل فج فيستمعون إلى هذه الحقائق رغم أنه ما كان يجيد القراءة إلّا أن كرمه وغيرته على الإسلام وعلى أهمية هذه الحقائق دفعته إلى بذل قصارى جهده لإيجاد مناسبات ومناخات لجمع هؤلاء النخبة سواء بالولائم أو بالسفرات أو بتوزيع الهدايا. كل ذلك أعطى ثمرته بإذن الله في نشر النور إلى أوساط مختلفة في كركوك وخارجها من المدن الأخرى.

ثم رزقنا الله سبحانه أن نحجّ بيت الله معا بسيارتي أو بسيارته مرات ومرات وما رأينا منه إلّا الخير. وما كان يترك ركعتين بعد الوضوء.

ومما تعلمت منه؛ الأدب في زيارة الرسول الكريم ﷺ إذ قال لي:

يا إحسان! عندما تدخل مع الناس لزيارة الرسول الكريم ﷺ لا تتدافع مع أحد من الناس، وإنما قف بخشوع أمام الحجرة الشريفة واستنشق الهواء طويلا وأكثِر من هذا الاستنشاق، فعسى الله أن يرزقك ذرات من الهواء التي مست قبر الرسول ﷺ تدخل إلى جسمك بإذنه سبحانه فتغير من حالك.

وكنا مع بعض الإخوة مرة قريبين من باب السلام للمسجد النبوي الشريف. فقال أحدهم للآخر: تعال لنذهب لزيارة قبر الرسول الكريم ﷺ. أجابه الآخر: أنا لا آتي لزيارة قبر الرسول ﷺ. فتعجب من سمع هذا الكلام. ولكنه عقّب مباشرة، بل آتي معك لنزوره هو ﷺ فهو حيّ في قبره، فالأنبياء أحياء في قبورهم[1].

---

(١) الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون: أخرجه أبو يعلى(٣٤٢٥)، وتمام (٥٨)، وابن عساكر (٣٢٦/١٣) ،الديلمي (٤٠٣)، والبزار(٦٨٨٨)، ،قال الحافظ فى الفتح (٤٨٧/٦): أخرجه

وأخرى كنا في الحج مع عائلته وبسيارته توجهنا من عرفة إلى المزدلفة وإلى منى وكان الازدحام شديدا ووجدنا فسحة ليس فيها أي سيارة ولا أحد من الناس. قلنا ها قد وجدنا مكانا نستريح فيه، وقبل أن نفرش وننزل حاجاتنا رأينا في مكان بعيد خيمة ومجموعة من الرجال، فقلنا لنذهب ونسأل عنهم ما هذا المكان؟ فلما سألناهم إذا به وادي مُحَسِّر[1] الذي أسرع الرسول ﷺ السير فيه. فأسرعنا بمغادرة المكان.

* * *

البيهقى فى كتاب حياة الأنبياء فى قبورهم وصححه. وقال المناوى (١٨٤/٣) : رواه أبو يعلى عن أنس بن مالك ، وهو حديث صحيح.

(١) سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه، ولذلك يسن للحاج الإسراع عند المرور به إن كان ماشيا أسرع، وإن كان راكبا حرك دابته.

نشر الرسائل وطبعها

مجلة التربية الإسلامية

صاحب الامتياز لهذه المجلة هو الأستاذ عبد الوهاب عبد الرزاق السامرائي (ت٢٠٠٦م) من تلاميذ الشيخ أمجد الزهاوي شيخ العراق (رحمهما الله تعالى).. وإكراما له ولخدماته الجليلة للنور كان ضيف الشرف في المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي تحت عنوان: "تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي". الذي عقد في إسطنبول سنة ١٩٩٥م.

تولى هذا الرجل الفاضل نشر مقتطفات مترجمة من رسائل النور في مجلته شهريًا[١] منذ سنة ١٩٧٩.

وأضحى للمجلة الدور العظيم والفضل الكبير في التعريف برسائل النور إلى كثير من شرائح مختلفة من الناس. سواء في العراق أو خارج العراق جزاه الله عنا خير الجزاء.

كنت أتردد إليه كلما سافرت إلى بغداد، وفي إحدى المرات كان الأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان (رحمه الله تعالى) هناك. فسألني: يا

---

(١) ثم جُمعت في كتاب بعنوان " قطوف من أزاهير النور" طبع في العراق بمطبعة العاني ببغداد ١٩٨٤م.

أخ إحسان كيف الحال؟ وماذا تعمل؟ قلت: أستاذي أترجم للنورسي. وماذا تترجم؟ قلت: رسالة "حكمة الاستعاذة". وماذا فيها؟ قلت: لماذا نستعيذ بالله من الشيطان؟ ولماذا خلق الله الشيطان؟ وإذا أردتم يا أستاذي فالترجمة موجودة في السيارة وهي في الباب. فأشار إليّ أن ائت بها. فأتيت بها وسلّمتها إليه. ثم قال: وماذا يقول في محيي الدين بن عربي؟ قلت: يقول:

"إن محيي الدين بن عربي مهتدٍ ومقبولٌ، ولكنه ليس بمرشدٍ ولا هادٍ وقدوةٍ في جميع كتاباته، إذ يمضي غالبًا دون ميزان في الحقائق، فيخالف القواعد الثابتة لأهل السنة، ويفيد بعض أقواله -ظاهرًا- الضلالة غير أنه بريء من الضلالة، إذ الكلام قد يبدو كفرًا بظاهره، إلّا أن قائله لا يكون كافرًا"[1]. فسكت سكوت الرضا. ورجوته أن يكتب رأيه في الترجمة. فكتب في ورقة صغيرة وسلّمها إليّ في زيارة أخرى لإدارة مجلة التربية الإسلامية. ووجدت في الوريقة أنه يطلب مني الاستمرار في الترجمة. ويوصيني: إذا وجدتم شيئا من الغموض في بعض العبارات فوضّحه بعبارة واضحة.

وكان لي لقاء آخر في مقر مجلة التربية الإسلامية مع الأستاذ إبراهيم منير المدرس (ت ٢٠١٣م) رحمه الله، فقال لي: يا أخي إحسان إن مقالة الأستاذ النورسي حول "الوسوسة وعلاجها" قد حازت على إعجاب العلماء حين اجتمعنا، وقلنا كأن الأستاذ النورسي أخذ زبدة جميع تلك الكتب التي فيها هذا الموضوع.

---

(١) اللمعات، اللمعة الثامنة والعشرون ص ٤٠٩.

طبع رسالة الحشر المترجمة

وفي سنة ١٩٨٣م وبعد أن أكملنا بفضل الله ترجمة "رسالة الحشر" وأُجريت عليها التصحيحات المرجوة، أصبحت هذه الرسالة جاهزة للطبع؛ ولكن أمرين كانا يحولان دون ذلك:

الأول: ليس لدينا تكاليف الطبع..

والثاني: نخشى أن ترفضها دائرة رقابة المطبوعات.

ولكن رب العالمين شرح صدرنا إلى أمر وهو أن أستدين من مدخرات أبنائي وأضيف إليها من راتبي، ومن ثم نبحث عن أرخص مطبعة تتكفل بالطبع.

أما الأمر الثاني فليس أمامنا إلّا الالتجاء إلى الرب الرحيم.

فتوكلت على الله وسافرت إلى بغداد فقدّمنا الرسالة إلى دائرة رقابة المطبوعات وأعطونا رقم هاتفهم، وقالوا: اتصل بنا بعد بضعة شهور لنوافيك الجواب سلبًا أو ايجابًا. وتدرعنا بالصبر على مضض وكنت أعاود الاتصال بدائرة الرقابة بين الفينة والأخرى. وأخيرًا صدرت الموافقة بحمد الله وفضله وتسلمنا الرسالة وعلى كل صفحة من صفحاتها ختم الرقابة: (يسمح).

وعندها فكرنا بالبحث عن مطبعة. ساعدنا في هذا (الدكتور نظام الدين عبد الحميد) الأخ الأكبر للدكتور محسن عبد الحميد. جزاه الله عنا خيرًا كثيرًا. كانت المطبعة بدائية جدًا وتنضيد الحروف باليد حرفًا حرفًا وكان العامل الوحيد الذي يعمل فيها هو صاحبها ومنضدها ومصححها أو بتعبير آخر ليس هناك شخص آخر غيره. فيصفّ

الحروف لعدة صفحات. وكنت أتصل به من كركوك وكان كلما انتهى من تنضيد بعض صفحات الرسالة يطلب مني الحضور إلى بغداد للقيام بعملية التصحيح. وهكذا إلى أن كمل الكتاب.

وعندما وصل الكتاب إلى المكتبات، لقي إقبالا من لدن القراء والحمد لله، فطبعناه طبعة ثانية في مطبعة جيدة (مطبعة العاني). وسددنا ديون الأولاد. وبدأنا بالكتاب الثاني ثم الثالث، وكلما زاد المبيع صار لدينا من المال ما يمكننا من الطبع في مطبعة أرقى. ولم نستدن من أحد قط. وبلغ مجموع الرسائل التي طبعت في العراق ٤٢ رسالة وبعضها طبعت طبعتين. والفضل لله والبركة منه تعالى.

ومن الطرائف

أنه في أثناء تصحيح "رسالة الحشر" وجدت كلمة عجيبة لم ترد في الرسالة وهي (السكر والشاي).

قلت للعامل: يا أخي من أين أتيت بالشاي هذا؟ قال: رأيت السكر وقلت لا بد أن معه شاي والأستاذ قد نسيه. فقلت له: يا أخي هذا السُكر وليس السكّر. انظر للجملة: "وهو تنبيه رباني لذوي المشاعر الذين أنسَتهم الغفلة مهامهم، ومنعهم السُكر عن الشكر". فصحح الخطأ. على كل حال انتهى الطبع في هذه المطبعة وربما كانت "رسالة الحشر" هي آخر ما طبعته.

أم سعد

كانت زوجتي الكريمة معلمة في مدرسة قريبة من البيت. وهي أم لخمسة أولاد. وصاحبة تقوى وورع بفضل الله. أصيبت في

١٩٨٤/٥/٢م بجلطة دماغية شلّت النصف الأيمن منها؛ اللسان والأيمن من اليد والرجل.

يصفها أخونا الأديب عشراتي في مذكراته:

"وأم سعد أجملت لغتها في كلمة واحدة فذة هي "الله"، تردّ بها على كل سؤال وتفتتح بها كل مقال، تكررها راضية أو مكدرة، ملبية ومؤكدة، مجيبة أو مستجيبة.. فهي امرأة تعيش السبق، وتعلِّم الناس كيف تستطيع كلمة واحدة أن تسيّر شؤون هذه الحياة التي تتبارى المدنيات في تكبير أسباب البلاغة والبيان من أجل حيازة مباذلها الفانية، أشبه بمن يكَبِّر الخرج ويوسع أقطاره حتى يجمع أكبر قدر من الربح، طوبى لأم سعد، صامت عن الكلام، وجعلها الله تداوم على الذكر قاصدة وغير قاصدة، فهي لا تلفظ من معاجم الناس إلّا كلمة "الله"، تنام بها وتصحو عليها وترحل وتقيم عليها "[1].

وسلواننا في هذا هو ما يبشر به الأستاذ النورسي في الدواء الثاني والعشرين من اللمعة الخامسة والعشرين "رسالة المرضى"، حيث يقول:

" أيها الأخ المريض بداء عضال كالشلل! إنني أبشّرك أولًا بأن الشلل يعدّ من الأمراض المباركة للمؤمن. لقد كنت أسمع هذا منذ مدة من الأولياء الصالحين، فكنت أجهل سرّه، ويخطر الآن أحدُ أسراره على قلبي هكذا:

إن أهل الولاية قد تعقّبوا بإرادتهم أساسَين مهمّين للوصول إلى الحق تبارك وتعالى نجاةً من أخطار معنوية عظيمة تَرِد من الدنيا وضمانًا للسعادة الأبدية. والأساسان:

---

(١) في ضيافة النوريين.

أولهما: رابطةُ الموت، أي أنهم سعوا لأجل سعادتهم في الحياة الأبدية بالتفكر في فناء الدنيا وبأنهم ضيوف يُستخدمون لوظائف موقتة.

وثانيهما: إماتةُ النفس الأمارة بالسوء بالمجاهدات والرياضة الروحية لأجل الخلاص من مهالك تلك النفس، والأحاسيس التي لا ترى العقبى.

فيا أخي الذي فَقَد من كيانه نصفَ صحته! لقد أُودع فيك دون اختيار منك أساسان قصيران سهلان، يمهّدان لك السبيل إلى سعادتك الأبدية، ويذكّرانك دائمًا بزوال الدنيا وفناء الإنسان. فلا تتمكنُ الدنيا بعدئذ من حبس أنفاسك وخنقك، ولا تجرؤ الغفلةُ على غشيان عيونك. فالنفس الأمارة لا تتمكن بالشهوات الرذيلة أن تخدع مَن هو نصف إنسان، فينجو من بلائها وشرها بسرعة. والمؤمن بسر الإيمان والاستسلام والتوكل يستفيد من داء عضال كالشلل بأقصر وقت استفادةَ المجاهدين من أهل الولاية بالرياضة في المعتكفات، فيخفّ عليه ذلك الداء".[١]

وعلى الرغم مما أصابها من تعطل اليمين إلّا أنها كانت تهيّئ باليسار ما تقدمه للأضياف الذين يترددون إلينا للاستماع إلى رسائل النور. فحقًا أنها كما وفّت حق خدماتها أيام صحتها لم تقصر عنها في أيام مرضها قط.

ولهذا من لا يعرف ما وراء هذا الابتلاء من بركات وحكم، كان يقول لي: لماذا لا تتزوج؟ فكان هذا الكلام إيذاء وأيّ إيذاء لي، يجرح أعماقي وكنت أجيبهم بالحسنى وأكظم الغيظ. وصدق الشاعر:

---

(١) اللمعات، اللمعة الخامسة والعشرون ص٣٠٩.

غَاض الوفاءُ وفاض الغدرُ وانفرجتْ

مسافةُ الخُلف بين القول والعمل[1]

تنبيه في رؤيا

ولما انتهت ترجمة رسالة "الثمرة" بفضل الله تعالى وأعددناها للطبع، ساورني الخوف ألّا تسمح بطبعها رقابة المطبوعات، لما فيها من حديث عن أحوال السجن. فاقترح عليّ الأستاذ محسن عبد الحميد أن وزارة الأوقاف لمناسبة القرن الخامس عشر الهجري تتكفل بطبع الكتب الإسلامية، فما عليك إلّا أن تسلمها إلى وزارة الأوقاف لطبعها لتنجو من تبعات الموافقة وغيرها. وفي الحقيقة مِلتُ قليلا إلى هذا الرأي.

وفي هذه الأثناء رأيت الأستاذ النورسي في رؤيا صادقة إن شاء الله، في بيتنا الذي قضيت فيه حياة الطفولة والصبا، رأيته في أعلى الدرج الموجود في فناء البيت وأنا في الفناء أنظر إليه، وقرأ عليّ الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران:١٢٣).

ولما صحوت استقر رأيي على أن أمضي في تقديم الرسالة إلى دائرة الرقابة شأنها شأن الرسائل السابقة. وهكذا حصل. وسمحت الرقابة، وطُبعت طباعة فاخرة في مطبعة الزهراء الحديثة بالموصل. والحمد لله أولا وآخرا.

(١) ديوان الطغرائي، الغيث المسجم في شرح لامية العجم ٣٤٣/٢ شرح صلاح الدين الصفدي، دار الكتب العلمية بيروت١٩٧٥.

أسعد إنسان

أردنا أن نقدم رسالة " مرشد الشباب" للطبع، فطلبت رقابة المطبوعات منا نسخة أخرى مستنسخة مع النسخة الأصلية، فاضطررنا إلى استنساخها. وفي محل الاستنساخ لفتت نظر العاملة الفقرة الآتية بعنوان "أسعد إنسان" التي وضعناها في الغلاف الخلفي، وقالت: وهل يوجد إنسان كهذا؟ أرجو أن تعطوني نسخة من الكتاب بعد الطبع، فوعدناها، ولكن طبع الكتاب ولم نصل إليها مع الأسف، وإلى الآن يحز في قلبي ألم الأسف.

والفقرة هي:

"لما كانت الدنيا فانيةً.. والعمر قصيرًا.. والواجبات كثيرة.. وأن الحياة الأبدية تُكسب هنا، في الدنيا.. وهي ليست بلا مولى.. فللمضيف ربٌّ كريم حكيم.. لا يضيّع جزاء السيئة ولا الحسنة.. ولا يكلّف نفسًا إلّا وسعها.. وحيث إن السبيل السوي وما فيه أذى لا يستويان.. ولا يجاوز باب القبر أخلّاء الدنيا وجاهها..

فلا بد أن أسعد إنسان هو مَن: لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا.. ولا يضحي بآخرته للدنيا.. ولا يفسد حياته الأبدية لأجل حياة دنيوية.. ولا يهدر عمره بما لا يعنيه.. ينقاد للأوامر انقياد الضيف للمضيّف. ليفتح باب القبر بأمان.. ويدخل دار السعادة بسلام".[1]

---

(١) المكتوبات، المكتوب السادس عشر ص٨٩.

ذكريات عن سعيد النورسي

وفي هذه الأثناء ترجم ابني البار "أسيد" إلى العربية مجموعة منتخبة من كتاب "الشهود الأواخر"[1] التركية، تحت اسم" ذكريات عن سعيد النورسي" وصمم غلافه الأخ (معتصم نامق) جزاه الله خيرًا. وغدا هذا الكتاب مقبولا لدى القراء، حيث طبع بعد العراق في مصر وفي المغرب.

وقدمت للكتاب بالآتي:

" لا أخفي ما أشعر به من سعادة وانشراح من أعماق روحي وأنا أكتب هذه الكلمات القصيرة لهذه الذكريات الجميلة، وهي باكورة أعمال ولدي الحبيب.. فالحمد لله أولًا وآخرًا.

ولئن تعذر في زماننا هذا مصاحبة الصالحين لندرتهم أو لصعوبة الوصول إليهم والتشرف بين أيديهم، فلتكن مجالستهم والعيش معهم في ذكرياتهم العطرة: فهم القوم لا يشقى جليسهم، وقديمًا قيل: وخير جليس في الزمان كتاب....

واختتمتها بالآتي:

وفي الوقت الذي نبارك هذا الجهد المتواضع والجدول الرقراق من ذلك النهر الهادر من الذكريات، نسأله تعالى أن يوفق إلى المزيد منه فتتوالى أمثالها من الذكريات عن حياة الأستاذ النورسي المليئة بالدروس والعبر والحكم حتى تستكمل - بإذن الله - معظم جوانبها أو أكثرها بما يوفي ويشفي.

---

(١) الكتاب في سبعة مجلدات، لنجم الدين شاهينر. ترجمه إلى العربية مأمون رشيد عاكف في أربعة مجلدات. وطبع في دار نشر سوزلر بالقاهرة٢٠١٢.

هذا ولم يكن حظي في مراجعة هذه الذكريات سوى الهوامش مع المقدمات المقتضبة للفصول: وما يستوجب الكتاب من تشذيب أو تقديم وتأخير لبعض الجمل والفقرات". اهـ.

الأخ أديب إبراهيم الدباغ

أخونا الأديب أديب إبراهيم الدباغ أنعم الله الكريم عليه بالإقبال على الرسائل حتى أصبح مشبعا بل مترعا بها. وفضله على ترجمة الرسائل كبير، فقد راجعها كلمة كلمة وشجع على إتمام العمل بترجمتها. وكتب مقدمات لأغلب الرسائل وألّف عددًا من الكتب حول الرسائل. منها:

مختارات من المثنوي العربي النوري، وسعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان، وحركة التاريخ بين النسبي والمطلق، فجر المسلم المنتظر، والبعد الحسي للإسراء والمعراج، والصور والمرايا في رسائل النور، وأصداء النور، وآفاق النور. والسنة النبوية سنة كونية وحقيقة روحية، ومطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، وبحوث لا تعد ألقاها في المؤتمرات والندوات التي أقيمت في إسطنبول وأحيانا في الخارج.

ويصفه الأستاذ سليمان عشراتي في مذكراته:

"قابلنا الأستاذ الدمث أديب الدباغ، صوته ناعم، يداوي من الوجع، ونظرته هادئة، هو في مسلكه وكياسته كالناقه، كالعابد، كالمستحيي، هل تسكنه حيرة داخلية فتحجب عنه جانبا من بهرج الحياة؟ ما الحزن الذي يسكن داخلك يا أستاذ دباغ؟ ولا يفتأ يلح علينا لنزوره، ولا يفتأ يبدي الرجاء للقاء والمؤانسة، هذا رجل يجوع للتسرية والسياحة العقلية،

غربته مزدوجة، ولكنه يرشح بِوُدٍّ سائغ، مريء، كأنه عناقيد الكرمة في موسم الجني، أشعر الآن وأنا ألقاه وجها لوجه، أنني أقرأ كتبه، أجد فيه نفس النسغ نفس العذوبة. شعريته فائقة العيار، حديثه يروق كأنه الشهد، كأنه الشعر، ونبرته موزونة، ألا تسمعون لصوته تقطيعا هارمونيكيا؟".[١]

مقدّمات لا بُدَّ منها بين يدي الرسائل:

يفصح أخونا أديب الدباغ عن تجربته في قراءة رسائل النور بأنه لا بد لها من مقدمات، ويذكر هذه التجربة، التي يشعر بها كل قارئ للرسائل إلا أنه قد لا يقدر على هذا التعبير الأدبي الجامع، فيقول:

"فحدَّةُ الذهن، وسعةُ التخيّل، ويقظةُ البديهة، وحضورُ القلب، مقدّماتٌ لا بُدَّ منها بين يدي "الرسائل" لكونها فكرًا إبداعيًا حافزيًا لم يسبقه تمهيد أو توطئة، فيصدُم الذهنَ بشكل حادّ، ويهزّ أوتار القلب المسترخية، ويَرُجّ أمواج الروح الساكنة، ويرفع القارئ فجأةً وعلى حين غِرَّة من مشاغل يومه، واهتمامات أَمْسِهِ وغَدِه، إلى مسائل الأبدية التي تتجاوز أعمار الأكوان وأعمار الأجيال، وهو أمرٌ عظيم لا يقدر على معالجته إلّا فكر عظيم، كما لا يقوى على استقباله واستيعابه إلّا ذهن متفتح، وروح متحفز، ونفس مشتعلة، ووجدان مشرق، وبديهة فطنة، وضمير ذكي.

ويكفي أن نعلم أنَّ "الرسائل" إنما هي "صدى صوت القرآن"، فهي مكتوبة من ضياء قلب صاحبها وعقله، فقارئها لا تخطئه من خلال سطورها نفحات القرآن ولمعاته وسانحاته ورشحاته ونضحاته"[٢].

---

(١) في ضيافة النوريين.

(٢) النهج الروحي في إدراك العمق الإيماني في رسائل النور، ورشة عمل في منهجية رسائل النور.

ظروف التحقيق

لنستمع إلى وصف تلك الظروف من الأستاذ عشراتي في مذكراته أيضًا. إذ يقول عن لساني:

"وحدّثني (قاسم) عن الظروف التي شرع يحقق فيها كتاب المثنوي وإشارات الإعجاز، قال:

كنت مدرسًا ولم أدخل تنظيم البعث، أخرجوني من التعليم ووضعوني قيّمًا على مخزن (أوزع الطباشير، الأقلام، إلخ) طالبتُ بإحالتي على التقاعد لكنهم كانوا يريدون إهانتي فلم يستجيبوا لي، ثم تقاعدتُ بعد مدة، وارتحت مع أهلي، كانت زوجتي مريضة. جاء يومًا مسلحون فأخذوني إلى رئيس قسم الحزب وطلبوا مني أن أنخرط في الجيش الشعبي، (١٩٨٧-١٩٨٦م) فأحسست بمنتهى الخزي، تمنيت الموت.. في الجيش كنا نعسكر فوق ربوة تجاور منطقة تركمانية وعربية ومن الجهة الأخرى منطقة كردية، وبطبيعة الحال كانت الحكومة هي المستفيدة سواء أقاتلنا الأكرادَ أم قتلونا، لأننا قوة من جند غالبيتهم تتشكل من غير الحزبيين. كانت المنطقة في مرتفع والرابيات تشرف على جبل، وكان الحر شديدًا داخل الرابية، والحياة قاسية بها، وكان يغمى عليّ مرارًا من القيظ، في تلك الظروف بدأت أنام بعد صلاة العشاء مباشرة لأستيقظ قبل صلاة الصبح، أشعل مصباحًا زيتيًا صغيرًا، واشتغل بتحقيق المثنوي العربي النوري ومن معي نائمون، فإذا استفاقوا أكون قد أنهيت عملي.

حققت بفضل الله تعالى (المثنوي) و(إشارات الإعجاز) في هذا الجو، ولقد أشرت في مقدمة كتاب "إشارات الإعجاز" إلى ذلك: "لقد

مرت عليّ سنواتٌ عجاف.." الضغط والشعور بالخزي يولد في الإنسان طاقة لا تصدَّق، بقيت تسعة أشهر في الجيش الشعبي، ثم فرّج الله كربتي وتمّ تسريحي، وعدت إلى البيت، وكان في الوسع أن أهرب من العراق، لكنني لم أفعل.

كنت أسمع إلى قاسم يسرد لي هذه الوقائع من حياته، وكنت أتأمله وأتابع كلماته بشبه خشوع، إنني أراه رضي النفس، تجلله حال واضحة من الشكر، يعكسها هذا السمت الرخي الذي هو فيه، والروح المطمئنة الملوحة من قسماته.."[١]

لا تفهمه ما لم تعشقه

بعد أن أكرمني المولى الكريم بإنهاء تحقيق المثنوي العربي النوري كما بينتُه في مقدمته. اتصلت بالأخ أديب إبراهيم الدباغ الذي أصدر من قبل كتابه "مختارات من المثنوي العربي النوري" وطبع في الموصل بمطبعة الزهراء الحديثة.

فقلت له: يا أخي لقد عشقت كتاب المثنوي العربي النوري. فأجابني جوابا شافيا وافيا.

قال: لا تفهمه ما لم تعشقه.

وكتب -جزاه الله خيرًا- مدخلًا ضافيًا للمثنوي العربي النوري المحقَّق، أقتطف منه هذه العبارة، فما أصدَقها وما أبلَغها:

"ونكاد نلمس بين سطور «المثنوي» غبار الصراع الدؤوب الذي خاضه «النورسي» بشجاعته ضد تمردات نفسه وجنوحاتها قبل أن

---

(١) يوميات عاكف في الوقف.

تسلس له القياد، وتسلم له الزمام، حتى إننا لنتعاطف معه، ونأسى من أجله ونحن ننظر بعين الخيال إلى ما عاناه هذا الرجل من عذاب قبل أن يحقق انتصاره النهائي على الجانب المُستعصي من نفسه.

وما من أحد من المؤمنين إلّا وله مع نفسه العصية مواقف أو بعض مواقف -كالتي كانت للنورسي مع نفسه- مع اختلاف درجات التوتر والقلق والصراع ضعفًا وقوةً، وقلةً وكثرةً، في الأشخاص، تبعًا لدرجات إيمانهم ويقينهم؛ لذا فما من أحد إلّا وله في تجربة النورسي ما يفيده بدرجة أو بأخرى".[١]

سبب تحقيق المثنوي

إن مما دفعني إلى القيام بتحقيق هذا الكتاب بهذا النمط من التحقيق المتواضع هو:

أولًا: حاجتي الماسة إلى من يرشدني إلى دروب النفس الأمارة بالسوء، ويكشف لي عن دقائق مسالكها وخبايا دسائسها، ويضع أمامي علاج أمراضها المتنوعة، ومن ثم يأخذ بيدي إلى منابع الإيمان في رياض الكون الفسيح لأنهل منها ما أنهل حتى يرتوي القلب ويشبع العقل وتنبسط الروح.. بمعنى أنني قمت بهذا التحقيق لنفسي قبل كل أحد.

ثانيًا: وجدت أن كثيرًا من الباحثين والمفكرين يرومون الوصول إلى أُصول فكر الأستاذ النورسي، ويهمهم أن يوغلوا معه في أعماق تجاربه مع النفس، وأن يرافقوه في سريان روحه في أرجاء الكائنات، ويعملوا فكرهم فيما نصبه من موازين علمية ومعايير منطقية ومناهج فطرية؛

---

(١) المثنوي العربي النوري، المدخل ص٣٧.

فأردت أن أضع بين يدي هؤلاء الأفاضل هذا السفر النفيس من مؤلفات الأستاذ الذي عدّه مشتل رسائل النور وغراسها حيث فيه خلاصة أفكاره، بل إن أغلب ما أزهر من أفكاره -في رسائل النور- بذوره كامنة في هذا الكتاب.

ولما كان الغوص في هذه الأمواج الزاخرة من الأفكار والخواطر والمسائل وإخراج لآلئها الثمينة ودررها النفيسة ليس في طوقي، فاكتفيت بهذا التحقيق، ليجد أولئك الكرام بين أيديهم نسخة كاملة من الكتاب، فيبذلوا فيه جهدهم لعل المولى القدير يقيّض منهم من يضطلع للقيام بتلك المهمة التي أعجز عنها، فيسدّ جوعة الروح وهزال الفكر التي يعاني منها الكثيرون.. بمعنى أنني قمت بهذا التحقيق لهؤلاء الأكارم.

ثالثًا: إن كل مسلم بل كل إنسان يشعر في قرارة نفسه أنه بحاجة إلى تربية روحه وتزكية نفسه وتنمية عقله وتوسيع آفاق خياله، فتراه يتلمس مبتغاه من مظانه من الكتب.. فأردت أن أضع هذا الكتاب القيم أمام كل مسلم، بل كل إنسان ليرى نمطًا جديدًا وفريدًا من أساليب التزكية والتربية، قلما يجده شاملًا متكاملًا في كتاب آخر؛ حيث إنه يمزج أدق الموازين العقلية والمقاييس المنطقية بأرفع الأشواق القلبية وأسطع التفجرات الروحية ضمن أمثلة ملموسة تكاد لا تخفى على أحد، آخذًا بيد القارئ برفق، متجولًا معه في ميادين النفس والآفاق، مبينًا له ما توصل إليه من نتائج يقينية، بعد تجارب حقيقية خاض غمارها تحت إرشاد القرآن الكريم.. بمعنى أنني أردت أن أبيّن بهذا التحقيق هذا المنهج القرآني الفريد لكل مسلم، بل لكل إنسان.

قبل كل ذلك وبعده؛ فإن قطرة من عمل خالص لوجه الله أعظم من بحر من الأعمال المشوبة، فأملي بالله عظيم أن يتقبل هذا التحقيق المتواضع خالصًا لوجهه الكريم، وأتضرع اليه تعالى أن يهيئ في مقبل الأيام من يوفي حق هذا الكتاب من الشرح والبيان ليعم النفع ويجزل الثواب.

لطف الرب الرحيم

بعد إكمال كل ما يتعلق بتحقيق كتاب "المثنوي العربي النوري" بفضل الله تعالى من تصحيح وتنظيم واستحصال موافقات الجهات المعنية على طبعه وتوزيعه، ساورني هاجس من الخوف والشك من إمكانية طبعه بسبب عدم توفر الأوراق في الأسواق المحلية، إذ كانت الأوراق تباع مركزيًا من قبل الدولة والحصول عليها عادة بشق الأنفس. فأودعت الأمر إلى لطف الرب الرحيم.

زارني في هذه الأثناء أحد طلابي السابقين كنت قد درّسته في ثانوية المصلى في الستينات، لم ألتق به منذ زمن طويل، وتبين بأنه يتابع منشورات رسائل النور التي أترجمها. وفي ثنايا الحديث قال: أستاذي كتبتم في ظهر رسالة "سلوة المرضى"، أنكم تنوون نشر كتاب الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي الذي كتبه باللغة العربية بعنوان "المثنوي العربي النوري"، إلى أين وصلت جهودكم في نشره؟ لأنني متلهف لأن أطلع على كتاباته بأسلوبه المتميز باللغة العربية مباشرة من دون ترجمة؟

بعد أن شرحت له بعضًا من مضمون الكتاب قلت: انظر إنه مركون فوق المكتبة. لم نستطع طبعه بسبب شح الورق، لقد توقعنا بأن تجري

الأمور بسهولة ويُسر، كما يسر الله عز وجل أمر تحقيقه وإعداده. ولكن أزمة عدم توفر ورق الطباعة بسبب سيطرة الدولة على بيعه وتوزيعه حالت دون ذلك فضلا عن ذلك فإن المطابع الأهلية لا تطبع الكتب إلّا إذا أحضر المؤلف أو الشخص المعني الورق معه! لهذا السبب ركنّا الكتاب جانبا في طرف إلى حين أن يفرج الله ونحصل على الورق؛ لا سيما أن عدد صفحاته يتجاوز الستمئة صفحة.

فنهض الأخ وتناول مسودة الكتاب من فوق المكتبة، تصفحها، قرأ بعض الأسطر منها. وقال: إن هذا الكتاب يجب أن يطبع ويوزع على الناس ليشموا أريجه، وينتفعوا من درره، ويتأملوا عمق معانيه، ويغوصوا في بحار تجلياته. وأضاف، قائلا: أستاذي، هل يمكن أن أقدم أية خدمة لتسهيل طبعه؟ ثم سأل عن الجهة المعنية بتوزيع الورق.

قلت: إن فعلتَ ذلك فجزاك الله خيرًا، وأعلمته بأن وزارة التجارة هي المسؤولة عن توزيعه.

قال: لي بعض الأصدقاء في تلك الوزارة بمستوى مدير عام، ويمكن إن شاء الله أن يساعدنا أحدهم لتسهيل هذا الأمر.

أخذ الأخ، بحماسته وجديته المعهودة، ملف الكتاب المحقّق المسموح به من قبل الرقابة مع عريضة بطلب الورق.

انتظرت مدة ليست بقصيرة، بل طال الانتظار. وفي أحد الأيام، رن جرس الهاتف في منزلي وإذا بالطرف الآخر الأخ يبشرني بأن الله سبحانه وتعالى قد سهل الأمر ويسره ويمكنني تسلم الورق من (معمل القطن الطبي القديم) الكائن في منطقة الوزيرية في بغداد يوم السبت "حتما" لأنه بعد أسبوع سيبدأ الجرد السنوي للمخازن وأعلمني بأن

ملف المعاملة مع مدير المخزن فما عليّ إلّا أن أعرّفه بنفسي وسيجري اللازم. أحسست من نبرات صوته كم هو سعيد ومغتبط وهو يسوق لي هذه البشرى.

قلت: ولكن كيف حصلت على الورق؟!

قال: أستاذي العزيز! إنها قصة مشوقة، ولعل فيها نفحات من بركة أستاذنا بديع الزمان سعيد النورسي.

قلت: فما هي القصة؟

قال: سأرويها لك عندما نلتقي بعد عودتي من نيويورك لأنني سأسافر إليها غدا الجمعة.

وفي يوم السبت صباحا ذهبت إلى مخزن الأوراق وتسلمت الكمية التي تكفي لطبع ٢٠٠٠ نسخة.

وبعد مدة، ليست بقصيرة زارني تلميذي الأخ المذكور في منزلي في كركوك وقص عليّ الآتي:

قال: كان ذلك يوم الخميس بعدما كلّت محاولاتي للاتصال بأحد المعارف في وزارة التجارة، قررت الذهاب بنفسي لزيارة زملائي الذين أعرفهم منذ عملي السابق فيها.

ذهبت بكل ثقة إلى وزارة التجارة ومعي ملف المعاملة كاملة. ولكني صدمت عندما لم أجد أحدًا منهم في الوزارة. فالأول أعلمني سكرتيره بأنه ذهب مع السيد وزير التجارة لتفقد بعض المنشآت وربما يتأخر في العودة، والثاني في إجازة مرضية، والثالث مسافر إلى خارج العراق بمهمة رسمية. فأصبت بخيبة حقيقية. ونظرت إلى المعاملة التي بيدي، أصابني

دوار الخجل حيث وعدتكم بأداء هذه الخدمة، فقلت: لاحول ولا قوة إلّا بالله. خرجت من بناية الوزارة، وأنا على بابها وكأن هاتفا أسمعه يخاطبني ويقول: "اذهب إلى الجهة التي توزع الورق مباشرة، إن هذا الامر لا يتطلب الواسطة" وعندها قلت لنفسي: يبدو أن هذا الرجل (النورسي) لا يريد الواسطات فقرأت آية الكرسي على العريضة المقدَّمة من قبلكم وتوجهت إلى مقر توزيع الورق. وصلت إلى المخزن في الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة أي قبل انتهاء الدوام الرسمي بربع ساعة فقط وإذا بي أرى إعلانًا مكتوبًا فيه: بمناسبة قرب انتهاء السنة المالية يرجى عدم المطالبة بالتجهيز بالورق. فجمدت ثانية في مكاني بعد طول هذا التعب والحماس والخجل. ولكن إذا بأحدهم يناديني من داخل الغرفة، وأنا أمام الشباك، ويقول: تفضل ماذا تريد؟ قلت: أريد أن تساعدنا في تجهيزنا بورق لنطبع هذا الكتاب. تسلم الملف قرأ اسم الكتاب وقال: خيرًا إن شاء الله. كم بندًا يكفي؟ قلت: تفضل هذه هي المعلومات الكاملة عن الكتاب وعدد صفحاته، فقدمت ما بيدي من وثائق. اطّلع عليها فكتب ما كتب على ورقة صغيرة ووضعها على الملف وقال: راجعني يوم السبت صباحًا لدفع الثمن واستلام الورق. قلت له: إنني لست صاحب الكتاب ولكن محقق الكتاب سيحضر يوم السبت لإكمال المعاملة، فقال: أهلًا وسهلًا به..

والحمد لله أولًا وآخرًا.

وإلى هنا لم تنته القصة مع تلميذي الأخ الكريم، كتبت ما تقدم من الأسطر وأرسلتها إليه ليطلع عليها طالبًا منه أن يضيف أو يعدّل ما يراه لحيثيات القصة فأعادها إليّ بعد أن حذف اسمه الكامل مع هذه العبارة:

"أستاذي الكريم! إن أشرف عمل يقوم به الإنسان هو أن يخدم العلم والعلماء. فإنني لم أفعل أي شيء ولكن الله سبحانه يسّره لي وسيّرني وقادني إلى فعل هذا الخير، فأدعو الله أن يتقبله خالصًا لوجهه، وأن يزيدنا من بركات أستاذنا بديع الزمان، وأن يمد بعمركم المديد، وجزاكم الله خيرًا لتلطفكم بإشراكي وتشريفي لأداء هذا الجزء الضئيل من الخدمة".

شعرية النص في "المثنوي العربي النوري"

أبلغني الأستاذ الدكتور حسن الأمراني (جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب) هاتفيًا أنه كتب بحثًا للمؤتمر العالمي الثالث (أيلول ١٩٩٥) بعنوان "شعرية النص في المثنوي العربي النوري". فظننت أنه يقصد المثنوي الرومي، ولما استفسرت عن الأمر قال: أرسل رقم الفاكس أرسله إليكم حالًا. وحقًا إنه دراسة أدبية رائعة حتى إنه جعله موضوعًا مستقلا في كتابه "النورسي أديب الإنسانية" الذي طبعته دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ٢٠٠٥:

يقول في المقدمة:

"(المثنوي العربي النوري) يتضمن كثيرًا من النظرات النقدية المتعلقة بالشعر والأدب، بالإضافة إلى النصوص الإبداعية التي يستطيع القارئ، دون عناء كبير، أن يقف عليها، ولا سيما في تلك المناجيات الروحية التي كان يتقدم بها في رسائله، ويرى أن بعضها لا يعدو أن يكون "رقص الجذبة بنوع وزن يشبه الشعر، وليس بشعر بل قافية ذكر في جذبة فكر" وهي في الحقيقة تتضمن كل خصائص الشعر، بل هي بالإضافة إلى

إيقاعها المبين تشتمل على أوزان خاضعة لتفعيلات الخليل، ولا سيما الرجز". اهـ.

وأنقل هذا الوصف الرائع للروح الشاعرية للأستاذ النورسي من أخينا أديب إبراهيم الدباغ:

"إنَّ النورسي نفس شاعرة، وروح لهيف، وقلب مشتاق، ووجدان رقيق مرهف، وبصيرة نفاذة مذواق، وبصر لمّاح رصّاد لا تفوته بارقة من بوارق الجمال الكوني، ولا تفلت منه سانحة من سوانحه. وطائر عجيب يلقط لآلئ الحسن من فوق جيد الوجود. وظامئ عطش يترشف زلال الجمال من رضاب ثغور الأكوان.. ومع كونه يملك كل صفات "الشاعر العظيم" إلّا أنه لم يقل شعرًا، أعني أنه لم ينظم شعرًا كما ينظم الشعراء، ولكن ما قاله في "المثنوي" رغم أنه يحمل ميزات "النثر" ومقوماته شكلًا وقالبًا، إلّا أنه شاعريّ الروح والنفس وجداني الانسياب، رشيق في صوره وأخيلته، مع عمق أفكاره ودقيق معانيه!".(١)

رسالة المعجزات الأحمدية

يقول الأستاذ النورسي في ختام رسالة المعجزات الأحمدية:

"...شرعت بتأليف هذه الرسالة متوكلًا عليه وحده، فحصل من التوفيق الإلهي ما جعل حافظتي قويةً بحيث كانت تمدّني إمدادًا يفوق بكثير حافظةَ "سعيد القديم" حتى كُتبتْ نحو أربعين صحيفة في سرعة فائقة خلال ما يقرب من أربع ساعات، بل كُتبتْ خمس عشرة صحيفة في ساعة واحدة. وكانت النقولُ على الأغلب من كتب الأحاديث

(١) المثنوي العربي النوري، المدخل ص٤٤.

كالبخاري ومسلم والبيهقي والترمذي والشفا للقاضي عياض وأبي نعيم والطبري وأمثالها. وكان قلبي يخفق ويرجُف بشدة، إذ لو وقع الخطأ في هذا النقل لترتب عليّ الإثمُ، حيث إنه حديث شريف.

ولكن أدركنا يقينًا أنَّ العناية الإلهية معنا وأنَّ الحاجة إلى هذه الرسالة شديدة. فكُتبتْ الأحاديثُ بفضل الله سليمةً صحيحة. ومع هذا، فإذا ما ورد في ألفاظ الحديث الشريف أو في اسم الراوي خطأ فالرجاء من الإخوة الأعزاء تصحيحَه والصفح عن الخطأ".

"لقد أوردتُ أحاديث شريفة كثيرة في هذه الرسالة، ولم يكن لدي شيء من كتب الحديث، فإن أخطأت في لفظ الأحاديث الواردة، فليصحَّح أو ليُحمل على الرواية بالمعنى، إذ القول الراجح: أنه يجوز رواية الحديث الشريف بمعناه، أي يذكر الراوي معنى الحديث بلفظ من عنده. فما وجد في هذه الرسالة من أخطاء في الألفاظ، فلينظر إليها باعتبارها رواية المعنى".[(١)]

لذا بعد إكمالي ترجمة رسالة "المعجزات الأحمدية" على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، كنت أبحث عن عالم في الحديث النبوي كي يخرّج ما فيها من أكثر من ثلاثمئة حديث نبوي، وسألت الكثيرين، ولم

---

(١) في رسالة الكترونية من الأستاذ عبد القادر الإدريسي، يقول:

"هذا أمر غريب جداً، وحالة فريدة عديمة النظير، ما وقفت على مثيل لها قط، تدل دلالة قاطعة على أن الأستاذ سعيد النورسي كان فريد عصره بحق وحقيق، جمع بين الذكاء والعقل والفطنة وقوة الحافظة، وبين شفافية الروح وطهارة القلب وصدق التوجّه إلى الله تعالى. رحمه الله رحمة واسعة. ونفعنا بعلمه. أعيش معكم في كليات رسائل النور، أقرأ وأتأمل، وأكبر فيكم هذه الروح، وهذا الإخلاص، وهذا الوفاء للرجل العظيم أسكنه الله فسيح الجنان".

أجد من يرتاح إليه قلبي. ولما سافرت إلى الرمادي (الأنبار) لزيارة أخي الكبير[1]، عرضت الأمر على مسؤول مكتبة الجامع الكبير (الشيخ خليل إبراهيم نده الكبيسي (ت٢٠١٤م) رحمه الله تعالى)، فأشار إلى شاب جالس قبالته، وقال: اعط هذا، ولم أصدق أن شابا لم يكمل دراسته الجامعية له هذه القدرة للقيام بهذا العمل. وبعد إصراره سلّمت للشاب (فلاح عبد الرحمن عبدالله) المسوَّدة. وكنا في شهر رمضان وبعد يومين أنجز العمل كاملًا مكملًا مع جميع تفاصيل كل حديث نبوي. وعندما دخلت غرفته لأرى كيف يقوم بهذا العمل، رأيته قد فتح الكتب جميعها في أرض الغرفة وينظر إليها كتابًا تلو الآخر واقفًا، ثم يقرأ من مكان ما، وشاب أصغر منه يكتب. ولم يك في ذلك الوقت يوجد الكومبيوتر ولا الأقراص وغيرها. فحمدت الله تعالى على هذا الإنجاز.

الاشتراك المعنوي

يذكر الأستاذ النورسي في رسالة الإخلاص:

"اشترك خمسة أشخاص في إشعال مصباح زيتي. فوقع على أحدهم إحضار النفط، وعلى الآخر الفتيلة، وعلى الثالث زجاجة المصباح، وعلى الرابع المصباح نفسه وعلى الأخير علبة الكبريت.. فعندما أشعلوا المصباح أصبح كلٌّ منهم مالكًا لمصباح كامل. فلو كان لكل من أولئك

---

(١) نُفي أخي الكبير صباح وأسرته كاملة من كركوك إلى الرمادي (الأنبار) في ١٩٨٠/١١/٢٤م ولم يعد إلى كركوك إلّا بعد ٢٠٠٦/٠٦/١٥م أي بعد خمس وعشرين سنة من النفي بسبب تهمة أُلصقت بابن عم زوجته، والذي أُعدم في ١٩٨٠/٠١/١٦م. وما رأوا من أهل الرمادي إلا الخير وحسن المعاملة.

المشتركين مرآة كبيرة معلقة بحائط، إذًا لأصبح منعكسًا في مرآته مصباح كامل -مع ما في الغرفة- من دون تجزؤ أو نقص".

وهكذا كانت الترجمة تسير وفق هذه القاعدة؛ فكلٌّ يقدم ما يستطيع. هذا يبيّض والآخر يصحح وآخر ينصح وآخر ينظر إلى الأخطاء النحوية وهكذا..

وكنت أُعطي بعض الموضوعات للإخوة الذين أرى فيهم القدرة على الترجمة ليقوموا بترجمتها ليغنموا ثوابًا بالاشتراك المعنوي حسب القاعدة المذكورة. وذيلتُ ترجماتهم بأسمائهم.

فمثلًا: الدرس الأخير في ملحق أميرداغ ترجمه الأخ دنجر قورقماز، ومقدمة سيرة ذاتية للشاعر علي علوي قوروجو ترجمها الأخ جميل شانلي، والقسم الأول من دفاع أسكي شهر وكذلك مقالة الأستاذ أشرف أديب في سيرة ذاتية ترجمهما الأخ عوني عمر لطفي[1]، وتقديم المثنوي العربي النوري ترجمه الأخ أورخان محمد علي. وترجم بعض الأبيات الشعرية إلى ما يشبه الشعر الأخ عبد الكريم عبدالله رفعت (ت ٢٠١٤) رحمه الله ، وقد ساعدني في بعضها الأستاذ الضليع باللغة العربية وهبي عبد المجيد القطب (رحمه الله).

فجزى الله كل من قدّم ولو نصيحة خير الجزاء.

والفضل لله وحده أولًا وآخرًا.

---

(١) من مواليد كركوك عام١٩٤٦، خريج كلية الإدارة ببغداد عام ١٩٦٨م. له مقالات وبحوث منشورة وكتب مترجمة عن التركية.

درس النور في المسجد الأقصى

ذكر لي الدكتور مصطفى أبو صوَيّ:[1]

أخي إحسان! في كل يوم أربعاء ألقي درسًا في المسجد الأقصى، ولكون اختصاصي بالفلسفة فإن أسلوب كلامي يأخذ طور الفلسفة، فالحاضرون ينظرون إليَّ ولكن يأخذهم غفوة من النوم.

وذات يوم قلت: سألقي عليهم درسًا من دروس النور، فقرأت "الكلمة الثامنة" من مجموعة الكلمات، فالحاضرون أخذهم الاندهاش، وألقوا السمع إليّ متيقظين.

الله.. الله.. لماذا أصبح الأمر هكذا.. الكل منتبهون!

* * *

(١) أستاذ الكرسي المكتمل لدراسة منهج الإمام الغزالي في المسجد الأقصى وجامعة القدس.

محاورات وديّة

لا شك أن ذكر ما جرى من المحاورات في أثناء الترجمة أو ما بعدها بين الإخوة والأصحاب يطول كثيرًا وربما يحتاج إلى كتاب مستقل، لذا سأكتفي بشيء منها فحسب مما يُعدّ زبدتها وخلاصتها.

مع أستاذي اللغة العربية

قدّر الله أن ألتقي أستاذي الكريم (الأستاذ عابد توفيق الهاشمي) بعد طول فراق فأهدى لي كتابه بعنوان (التصور الإسلامي وخصائصه) فقلت له: لـمَ يا أستاذي الموقر تقول التصور؟ أليس التصديق أفضل؟ لأن التصور هو إدراك المعرفة من غير أن يُحكَم عليها بنفي أو إثبات، بينما التصديق هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر، كما لا يخفى عليكم. فقد سمى الدكتور البوطي كتابه (كبرى اليقينيات الكونية) بينما سيد قطب لأنه أديب سمى كتابه (خصائص التصور الإسلامي).

ثم تصفحت الكتاب. فسألني: عمّ تبحث؟ قلت: عن الآخرة. قال: موجودة. قلت: لم أعثر عليها. قال: مدرجةٌ في مبحث النظام العبادي! قلت: يا أستاذي الفاضل أنت الذي حبّبت إلينا الإيمان ونحن في ريعان الشباب وليس من الأدب أن أعترض على شيء أمامكم، ولكن الله سبحانه يقول الآخرة، والرسول ﷺ يقول الآخرة، فلِمَ نبدلها بغيرها؟ ثم افترقنا على محبة.

وكتب إليّ رسالة حول اشتراكه في المؤتمر العالمي الرابع ١٩٩٨م تحت عنوان (نحو فهم عصري للقران الكريم، رسائل النور نموذجا) جاء فيها:

"ما أبرك الوفاء وأكرمه! إنه لبّ الحياة ونورها، لقد تسلمت بطاقة معايدة واستضافة للمؤتمر، وإسهام فيه ببحث، من قبل تلميذي الوفي الذي فارقتُه قرابة نصف قرن -مدير مركز بحوث رسائل النور- الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، منذ عام ١٩٥٠م أولى سنوات تدريسي! كما تسلمت من أخي الفاضل الأمين العام للمؤتمر أ.د. فارس قايا، دعوة بإسهامي فيه. فشكر الله لهما هذه الدعوة الكريمة، داعيًا أن يكون لبحثي المتواضع تعريف بأبرز صفة من صفات إمامنا الصالح "بديع الزمان النورسي" رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته، وتولىّ دعوته وجماعته بحفظه. اللهم آمين".

الركن الذي نسيناه

في نهاية السبعينات كنت أتردد إلى بغداد وأنزل ضيفًا على الدكتور محسن عبد الحميد فقدّم لي كتابًا له جديدًا بعنوان "منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام" فقرأت الكتاب من أوله إلى آخره فلم أجد فيه كلمة واحدة عن اليوم الآخر. وفي زيارة أخرى، قلت له: أخي محسن كيف يمكن أن تكتب كتابًا ولا ترد فيه كلمة عن اليوم الآخر، فاستغرب من هذا أشد الاستغراب ووعدني أن يصحح ذلك. وبعد ذلك ألقى محاضرة في جمعية الشبان المسلمين في المنصور ببغداد بعنوان (اليوم الآخر) وذكر تفاصيل ما جرى بيني وبينه وقد كرر هذا في محاضرات أخرى فيما بعد.. وبعد ذلك نشرت المحاضرة في مجلة التربية الإسلامية الشهرية تحت العنوان نفسه.

"إشارات الإعجاز" جليل القدر

بعد أن أكملت تحقيقي لـ"إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" أخذتُه كاملًا إلى الأستاذ محسن عبد الحميد ليطلع عليه وهو أستاذ التفسير منذ ثلاثين سنة في جامعة بغداد. فاستضافني في بيته وعندما حان وقت النوم قال لي: يا أخي إحسان! لِمَ ضيّعت وقتك في تحقيق هذا التفسير؛ ففي اللغة العربية تفاسير كثيرة جدًا. فلو كنت صرفت هذا الوقت في الترجمة أما كان الأفضل؟ قلت: وهل قرأته؟ قال: لا. قلت: فإذًا حكمك باطل. قال: وماذا به؟ وخطر ببالي مباشرة فقلت:

في القرآن الكريم الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّماءِ﴾ (البقرة:٢٩) تدل على أن خلق الأرض قبل السماء، وأن آية ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات:٣٠) تدل على أن خلق السماء قبل الأرض، وأن آية ﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْناهُمَا﴾ (الأنبياء: ٣٠) تدل على أنهما خلقتا معًا وانشقتا من مادة. [1]

قال: وكيف حلّ هذه المعضلة؟ قلت: لن أخبرك، اقرأ الكتاب تجد الجواب.

عدت إلى كركوك وبعد مضي أسبوع اتصلت به هاتفيًا، فقال لي مباشرة: هذا تفسير جليل وبحر عظيم.. ثم كتب مقدمة وافية للكتاب جزاه الله عنا خيرًا، ونشرت دار الأنبار للطباعة والنشر ببغداد "إشارات الإعجاز" مع مقدمته الرائعة.

---

(١) إشارات الإعجاز ص٢٢١.

الحكم على الرسائل قبل قراءتها وبعدها

كان الأستاذ محسن عبد الحميد رغم حثه وتشجيعه لي على الترجمة، يقول لي قبل اطلاعه على رسائل النور: "يا إحسان! أرى أن النورسي بعقلية إمام مسجد في قرية نائية". ويشير بيده كالبيضة. يقصد أنه ذو عقلية قاصرة صغيرة. وأنا لا أعترض عليه. وعندما ترجمتُ رسالة "أصول في فهم الأحاديث الشريفة" -وهي الغصن الثالث من الكلمة الرابعة والعشرين- أعطيت المسوّدة له راجيًا أن ينظر إلى لغة الترجمة ويصحح ما يبدو له خطأً. وسلّمني المسودة بعد أسبوع، وقال: يا أخي إن هذا عالِم، يُقنع الإنسان بحججه. فحمدت الله أن تبدلت نظرته من عقلية صغيرة كالبيضة إلى عقل عالم.

وبين سني ١٩٨٣-١٩٨٥م أُوفد إلى المغرب ليدرّس في جامعاته. فأرسلتُ إليه ما ترجمته حديثًا رسالة "الآية الكبرى" وهي الشعاع السابع. ورجوته أن يصحح أخطائي في الترجمة. وجاء الجواب بشارة عظيمة وهي أنه كتب مقدمة ضافية جاء فيها:

"ومن أعمق هؤلاء إيمانًا، وأغزرهم علمًا، وأصلبهم جهادًا، وأدقهم فهمًا لطبيعة المرحلة، وأمضاهم قلمًا وأشرقهم أسلوبًا، الأستاذ المفكر، بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله تعالى، الذي انبثق في سماء تركيا انبثاق البدر في حلكات الظلام، فقام بدور تجديدي عظيم في بعث الهمم وإنقاذ الإيمان ومقاومة الغزو الفكري، بعرض حقائق الإسلام، والوقوف كالطود الشامخ أمام الكفر ومؤامراته، والفسق ودرناته، والجهالة وويلاتها، والفرقة وشناعاتها، داعيًا إلى الأخوة والمحبة وبناء الذات والخلاص من الأنانية، ونبذ العبودية للأصنام الجديدة والأوثان المتنوعة، التي جاءت بها

الأوكار المادية في الحضارة الحديثة، فاستنارت بفكره العقول، وصفت بدعوته القلوب، واطمأنت بروحانيته النفوس.

ولقد سخّر الأستاذ العظيم حياته في سبيل المهمة النبيلة: مهمة بناء الشخصية المسلمة التي لا تتزعزع أمام الأعاصير الهوج. مهمة إنقاذ المجتمع المهدد من انهيار حضاري وإيماني وأخلاقي. من خلال أكثر من مئة وثلاثين رسالة عميقة، انبثقت من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. شرح الأستاذ فيها أصول العقائد الإسلامية بأدلتها العقلية والعلمية القاطعة الدامغة، وقدم من خلالها مذهبية الإسلام الشاملة في الكون والحياة والمجتمع والإنسان، بدقائقها وبمقدماتها ونتائجها. معالجا بمنطق صارم وشاعرية فذة وقلم سيال، المشكلات الخطيرة التي أثيرت في عصره أمام الإسلام، والشبهات التي نثرت بخبث من حوله. تلك التي نسجت خيوطها العنكبوتية الواهية، دوائر الاستشراق ومراكز التبشير والمؤسسات الثقافية الملحقة بوزارات المستعمرات والخارجية في الدول الاستعمارية الكبرى، مبينًا إعجاز القرآن الكريم وصدق النبوة وحكمة التشريع وإنسانية الإسلام وعظمة مبادئه الروحية والأخلاقية...".

"وسيجد القارئ مصداق كلامي في ظلال كلمات الكتاب الحكيمة، وثنايا سطوره النيرة. وسيضع عند ذلك الإمام النورسي في مكانه الحقيق به بين عظماء الإسلام ومجدديه الكبار في تاريخه المشرق".

فحمدت الله تعالى أن تغيرت بقراءته الرسائل نظرته عن الأستاذ النورسي، حتى إنه يصف في ختام المقدمة أن النورسي أمة وحده:

" أتضرع من الله العظيم سبحانه وتعالى أن يجزي بديع الزمان، الأستاذ الأمة، سعيدًا النورسي خير الجزاء..".

أفق واسع سعة الوجود كله

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان النورسي ١٩٩٥م. ألقى الأستاذ محسن عبد الحميد محاضرة قيّمة على شبان عراقيين ساكنين بإسطنبول. كانت المحاضرة تدور حول ضرورة قراءة الكتب الإيمانية وبخاصة رسائل النور.

وفي نهاية المحاضرة قال أحد الحاضرين الشباب من دون استئذان: إن أفق النورسي ضيق.. فتغيّر لون الأستاذ محسن ووجهه على هذا الكلام الذي أُطلق جزافا لكنه تمالك نفسه، وردّ عليه بأسلوب علمي جيد وقال:

إن أفضل مَن كتب عن الأسماء الحسنى هو الإمام الغزالي بلا منازع، وذلك في كتابه " المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى" رغم وجود كتب أخرى نفيسة في هذا الباب. فالإمام الغزالي فاق الآخرين لتناوله كل اسم من الأسماء بالشرح والإيضاح ونصيب الإنسان من هذا الاسم، وهذا هو سر تفوق هذا الكتاب على نظائره.

والآن لننظر كيف تناول النورسي تجليات الأسماء الحسنى؛ لقد أخذ النورسي كل اسم من الأسماء ونصيب كل موجود من الموجودات من هذا الاسم وليس الإنسان وحده؛ بمعنى أنه بيّن أن تجليات الأسماء تستولي على الوجود كله، فأينما تولّ وجهك تجدها وأينما تنظر ترها مثلما قيل:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

فهل هذا أفق ضيق؟ أم واسع سعة الوجود كله ببركة القرآن الكريم.

في مدينة أربيل

الأخَوان بشتيوان وكامران ابنا السيد عبد المجيد عبد الحميد (رحمه الله رحمة واسعة) كانا من السبّاقين في أربيل لنشر الرسائل، حتى كان بيتهم أشبه بمخزن للرسائل، جزاهم الله جزاء حسنًا في الدنيا والآخرة.

وكنا نتزاور عائليا مع أخ عزيز من أربيل وهو (الأستاذ خليل عبد الله) المدرس في الثانوية. كنت أرغب أن يطّلع على رسائل النور. لكنه ما كان يقرأ رسائل النور؛ بحجة أن أخبار الحرب الإيرانية العراقية أخذت من وقته مأخذًا فلا يجد فرصة لذلك. وكنت ألحّ عليه مرارًا ولكن دون جدوى، ولم يثلم هذا من محبتنا وأخوتنا شيئًا قط بل دامت بفضل الله. وعندما أُعلن انتهاء الحرب ذكّرته. قال: والله يا إحسان أنتم عملتم الأفضل والله وفقكم إليه، أما أنا فطوال ثماني سنوات ملأت دماغي ليل نهار بأخبار الحرب. وأنتم بقيتم سالمين غانمين.

توفاه الله وهو يوصي أولاده بالتمسك بالإسلام، تغمده الله برحمته الواسعة.

مع الدكتور عماد الدين خليل

كنت أتردد كثيرًا إلى الموصل سواء لزيارة إخوة أحبة أو لأمور الطبع، حيث بدأنا نطبع الرسائل في مطبعة الزهراء الحديثة بالموصل. وكان صاحبها يعاملنا معاملة جيدة فضلا عن أنها مطبعة راقية.

وما من زيارة للموصل إلّا وأزور (الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل) في متحف التراث الشعبي الذي نقل إليه من جامعة الموصل. نجلس معا ونتناجى قلبًا وروحًا وعقلا. وكان يحثني على الترجمة

والاستمرار عليها. ويقول: متى نرى مجلدات رسائل النور المترجمة. وما كان هذا يخطر ببالي ولو خيالًا.

ذكرت له مرة: ما يقوله الأستاذ النورسي حول السؤال المحيّر: "لمّا كان (الحق يعلو) أمرًا حقًّا لا مراء فيه، فلِمَ ينتصر الكافرُ على المسلم؟". قال: اكتب لي هذا كتابة مع صورة للأستاذ. فقمت بما قال فقدمته إليه في زيارة أخرى. فنشره في مقالة في مجلة الأمة القطرية[1] تحت عنوان "عن الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي دعوة إلى كسر الحواجز" في العدد ٦٠ السنة الخامسة آب ١٩٨٥م. وهي تثير سؤالا محيرًا سئل عنه الأستاذ النورسي وأجاب عنه، وهو: لِمَ ينتصر الكافر على المسلم؟

والدكتور عماد الدين بيّن جواب الأستاذ النورسي كما في (الكلمات، اللوامع، الحق يعلو ص٨٥٧)، وعقبه بـ"من أجل ألّا تكون هذه الكلمات دعوة للتعارف على الطريقة العابرة، فإن القراء مدعوون إلى تعميق هذا التعارف بالتعامل مع مؤلفات النورسي ذاتها. فها هي ذي الآن بين أيديهم، تتجاوز على يد الصالحي حدودها التركية لكي تتحدث إلينا جميعًا بلسان عربي فصيح".[2] وذيّل مقالته بعنواننا في العراق، ففتح بهذا

---

(١) ونشرت المجلة نفسها من قبل في العدد السادس أبريل سنة١٩٨١م مقالة الأستاذ فتحي يكن رحمه الله تعالى، تحت عنوان "أضواء على حركة النور في تركيا" وفيها كثير جدًا من المعلومات التي وصلت إليه بصورة مغلوطة، مما دفع الأستاذ جمال عشاق أن يكتب في أدب جمّ تعقيبا عليه لتصحيح كثير من الأمور في العدد الخامس عشر سنة ١٩٨٢م حتى شكره عليه الأستاذ فتحي يكن.

(٢) ونشر المقال في كتاب (متابعات إسلامية: في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة) للدكتور عماد الدين خليل، ط١، دار الحكمة، لندن،٢٠٠٢م، ص ١١٧-١٢٤.

أبـواب العـالم العربـي أمـام المشـتاقين للنـور وانهالـت علينـا الرسـائل مـن جهات شتى من السودان والجزائر وغيرهما.

وعندما فُتح طريق السفر إلى تركيا في١٩٩٠م سافرت إليها ولـم أعد إلّا بعد سبعة أشهر وكمل طبع المجلد الأول "الكلمات". وبعد العـودة سافرنا أنا والأخ عابدين رشيد إلى الموصل. دعانا الدكتور عماد الدين إلـى عشـاء فـي مقهـى صـيفي وكـان الأخ أديـب الـدباغ معنـا. وعـاتبني الدكتور: كيف تتركنا وتترك أهلك طوال هذه المدة وتظل في إسطنبول؟ قالهـا بشـدة وحرقة، وأنـا سـاكت لـم أجبه وإنمـا قدّمت لـه الكتـاب وهـو مغلـف بـورق، فـتح المغلـف وشـاهد مجلـد "الكلمـات" فارتسـمت علـى وجهه أسارير الفرح، وقال: يا إحسان انتهت مهمتك وبدأت مهمتنا.

وكانت جلساتنا الأخوية ممتعة جدًا وعلمية في الوقت نفسه:

فمثلًا:

قال لي: يا أخي إحسان هلّا جمعت رأي الأستاذ النورسي مثلًا في العلوم الصرفة في كُتيب ليطلع عليه القارئ دون مراجعة المجلدات. ألا يكون الأفضل؟

قلت: نعم، ولكن أضرب لكم مثالًا: وهو قول الأستاذ:

"إنـه قاعـدة أسـاس فـي رسـائل النـور: أن فـي كـل حادثـة توجـد يـد الإنسـان ويـد القـدر معًـا، ولكـن الإنسـان يظلـم حيـث ينظـر إلـى السـبب الظاهري، بينما القدر يعدل لأنه يرى السبب الخفي لتلك المصيبة".[1]

---

(١) الملاحق، ملحق قسطموني ص ١٩٧.

فأنا ربما أضع هذه القاعدة في موضوع العقائد، ولكنكم لأنكم أهل اختصاص تضعونها في التاريخ، لحل كثير من الإشكالات.

قال: صدقت.

قلت: إذن هذا واجب كلٍّ في اختصاصه؟

ومثال آخر لحوار لطيف بيننا، ألخصه بالآتي:

قلت: إن جميع العلوم تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى.

قال: من أين لك هذا؟ هل من آية كريمة أو حديث نبوي؟

قلت: وهل لا بد لكل أمر من الأمور من آية كريمة أو حديث شريف؟ أسألكم ماذا يريد علم الطب؟ وما غايته؟ أليس الشفاء؟

قال: بلى.

قلت: هذا السقف من الإسمنت والرمل والحديد وبحساب دقيق. أليس كذلك؟

قال: بلى.

قلت: فهذا هو تجلي اسم العدل والمقدّر. كما أن علم الطب هو تجل من تجليات اسم الشافي.

قال: صحيح.

قلت: يبيّن النورسي هذا الأمر بقوله:

"إن لكلِّ كمالٍ، ولكل علمٍ، ولكل تقدم، ولكل فن -أيًا كان- حقيقةً ساميةً عالية. وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى، وباستنادها إلى ذلك الاسم -الذي له حُجُب مختلفة، وتجليات متنوعة، ودوائر ظهور

متباينة- يجد ذلك العلمُ وذلك الكمال وتلك الصنعة، كلٌّ منها كمالَه، ويُصبح حقيقةً فعلًا، وإلّا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوّش.

فالهندسة -مثلًا- علمٌ من العلوم، وحقيقتُها وغايةُ منتهاها هي الوصولُ إلى اسم (العدل والمقدِّر) من الأسماء الحسنى، وبلوغُ مشاهدةِ التجليات الحكيمة لذلك الاسم بكل عظمتها وهيبتها في مرآة علم (الهندسة).

والطب -مثلًا- علمٌ ومهارة ومهنة في الوقت نفسه، فمنتهاه وحقيقتُه يستند أيضًا إلى اسم من الأسماء الحسنى وهو (الشافي). فيصل الطبُّ إلى كماله ويُصبح حقيقةً فعلاً بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم (الشافي) في الأدوية المبثوثة على سطح الأرض الذي يمثل صيدليةً عظمى.

والعلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات - كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان.. هذه العلوم التي هي (حكمة الأشياء) يمكن أنْ تكون حكمةً حقيقية بمشاهدة التجليات الكبرى لاسم الله (الحكيم) جلَّ جلالُه في الأشياء، وهي تجليات تدبير، وتربية، ورعاية. وبرؤية هذه التجليات في منافع الأشياء ومصالحها تُصبح تلك الحكمة حكمةً حقًا، أي باستنادها إلى ذلك الاسم (الحكيم) وإلى ذلك الظهير تُصبح حكمة فعلاً، وإلّا فإمَّا أنها تنقلب إلى خرافات وتصبح عبثًا لا طائل من ورائها، أو تفتح سبيلاً إلى الضلالة، كما هو الحال في الفلسفة الطبيعية المادية.

فإليك الأمثلة الثلاثة كما مرت.. قِسْ عليها بقية العلوم والفنون والكمالات..".[1]

---

(١) الكلمات، الكلمة العشرون، المقام الثاني ص ٢٩٠.

مع الصالحين

كان الدكتور إدريس الحاج داود والدكتور حازم عبد الله خضر ومجموعة مباركة من الأشخاص يتدارسون آيات كريمة وأمور الإسلام بعد صلاة العصر في جامع الشيخ أبي سعيد بن عيسى الخرازي في الموصل. وكنت أزورهم عندما أذهب إلى الموصل. وفي إحدى الزيارات أبقاني الدكتور إدريس معه. وقال: سنذهب معًا إلى مَن طلبك. وأخذني بسيارته، وكلما قلت له في الطريق مَن هذا الذي طلبني؟ وكيف أذهب إلى مَن لا أعرفه؟

قال: أنا طبيب كما تعلم وكل مريض لا يدخل غرفة المعاينة إلّا حسب دوره. ففي يوم من الأيام دخل أحدهم حسب دوره. قلت: تفضل ما بك؟ قال: أنتم في هذه الليلة قمتم للتهجد بسورة كذا وكذا.. ورأيته صادقًا. إلّا أنني قلت: يا أخي أنت لست مريضًا فلماذا جئت إليّ. تفضل اخرج. وعندما وصل الباب ليخرج استدار إليّ وقال: لو لم أكن مسؤولا عن إعلامك بهذا لما أتيتك. قلت: تعال يا أخي من أنت؟ قال: أنا يريني الله كل ليلة مَن يقوم للتهجد في الموصل وماذا يقرأ من القرآن، وهل تريد أن تقوم للتهجد كل ليلة؟ قلت: نعم. قال: أي ساعة؟ قلت الساعة الثانية. قال: حسنًا. وترك الغرفة. ومنذ ذلك اليوم أجد كل ليلة كأن أحدهم يهز سريري الساعة الثانية ليلًا والجميع نائمون..

فأنا آخذك إلى هذا الشخص.

قلت: يا أخي الدكتور أرجوك لا تأخذني إلى مثل هذا الشخص أنا المليء بالذنوب أرجو ألّا تفضحني. ولكن لم يسمع رجائي ودخلنا إلى الرجل ورحب بنا وهو رجل لطيف المعاملة وبعمر يناهز الأربعين. نظر

إليّ نظرة من يأخذ صورة بأشعة الرونتغن من الأعلى إلى الأسفل. وأنا ساكت أدعو الله ألّا يفضحني.

قال لي: هل عرضت نفسك على القرآن؟ قلت: مَن أنا حتى أعرض نفسي على القرآن الكريم! قال: في أي مرتبة أنت؟ قلت: نحن ليس عندنا مراتب. قال: أيهما أفضل الدعاء أم المحبة؟ قلت: الدعاء. قال: من أين تعرف؟ قلت: الأستاذ النورسي يقول الدعاء. قال: ممن أخذ النورسي علمَه؟ قلت: من الإمام علي رضي الله عنه. قال: والله أنا آخذه من الإمام الحسن رضي الله عنه.

ثم قال: إياك أن تُدخل شيئا من فكرك إلى كلام النورسي بقصد التحسين وغيره. ترجم كما قال.

ثم تكلم عن حياته فقال: كنت أيام شبابي أحب ابنة عمي، والله كنت أجد جص جدران بيتها سكّرًا! حتى إن أصحابي في يوم من الأيام أخذوني إلى زاوية ذكر ودخل الجميع حلقة الذكر إلّا أنا. وفي الختام سألني الشيخ: يا ابني لماذا لم تشترك معنا؟ قلت: أنا أحب ابنة عمي. قال: فإذن زد من حبك لها حتى تتقلّى بنار حبها. كنت أتوقع أنه سيوبخني.. ومرت الأيام وقلت لنفسي: ثم ماذا؟ أحبها وهي لا تعرف هذا الحب؟ فلماذا لا أحب الرسول حبيب الله محمدًا ﷺ. وكان كلما نطق اسم الرسول ﷺ دمعت عيناه. ثم تكلم عن محبة الرسول ﷺ وكيف رآه في المنام وكيف أجرى عليه ومع غيره امتحانًا، وكان امتحانه في سورة الكهف.. وهكذا.

وكان في ثنايا الكلام والحوار يأتي بأمور لطيفة حتى لم نشعر بمضي الوقت حتى حان وقت المغرب، فخرجنا من الغرفة إلى الحديقة وصلينا

المغرب جماعة: الدكتور هو الإمام وأنا والرجل مؤتمّان. وبعد الأذكار. سألته يا أستاذ ماذا ترى في هذا مشيرًا إلى العشب المفروش في أرضية الحديقة؟ قال: العشب. وما هذه الأشجار التي أمامنا؟ قال: أشجار البرتقال. ثم قال: وأنت ماذا ترى؟ قلت: نعم كما تقول، ولكني أرى على هذه الأشجار والعشب تجليات للأسماء الحسنى، فأرى تجليات اسم القدير واسم الحكيم والجميل وهكذا.. انفعل الرجل انفعالًا شديدًا وقام وبدأ رافعًا يديه إلى الأعلى يدور حول نفسه وكأنه في حالة جذبة. قال: هذه مرتبة الاطمئنان! قلت: والله نحن لا نعرف مرتبة ولا ما شابهها.

ثم في زيارة أخرى حافلة طلبت منه في الختام دعاءً، فدعا دعوة طويلة لي، وقال فيها: اللهم جنّبه فتن الدنيا، قلت: والآخرة.

قال متعجبا: كيف هذا؟

قلت: الأستاذ النورسي يذكر أن طالب النور لا يقطف ثمار عمله في الدنيا.[١]

مع الأخ فاروق رسول يحيى

استفسرت من الأخ فاروق رسول يحيى (مترجم رسائل النور إلى الكردية) عن خاطرة لطيفة ذكرها لي قبل سنوات طويلة، فأجابني جزاه الله خيرًا بالآتي:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

---

(١) ينظر إلى الملاحق، ملحق أميرداغ ١ ص٢٧٣.

سمعت تلك القصة من خالي المرحوم الشيخ أحمد القاضي البنجويني (ت١٩٨٣)، الذي كان من متقدمي مريدي الشيخ محمد عثمان سراج الدين الثاني (ت١٩٩٧م).

وما بقي عالقا بذاكرتي من تلك القصة هو ما يلي:

الشيخ عثمان سراج الدين الأول الطويلي (ت١٨٦٧م) الذي هو من مجازي مولانا خالد (ت١٨٢٦م) في الإرشاد والذي انتشرت الطريقة النقشبندية عن طريقه في كل من العراق وإيران، كان في فترة ما يتربى على يديه في الطريقة مجموعة من السالكين الذين كانوا مهتمين بأن يترقوا في التربية القلبية، وقد كان لهم ما أرادوا بإخلاصهم وبهمة شيخهم، إلّا واحدًا منهم ظل يراوح في مكانه، وقد أحس بتأخره عن أصدقائه الذين قطعوا أشواطًا وتركوه وراءهم. فعرض على أصدقائه أن يتوسطوا له عند الشيخ كي يهتم به اهتمامًا خاصًا كاهتمام الأستاذ بتلميذه الكسول الغبي ويعتني به عناية خاصة مادام استعداده قاصرًا عن استعداد أصدقائه. فعرضوا على الشيخ ما طلب منهم صديقهم، فأجاب الشيخ:

إنني أدرك ذلك تماما، وإنني لم أقصر في حقه إطلاقا، بل عاملته كما عاملتكم دون أي فرق، لكن العائق الوحيد الذي يحول بينه وبين الترقي في مدارج السلوك هو أن أخاكم هذا كان في الأصل رافضيًا، ثم تاب واهتدى إلى طريق أهل السنة والجماعة، لكنه بقي في قلبه شيء من الكراهية تجاه سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإن الطريقة النقشبندية موصولة بسيدنا أبي بكر، فكلما أردت أن أعين أخاكم في سلوكه القلبي عاقني مانع من قبل سيدنا أبي بكر. فليس له بد من تطهير قلبه من تلك الكراهية وإبدالها بالمحبة، إن أراد اللحاق بكم.

ولما رجعوا إلى صديقهم، ونقلوا له كلام المرشد، قال: صدق الشيخ، والله لهو كذلك، وإني أشهدكم بأني قلعت من هذه الساعة تلك الكراهية من قلبي تجاه سيدنا أبي بكر.

وأصبح الرجل بعد ذلك يترقى في التربية السلوكية حتى وصل إلى مقام أجازه فيه مرشدُه.

تعرضوا لنفحات الله

في إحدى أسفارنا إلى الحج سنة ٢٠٠٤م، كنا نسكن في منطقة المعابدة بمكة المكرمة، وكنا في قافلة يترأسها الأخ محمد باكصو الذي يتقن عمله بإخلاص. وكان أحد الإخوة (اصلان أونلو) يكرر علينا القول: أين النفحات الربانية والبكاء التي تتحدثون عنها في الحج؟ فأنا يوميًا أطوف مع عائلتي ولا أجد نفحة من النفحات! وكنا نجيبه انتظر سوف تأتي ونحن أيضًا مثلك لا ندري متى يتفضل الله سبحانه بها.

وفي يوم من الأيام صليت الظهر في المسجد القريب من مقرنا ولقيت الشيخ خليل نده الكبيسي الذي لم أره منذ مدة طويلة فتعانقنا. ودعوتُه إلى مقرنا وقلت: نحن نتدارس رسائل النور مع الحجاج بعد صلاة الظهر، فأتى جزاه الله خيرًا.

بدأ الأخ باكصو بالدرس وأحيانًا يطلب مني الاستمرار وأنا بدوري أحيل الدرس إليه وهكذا، ومن المعلوم أن الدرس بالتركية. وفي الختام قال لي الأخ: اطلب من الشيخ -مشيرا إلى الأخ الكبيسي- أن يدعو الله تعالى. فقلت له؛ وبدأ يدعو بالعربية والحاضرون رجالًا ونساءً من الأتراك لا يعرفون العربية، إلّا أنهم كلهم يبكون بكاءً من الأعماق

وأخونا الذي كان يسأل أين النفحات في المقدمة وهو يبكي بكاء من الصميم.

وتصافحنا مع الشيخ الكبيسي وودعناه. وقلنا للأخ السائل عن النفحات الربانية: انظر كيف أن الله تعالى يرسل أحدهم من العراق إلى هنا حتى يكون مفتاحًا لنفحاته لكم ولنا. وصدق رسول الله ﷺ الذي قال: (إنّ لِرَبِّكُمْ في أيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفحاتٍ فَتَعَرَّضُوا لها لَعَلَّهُ أنْ يِصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْها فلا تَشْقَوْنَ بعدها أبدًا)[١]

نكران الذات

ذكر أحدهم أن أعظم بطولة للأستاذ النورسي هو وقوفه ببطولة فائقة أمام مصطفى كمال. وقال آخر: بل بطولة له أعظم منها، وهي وقوفه أمام خورشيد باشا وهو يشير إلى الجثث المعلقة بأعواد المشانق الخمس عشرة، وقال آخر...

وكان الجواب الصواب: بل أعظم من كل هذا وذاك هو "نكران الذات" الذي هو البطولة الحقة وأعظم بطولة للأستاذ. والذي هو سر من أسرار بركة رسائل النور وانتشارها. حيث يقول:

"المتكلم في" الكلمات " كلها، ليس أنا، فلست المتكلم فيها، بل الحقيقة هي التي تتكلم باسم "الاشارات القرآنية " وأن الحقيقة تنطق بالحق وتقول الصدق. لذا إن رأيتم خطأً فاعلموا يقينًا أن فكري قد خالط البحث وعكّر صفوه وأخطأ دون إرادتي".[٢]

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٥١٩) ، وفي الأوسط (٢٨٥٦) .

(٢) تنبيه في ختام الكلمة الثانية والثلاثين، الكلمات ص٧٦٥.

ويقول مخاطبًا نفسه:

"إياك إياك! أن تجعل الحقائق الإيمانية آلة لشخصك، وذلك لكي يعلم المحتاجون إلى الحقائق أن الحقائق وحدها هي التي تتكلم، ولكيلا تبقى هناك أوهام النفس ودسائس الشيطان، بل لتخرس وتصمت.

هذا هو سر تأثير رسائل النور في إشعال الحماس في القلوب وفي الأرواح كالأمواج في البحار الواسعة. وهذا هو سر تأثيرها في القلوب وفي الأرواح وليس شيئًا غيره. ومع أن هناك آلافًا من العلماء سجلوا الحقائق التي تتحدث عنها رسائل النور في مئات الآلاف من الكتب، والتي هي أكثر بلاغة من رسائل النور، ولم تستطع إيقاف الكفر البواح. فإذا كانت رسائل النور قد وفّقت إلى حدّ ما في مقارعة الكفر البواح تحت هذه الظروف القاسية، فقد كان هذا هو سر هذا النجاح.. ففي هذا الموضوع لا وجود لـ "سعيد"، ولا وجود لقابلية "سعيد" وقدرته، فالحقيقة هي التي تتحدث عن نفسها.. نعم.. الحقيقة الإيمانية هي التي تتحدث".[١]

"لهذا كله أقول: إن الرسائل ليست ملكي ولا مني بل هي ملك القرآن. لذا أراني مضطرًا إلى بيان أنها قد نالت رشحات من مزايا القرآن العظيم. نعم، لا تُبحث ما في عناقيد العنب اللذيذة من خصائص في سيقانها اليابسة؛ فأنا كتلك الساق اليابسة لتلك الأعناب اللذيذة". [٢]

---

(١) سيرة ذاتية، الفصل العاشر ص٤٩٨.

(٢) المكتوبات، المكتوب الثامن والعشرون، المسألة السابعة، ص ٤٧٧.

هل يقبلنا الأستاذ طلابًا للنور؟

في المدرسة النورية في المدينة المنورة سأل أحدهم: هل يقبلنا الأستاذ النورسي طلابًا للنور؟

انزعج بعضهم من هذا السؤال الذي لا مبرر له، فنحن نقرأ رسائل النور فنحن إذًا من طلاب النور.

ثم أدلى كلٌّ بدلوه بما عنّ له. لكن أخيرًا قال أحدهم كلامًا جامعًا في الوفاء والصدق:

نحن يا أخي عرفنا الله تعالى والرسول الحبيب ﷺ والقرآن الكريم في هذا الباب، باب النور. والله لو قبِلنا الأستاذ أو طردنا فنحن لا نترك هذا الباب قطعا.

فمن هو طالب النور؟

يقول الأستاذ النورسي:

"ليكن معلومًا لدى الجميع، أن الذي يزورنا إما أنه يأتي إلينا لأجل أمور تخص الحياة الدنيا. فذلك الباب مسدود. أو أنه يأتي إلينا من حيث الحياة الآخرة. ففي تلك الجهة بابان: فإما أنه يتصور أنني رجل مبارك صاحب مقام عند الله ولأجل هذا يأتي إلينا، هذا الباب أيضًا مسدود. إذ لا تعجبني نفسي ولا يعجبني من يعجب بي. فحمدًا لله أجزل حمد إذ لم يجعلني راضيًا عن نفسي. أما الجهة الأخرى فهو يأتي إلينا لكوني خادمًا للقرآن ودلالًا له وداعيًا إليه ليس إلّا. فمرحبًا وأهلًا وسهلًا وعلى العين والرأس لمن يأتينا من هذا الباب.

وهؤلاء أيضًا على ثلاثة أنماط. فإما أنه صديق، أو أنه أخ، أو أنه طالب.

فخاصيّة الصديق وشرطُه: أن يكون مؤيدًا تأييدًا جادًا لعملنا في نشر الأنوار القرآنية "رسائل النور"، وأنْ لا يميل إلى الباطل والبدع والضلالة قلبًا، وأن يسعى أيضًا ليفيد نفسه.

وخاصية الأخ وشرطه: أنْ يكون ساعيًا سعيًا حقيقيًا وجادًا لنشر الرسائل، فضلًا عن أدائه الصلوات الخمس، واجتنابه الكبائر السبع.

وخاصية الطالب وشرطه: أن يعد "رسائل النور" كأنها من تأليفه هو، وأنها تخصه بالذات، فيدافع عنها وكأنها مُلْكه، ويعتبر نشر تلك الأنوار والعمل لها أجلّ وظيفة لحياته.

فهذه الطبقات الثلاث تتعلق بالجوانب الثلاث لشخصيتي؛ فالصديق يرتبط بشخصيتي الذاتية. والأخ يرتبط بشخصيتي العبدية أي كوني أؤدي مهمة العبودية لله سبحانه. أما الطالب فهو يرتبط بي من حيث كوني داعيًا ودلّالًا للقرآن الحكيم ومرشدًا إليه.

وهذا النوع من اللقاء له ثلاث ثمرات:

الأولى: أخذه لجواهر القرآن درسًا مني أو من "رسائل النور" ولو كان درسًا واحدًا، هذا من حيث الدعوة إلى القرآن.

الثانية: يكون مشاركًا لي في ثوابي الأخروي. وهذا من حيث العبودية لله.

الثالثة: نتوجه معًا إلى الرحمة الإلهية مرتبطين قلبًا متساندين في خدمة القرآن ونسأله التوفيق والهداية. فإن كان طالبًا فهو حاضر معي

صباح كل يوم باسمه وأحيانًا بخياله. وإن كان أخًا فهو حاضر معي في دعائي على دفعات باسمه وبصورته فيشاركني في الثواب والدعاء ثم يكون ضمن جميع الإخوان وأسلّمه إلى الرحمة الإلهية، إذ عندما أقول في ذلك الدعاء: "إخوتي وإخواني"، فهو منهم، إن لم أكن أعرفه أنا بالذات فالله أعلم به وأبصر. وإن كان صديقًا فهو داخل ضمن دعائي باعتباره من الإخوة عامة إذا ما أدّى الفرائض واجتنب الكبائر. وعلى هؤلاء الطبقات الثلاث أن يجعلوني ضمن كسبهم الأخروي أيضًا".[1]

* * *

(١) المكتوبات، المكتوب السادس والعشرون، المبحث الرابع، المسألة العاشرة ص٤٤٢.

مالاأنساه

مواقف وفاء

منظر شاب واقف بالباب بملابس جندي قد أتى توًا من جبهة القتال في الحرب العراقية الإيرانية، وبيده حقيبة صغيرة، وآثار غبار الجبهة ومتاعبها بادية على الوجه كما هي على ثيابه وحتى على حذائه العسكري. قال لي بعد التحية والجواب بأحسن منها: يا أستاذ اقرأ لي شيئًا من الرسائل قبل أن أذهب إلى والديّ اللذين ينتظرانني. إنه الأخ زياد طارق الإرحيّم. ففضّل ما يشفي غليله وهو الاستماع إلى شيء من الرسائل ثم يلتقي والديه.

هذا الأخ العزيز لم أميّزه في يوم من الأيام عن أبنائي. وله من الأيادي الطويلة في خدمة النور. أذكر منها واحدة:

بعد انسحاب العراق من الكويت (١٩٩١م) عمّت الفوضى في كركوك وبقينا من دون ماء ولا كهرباء، بل ولا مسؤول في كركوك، حتى كنا نجمع ماء المطر النازل من السطح لقضاء حاجاتنا. زارني مع والده الذي وعدَنا أن يرسل خزانًا من الماء لنا وللجيران وكان كما قال فبدت على الوجوه تباشير البهجة والسرور. جزاه الله عنا خيرًا. أما هو فشغله

الشاغل رسائل النور فهمس بأذني: وصلتُ إلى "الكلمة السادسة" إذ كان ينضّد بالكومبيوتر الذي ما كان أحد منا يعرف عنه شيئا.

بعد ما انتهت تلك المرحلة واستتب الأمن، بدأ ابني البار أسيد بتسلّم أمر تنضيد كليات رسائل النور كلها. وكان يقوم بذلك في عزّ الحر في الصيف حيث الناس نيام ظهرًا لئلا يُسمَع صوت أزيز الطابعة التي كانت من النوع القديم.

- وآخر يستنسخ رسالة الإخلاص مصغرًا ويقرؤها في الجبهة ليلًا خفيةً تحت الغطاء بمصباح يدوي صغير.
- وآخر يساق مع الأسرى إلى السعودية ويقرأ في الأسر رسالة الثمرة إلى أقرانه.
- وآخر يأتي بشاشة الكمبيوتر من خارج العراق بعد اجتيازه صعوبات جمة.

وهكذا أمثال هذه كثيرة كأنها خيال إلّا أنها واقع معيش.

وهل أنا أعمل لك؟

وفي الأيام التي بدأنا فيها بفضل الله بطبع رسائل النور في العراق. ذهبنا أنا والأخ (عامر عبدالقادر آل الشهيد) إلى بغداد لمتابعة أمور الطبع. وكان الحر شديدًا جدًا. وتجولنا كثيرًا هنا وهناك بين المطابع إلى الظهر فتعبنا تعبًا شديدًا لا يطاق. قلت: لنذهب إلى الغداء، فدخلنا أحد المطاعم القريبة وجلس الأخ عامر وأنا ما زلت واقفًا. وضعت يدي على كتفه وقلت لأخفف عنه الإرهاق: أخي عامر اليوم أتعبتك. فأجابني: وهل أنا أعمل لك حتى تقول أتعبتك؟ أنا أعمل لله. نزل هذا الكلام بردًا وسلامًا على قلبي وأذهب عني التعب. فقلت: الحمد لله حمدًا كثيرًا.

المال مالُه والملكُ له

لما كتب القدر الإلهي لنا الاستقرار بإسطنبول سنة١٩٩٢م، سكنّا في منطقة الفاتح سنة واحدة. ثم بحثنا عن بيت نسكن فيه فاقترح أحد الإخوة بيتًا في قسم الأناضول واتصلوا بصاحب البيت فوافق.

وفي جلسة مع طلاب النور رمقت شخصًا غريبًا عليّ في المجلس فاستفسرت عنه مَن كان بجنبي، فقال: هذا هو صاحب البيت الذي ستسكن فيه. وقمت وقدمت له نفسي وشكري. وعرفت اسمه وهو (حسام الدين جانان)[1]. فانعقدت بيننا توًا أواصر الأخوة بفضل الله تعالى؛ بحيث لم نر منه ولا من أهله وأولاده طوال هذه السنين إلّا الخير والفضل إلى حد أننا لم نشعر في يوم من الأيام أننا غرباء، بل شعرنا دائما أننا بين أهلنا وبين أحبابنا.

أخذني في يوم من الأيام إلى خارج إسطنبول على مسافة ساعتين منها وصعدنا جبلا فوقه فيلات فخمة ودخلنا إحداها وهي بعدة طوابق وحديقة واسعة أمامها ومطلة على البحر. قال: يا أخي إحسان لقد اشتريت هذه الفيلا. قلت: على بركة الله. قال: وهبتها لخدمة القرآن والإيمان. قلت: بارك الله فيكم. قال: أتيت بأهلي هنا، وبعد ما تجولت في أرجائها وشرعنا بالخروج، قلت لها: ما رأيك؟ قالت: جميلة جدًا. قلت لها: لقد وهبتها للخدمة. قالت: حسنًا فعلت.

---

(١) انتقل إلى رحمة الله الواسعة في ٢٠٠٤/٨/١٣م عن سبع وأربعين سنة من العمر بحادث اغتصاب أمواله وقتله.

قال لي يومًا: الناس يتصورونني أنني صاحب أموال ونقود، لا والله. إنما هو مالُه يوكّلني عليه وأنا أعطي الآخرين من مالِه هو. فالمُلك له والكل له ومَن نحن!

إكرام يفوقني كثيرًا كثيرًا

دعاني الأخ الكبير عبد القادر بادللي[١] -ممن شاهد الأستاذ النورسي- إلى زيارة أورفة واستضافني أيامًا وأطلعني على كثير جدًا مما كان يحتفظ به من الوثائق والمخطوطات والمستنسخات الخاصة بالأستاذ.. وعندما ألبسني جبة مولانا خالد البغدادي النقشبندي وصلّيت بها ركعتين على سجادة الأستاذ النورسي شكرًا لله تعالى لم أتمالك نفسي فانهمرت الدموع من عيني لعلمي بنفسي أنني لا أستحق هذا التكريم، فما هذا الإحسان بهذا اللطف يا رب رحمتك!

وعندما سافر إلى الحج أتى لزيارتنا في كركوك مع صاحبه بسيارة خاصة. وباتا الليلة عندنا.

الدكتور الشفيق

كان أول تعارفنا مع الدكتور (سعيد جَلَكن) لدى العودة إلى إسطنبول من أورفة، كنا حينها في شهر رمضان. وتوقفت الطائرة في أنقرة وأفطرنا معا. هذا الدكتور أمره غريب في الوفاء والصدق في العمل. أذكر مما رأيته منه حادثة:

---

(١) له خدمات جليلة في خدمة القران برسائل النور منها: تاريخ مفصل لحياة الأستاذ النورسي ثلاثة مجلدات، والمصادر القدسية لجميع ما ورد في الرسائل من الأحاديث النبوية، وغيرها كثير. انتقل إلى رحمة الله في ٢٠١٤/١٢/٢٦م عن عمر يناهز الثامنة والسبعين.

في يوم شتاء قارس والثلج غطى كل مكان في إسطنبول. وبيتنا على قمة جبل لا تتمكن السيارات من الصعود إليها والوصول إلينا. مرضت "أم سعد" فاتصلنا به. وقال: سآتيكم. قلنا: لا يمكن من كثرة الثلج. قال: سأصل إلى ما أتمكن ثم أسير. فأتى وفحص وأعطانا الوصفة لشراء الدواء من إحدى الصيدليات القريبة إلينا، وودعناه شاكرين. وبعد قليل إذا به يأتي ومعه الأدوية. فتعجبنا من هذا الإخلاص والوفاء. كثّر الله أمثاله.

وذكّرني يومًا: كنا معا لدى عودتنا من أورفه يوم كنتم فيها عند الأخ الكبير بادللي. ولما توقفت الطائرة في أنقرة أفطرنا معا، فانتحيت مكانا لأدخّن سيجارة، فقلتَ لي: أطالب نور وطبيب ويدخّن؟! وأنا بعد أن سمعت منكم هذا الكلام عزمت على ترك التدخين. وحقق الله سبحانه مرادي. والفضل لله سبحانه.

* * *

طبع كليات رسائل النور المعرّبة

هكذا دخلت الترجمات إلى تركيا

عندما فتح طريق السفر إلى تركيا (١٩٨٠م صيفًا) توجهنا أنا وعابدين رشيد وأديب الدباغ وعبد الكريم محمد بسيارة الأخ عبدالغني الحداد وجئنا بالترجمة الكاملة للرسائل إلى تركيا لطبعها.

ووصلنا الحدود التركية ظهرا واستوقفنا موظف الكمارك طالبًا ترخيص دخول السيارة الخاصة المترجَم إلى التركية. وقد حاولنا معه ليسمح لنا بالدخول بغير الترخيص المترجَم إلّا أنه أصر على أن نذهب إلى أقرب مدينة للحدود "سيلوبي" وهناك في المحكمة مترجِم محلّف يترجم الترخيص. صعدت إلى المدير وأفهمته وضعنا وأتى المدير إليه وطلب منه أن يساعدنا في الأمر إلّا أنه أصر على موقفه. فاضطررت أن أذهب مع الأخ عبد الغني بسيارته إلى سيلوبي. وسألنا عن المحكمة فقالوا: المترجم هو الملا دريش وبيته في المحلة الفلانية. وذهبنا إلى العنوان فوجدناه غادر البيت إلى السوق.. وأخيرًا وجدناه في المسجد عند صلاة العصر ووقّع على الترجمة وانتهى الأمر والحمد لله. أي قضينا من الظهر إلى العصر في البحث عن المترجِم.

ولما رجعنا إلى الموظف المسؤول قال: الآن انتهت القضية يمكنكم الدخول بسيارتكم الخاصة. ولم يفتش الحقائب وإنما قال: تفضلوا. واجتزنا الحدود، وفي طريقنا كنا متضرعين إليه تعالى نحمده شاكرين على أن موظفي الحدود لم يروا الترجمات. فعرفنا الحكمة الربانية وفضله العميم علينا بطلبهم الترخيص المترجم الذي شغلهم عن التنبه إلى الرسائل، والحمد لله أولًا وآخرًا.

وهكذا دخلت الترجمات إلى تركيا.

مصطفى صنغور

أخذني الأخ الكبير مصطفى صنغور[1] إلى اجتماع لكبار طلاب النور لدراسة شؤون الجماعة. وقال لي: اعرض موضوعك أمامهم جميعًا.

ولما جاء دوري في الكلام ذكّرتَهم بما فعل الرسول الكريم ﷺ في وضعه الحجر الأسود في موضعه. وقلت: الآن هذه ترجمة كليات رسائل النور كاملة بين أيديكم، فالمطلوب منكم أن يمدّ كلٌّ منكم يده بالبذل والعطاء لأجل طبع هذه الترجمات ونشرها في العالم.

---

(١) يصف الأستاذ عشراتي صلاته خلف صنغور:

"يا رب كيف يصنع العبد ليكون عند حسن ظن هؤلاء الأتقياء؟ يا رب الخير بيدك فاغمرني به، وصفِّ معدني واجعلني يا رب على مستوى ما يراني عليه عبادك الأنقياء. وحين قام الشيخ يصلي بنا كانت المرارة قد بلغت مبلغها من نفسي، كنت كمن يبشَّر بالفوز ولكن لا أمل له في فوز، وغلبتني اللحظة، وأنا قائم في الصف، فتندت عيناي، وأجهشت متمالكا قدر الإمكان، ثم انخرطت في مناخ الصلاة وفي مشاعري ألم مبرح عملت ما وسعني العمل على تجاوزه، أن يكون لي ظاهر على هذا المستوى من الزيف ينخدع به الصالحون".
(رحلة إلى بلاد النور)

وقد عرضت الأمر على إخوتنا في كركوك، وهم لا يتجاوزون أصابع اليدين، وليس فيهم من له مرتّب إلّا موظف واحد في الدولة، والبقية إما طلاب أو جنود.. وبعدما تداولت الأمر معهم قالوا: خذ الترجمات إلى الإخوة في إسطنبول، فإن لم يتكفلوا بطبعها، فسنطبعها نحن بإذن الله تعالى.

وكان الأخ مصطفى صنغور متحمسًا للموضوع، فحثهم على القيام بالأمر لأنه جهد عظيم وبحاجة إلى مبالغ ضخمة. وكان السبّاق للجميع هو صادق جاليشقان الذي دفع مبلغا من المارك الألماني وسلّمتُه إلى الأخ الكبير صنغور. ثم بدأ الآخرون بتسجيل أسمائهم وما يتمكنون من الدفع. وانتهت الجلسة وتجمّعت المبالغ لدى الأخ الكبير صنغور. ولكن ما كان يكفي ما جُمع وسيُجمع إلاّ لطبع كتاب أو كتابين علمًا أن المجموع تسعة مجلدات والعاشر لم ينجز بعد. بيد أن الأخ الكبير محمد فرنجي بذل قصارى جهده وتحمّل المشاق كلها في داخل تركيا وخارجها لإكمال هذا المشروع؛ فمثلًا كان استعمال الكومبيوتر نادرًا جدًا وكانت الخطوط الجميلة للحروف العربية مفقودة كليًا في تركيا، فأرسل الخبر إلى مصر ليدبّروا الأمر. وكان الأخ (عماد صالح محي الدين) يتولى التنضيد والتنسيق ويجهز الترجمة للطبع. وكنا نذهب معا ويحمل جهازه معه إلى شقة خصصها لنا صاحبها (إبراهيم يشار) في ضاحية بعيدة عن صخب إسطنبول تسمى (كوزَلجة) لنتفرغ لهذا العمل وننجزه، بعيدًا عن العلاقات والارتباطات الأخرى. وهكذا على الرغم من كل العقبات طُبع المجلد الأول "الكلمات" بفضل الله وكرمه، وأُرسلت منها إلى بعض العلماء والمكتبات حتى في الخارج. وتولت دار سوزلر للنشر بإسطنبول الطبع والتوزيع. وهكذا توالت المجلدات بالظهور ثم أُسست دار سوزلر

للنشر في مصر سنة ١٩٩٢م لهذا الغرض وإلى الآن تستمر خدماتها.. والحمد لله أولًا وآخرًا.

لماذا سيرة ذاتية؟

لدى كتابتي لسيرة ذاتية للأستاذ النورسي سافرت إلى إسبارطة واستمعت بالذات لخواطر الأخ الكبير بايرام يوكسل (ت١٩٩٧م) الذي لازم الأستاذ سنين، وأطلعني على المواضع التي كان الأستاذ يبقى فيها أو يدرّسهم الرسائل. حتى إنه أخذني يومًا إلى المطبخ وقال: سأعمل لك اليوم ما كنت أعمله من طعام للأستاذ، وشمر عن ساعديه ووضع قليلاً من الزبدة الحرة وبدأ يحميه وصب عليه شيئًا من اللبن الزبادي ثم كسر بيضة عليها وخلط الكل على النار. وقال هذا طعام الأستاذ فأكلنا معًا في المطبخ. وكتبتُ أغلب أبواب الكتاب في إسبارطة وأتممته في إسطنبول وقرأته على الأخ الكبير صنغور رحمه الله تعالى.

ألخص ما ذكرتُه في مقدمة الكتاب بالآتي:

"... في أثناء سيري في ترجمة كليات رسائل النور لاحظتُ، بل لمستُ لمس اليد أن الأستاذ النورسي قد سجّل أغلب الأحداث التي مرّت به أو مرّ بها، بل حتى خواطره ومعاناته النفسية والروحية، ونظراته وآراءه وتحليلاته للأحداث، سجلها كلها في الرسائل. إلّا أنه نثرها نثرًا بين ثناياها وضمّها بين فقراتها وعباراتها مستخدمًا إياها وسائل في خدمة الإيمان وتحقيقه في القلوب وترسيخه في العقول. فلم تعد تلك الذكريات، ذكريات تاريخية عابرة وإنما أصبحت أحداثًا متفاعلة مع الحياة والإيمان، وكذلك وسائل ودلائل وإشارات إلى مباحث الإيمان...

ولعل السبب الأساس في اختيار هذا النمط الصعب من الكتابة هو جعل القارئ الكريم يواجه الأستاذ النورسي مباشرة ويستمع إليه بنفسه من دون أن يكون لي دخل في الأمر، وذلك لئلا أتدخل في مشاعر القارئ وأحاسيسه، حيث إن الكاتب مهما حاول التجرد والموضوعية فإنه قد يضفي شيئًا من إعجابه بكلمات المدح والثناء على ما كتب وسجل.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أي مصدر من المصادر لا يرقى في مصداقيته مهما كان صائبًا وصادقًا على ما سجّله الأستاذ النورسي عن نفسه.

وعلاوة على ذلك، أحببت أن أضع بين يدي القارئ الكريم باللغة العربية أكبر كمية ممكنة من المباحث والخواطر والأحداث والوثائق الصائبة، وفي الوقت نفسه أرفع عن كاهل الباحثين الذين يرغبون في كتابة حياة الأستاذ النورسي عناء البحث والتنقيب."

وقد تُرجم الكتاب إلى اللغة التركية من قبل الأخت الفاضلة عائشة نورلان قاران، وطبع بدار نشر شاه دامار إسطنبول، عدة طبعات، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م. والطبعة الرابعة في ٢٠١٢م.

* * *

اعتراضات و إشكالات

يقول الأستاذ النورسي:

"إن مسائل رسائل النور ليست نابعة من العلم، وإعمال الفكر، وبالنية والقصد والإرادة، بل هي -بالأكثرية المطلقة- سانحات، وظهورات قلبية، وتنبيهات، وإخطارات على القلب".[1]

وحيث إن الأمر هكذا وبما أن قراء رسائل النور والمستمعين لها طبقات متفاوتة؛ وقد تلقوا ثقافات متباينة ونهلوا من علوم متنوعة.. فضلًا عن أن كل عمل ولو كان خالصًا ليس من الضروري أن يكون موضع قبول لدى الناس كلهم.

لذا فلا غرو سيكون هناك من ينتقد ما لا يروق له، أو لا يطابق ما هو معروف لديه؛ ولا شك أن المعترض قد قرأ الرسالة بدقة.. وأيًا كان الاعتراض وبأي حجة كانت. فلا بد أن نزيل هذه العقبة بالحسنى بما وضع الأستاذ النورسي من أصول وقواعد.

وكان الأخ عابدين رشيد يحثني دائما ولا سيما عندما كانت الاتهامات والظنون تأتيني لاذعة مثبطة وتواجهني تعليقات مرّة قاسية

(١) الملاحق، ملحق قسطموني ص١٩٤.

حول عملية الترجمة لرسائل النور في أيامها الأولى. وكان يقول لي: امض على بركة الله ولا تلتفت إلى أي كلام سلبي، فلسوف ترى كيف أن هؤلاء أنفسهم سيأتون يومًا إلى دارك ويثنون على عملك بل ربما يشجعونك ويباركون عليك.

وقد حصل هذا فعلًا، وشاهدناه بأم أعيننا والحمد لله أولًا وآخرًا.

أما الاعتراضات المغرضة أو الظنون، فنكلها إلى الله سبحانه فهو الكفيل بها.

ولقد بيّن الأستاذ النورسي أسسًا قويمة في كيفية العمل مع المعترضين ووسائل دفع اعتراضاتهم التي توجهت أو ستوجّه في المستقبل على الرسائل، سنذكر واحدة منها:

أسس العمل مع المعترضين

"باسمه سبحانه

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أبدا دائما..

لمّا كان أولياء الله الصالحون لا يمكنهم أن يعرفوا الغيب -إن لم يلهمهم الله سبحانه تعالى- حيث لا يعلم الغيب إلّا الله؛ فإن أعظم وليّ صالح لا يستطيع أن يطّلعَ على حقيقة وواقع الحال عند وليّ آخر، بل ربما يعاديه لعدم علمه بحقيقته، وما حدث فيما بين بعض العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، خير دليل على هذا. وهو يعنى أن وليين اثنين إذا ما أنكر أحدهما على الآخر، فإن ذلك لا يسقطهما من مقام الولاية ومنزلتها، إلّا إذا كان هناك أمر يخالف ظاهر الشريعة مخالفة كلية.

فاتباعـًا لدسـتور الآيـة الكريمـة: ﴿وَالْكَـاظِمِينَ الْغَـيْظَ وَالْعَـافِينَ عَـنِ النَّاسِ﴾ (آل عمران:١٣٤)،

وحفاظـًا على إيمـان المؤمنين مـن التصـدع، وذلك بالمحافظة على حسن الظن القائم بينهم وبين شيوخهم أو رؤسائهم،

وبناءً على ما يلزم من إنقاذ الأركان من طلاب النور المخلصين من سَـورة الغضـب المضـرة -مـع كونهـا محقـة- علـى اعتراضـات باطلـة، واجتنابـًا لما يستفيد منه أهل الإلحاد من هذه الخصومة بين طائفتين من أهل الحق بجرح الطائفة الأولى بسلاح الأخرى واعتراضاتها وتهوين شأن الثانية بدلائل الأولى ثم دحرهما معـًا..

فعلى طلبة النور -حسب الأسس المذكورة-:

ألاّ يواجهوا المعارضين بالحدّة والتهور، ولا يقابلوهم بالمثل. بل علـيهم أن يكتفـوا بالـدفاع عـن أنفسـهم فحسـب، مـع إظهـار روح المصالحة، والإجابة بوضوح عن نقاط الاعتراض، حيث إن الأنانية في عصرنا هذا قد تطاولت واشرأبت بعنقها حتى أصبح كل شخص لا يريد أن يـذيب أنانيتـه -التـي هـي كقطعـة ثلـج بطـول قامتـه- ولا يرغـب فـي تغييرهـا، بـل يسـوّغ لنفسـه ويراهـا معـذورة دائمـًا. وهـا هنـا ينشـأ النـزاع والخصومة ويكون موضع استفادة أهل الباطل والضلال على حساب أصحاب الحق وأهله".[1]

السؤال المتكرر

قابلني عدد جم من الأساتذة بالسؤال الآتي:

---

(١) الملاحق، ملحق قسطموني ص١٢٩.

لماذا لا تختصر فكر النورسي الموجود في المجلدات التسعة في كتاب واحد يُغني عن المجلدات كلها؛ لأن هذا الزمان -زمان السرعة- فالناس يريدون الوصول إلى الفكر مباشرة.

هذا السؤال نفسه بحاجة إلى ايضاحات، منها:

أولًا: ليس هناك ما يسمى فكر النورسي لأنه يقول: " مهما يظهر من قوة التأثير، وبهاء الجمال في أسلوب كتاباتي، فإنها ليست مني، ولا مما مضغه فكري، بل هي من لمعات "ضرب الأمثال" التي تتلألأ في سماء القرآن العظيم، وليس حظي فيها إلّا الطلب والسؤال منه تعالى، مع شدة الحاجة والفاقة، وليس لي إلّا التضرع والتوسل إليه سبحانه مع منتهى العجز والضعف. فالداء مني والدواء من القرآن الكريم".[١]

ثانيًا: لو عصَرنا كليات الرسائل كلها لرأينا أنه لا تقطر منها إلّا المقاصد الأربعة للقرآن الكريم؛ التوحيد، النبوة، الحشر، العدالة. فهي تفسير لهذه المقاصد الأربعة للقرآن الكريم.

ثالثًا: لا تقاس رسائل النور بالمؤلفات الأخرى، كتفسير ابن كثير الذي قام باختصاره الشيخ محمد علي الصابوني[٢] جزاه الله خيرًا، وأمثالها من الكتب الأخرى المتداولة؛ وذلك لأن: " الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب

---

(١) المكتوبات، المكتوب الثامن والعشرون، المسألة السابعة ص٤٨٧.

(٢) من مواليد ١٩٣٠م بحلب، وتخصص في علم تفسير القرآن الكريم، له مؤلفات كثيرة ضمن اختصاصه.

وكشوفاته. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معًا وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا ...". [١]

رابعًا: إن القراءة المجتزأة المبتورة لا تجدي ولا تنفع القارئ، فلا بد من قراءة متواصلة. فيجد عندها أن في الرسائل نفسها خلاصات لبعض مسائلها ضمن مسائل أخرى، وإحالات بعضها على الآخر. أي ما فصّل هناك يوجزه هنا، أو العكس يفصّل هنا ما أوجزه هناك.

خامسًا: إن قراءة متفحصة للكليات يجد أن (المثنوي العربي النوري) هو خلاصة رسائل النور، كما يصفه الأستاذ النورسي نفسه: "فتبيّن أن "المثنوي العربي" هو مشتل رسائل النور وغراسها".[٢]

سادسًا: وفي الحقيقة؛ إن الذي يعيق التلخيص هو ما في الرسائل من مزايا خاصة بها، نذكر منها:

إنها تجمع بين حاجات العقل والروح معًا، فليست الرسائل معلومات مكدّسة يمكن اختيار أفضلها.

وهي منهاج تعليمي وتربوي معًا لها خصوصيتها في التعليم والتربية الإيمانية من تكرار وتوضيح واختصار حسب الحاجة.

إنها نتيجة تجربة ذاتية جرّبها المؤلف بنفسه أولًا، وبتكرار القراءة يستشعر القارئ ما استشعره النورسي ويبدأ بتذوقه وفهمه، حيث يضع نفسه موضع النورسي الذي قال: "ما كتبت إلّا ما شاهدت".[٣] وقال:

---

(١) الملاحق، ملحق قسطموني ص ١٠٤.

(٢) المثنوي العربي النوري، مقدمة المؤلف ص ٤٩.

(٣) المثنوي العربي النوري، قطرة ص ١٠٤.

"فإذا لا أذهب إلى مقامه، فليرسل هو خياله إليّ لأضيّفه على عيني، في رأسي كي يرى كما أرى".[1]

ثم إن الرسائل لا تضع أمامك الصورة وإنما تضعك في الصورة نفسها وتجعلك تعيشها. وتتخذ من الكائنات التي حولنا دلائل على الإيمان، وتحث على التفكر فيها وتجعل التفكر وسيلة لتقوية الإيمان، أي أنها تجمع بين الكتاب المنظور والكتاب المقروء معا.

سابعًا: كل مَن عرض عليّ اختصار الرسائل لم أعترض عليه، وإنما أردت أن يجرب ذلك بنفسه؛ فقد عرض عليّ أستاذان من الأزهر الشريف القيام باختصار الكليات في كتاب. ولم أعترض، وحاولا وقطعا مرحلة لا بأس بها. ثم تبين لهما أنه جهد ضائع. أي أن الرسائل خلاصتها فيها.

ووعد أستاذ من العراق أن يقوم بذلك، وقال: أمهلني سنة. قلت: مرحبًا. وإذا به بعد سنة يقول: هذا لا يختصر، فخلاصة كثير من الرسائل موجودة ومكررة في رسائل أخرى، علمًا أنه لا يُستغنى عن تكرار المسألة؛ لأنه يُستخدم لمعالجة قضية أخرى؛ فالمثال نفسه يرد في مواضع شتى ولكن لا يُستغنى عنه في أي موضع.

ووعدني أستاذ من المغرب بالعمل هذا، ووصل إلى ما وصل إليه الآخرون: لا يمكن تلخيص الرسائل أو تهذيبها؛ فخلاصتها فيها وتهذيبها فيها.

ومع هذا فالأستاذ النورسي بعد اكتمال مرحلة التأليف اختار موضوعات معينة وصنفها في مجموعات كالآتي:

---

(١) المثنوي العربي النوري، حبة من نواتات ص ٢١٨.

مجموعة (عصا موسى) لطلاب المدارس الرسمية وأساتذتهم.

مجموعة (ذو الفقار) لطلاب المدارس القديمة وأساتذتهم.

مجموعة (أسرار قرآنية) لمن له عمق في العلوم الإيمانية.

مجموعة (الموازنات) جمع فيها الموازنات بين الكفر والإيمان المتفرقة في الرسائل.

ولعل أفضل ما يقوم به قارئ الرسائل هو ما قام به الدكتور مأمون جرار[1] من اختيار "اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان" من كل مجلد، وقد سار في ذلك على منهج رضيه الأستاذ النورسي حين أمر ابن أخيه عبد الرحمن أن ينتخب ما يروق له مما سنح لقلب الأستاذ، وكانت ثمرة ذلك "نوى الحقائق" أو الحكم البديعية في نهاية المكتوبات.

أو ما قام به الأستاذ الدكتور نجيب علي عبد الله السودي[2] في كتابه "هكذا علمتني رسائل النور" إذ أخذ ما في مجلد الفهارس (قطوف من موازين النور) وحوّله كتابًا.

ما يبدو مبالغة

كنا نقرأ الدرس من الكلمة الخامسة والعشرين حول المعجزات القرآنية، ولما وصل الأخ القارئ إلى قول الأستاذ:

---

(١) من مواليد صانور في قضاء جنين في فلسطين ١٩٤٩، أردني الجنسية، أستاذ في اللغة العربية والأدب الإسلامي، له مجموعة مؤلفات في الأدب العربي والفكر الإسلامي، وأخرى في رسائل النور، صاحب دار المأمون للنشر والتوزيع في عمان، الأردن.

(٢) أستاذ اللغويات، جامعة تعز، اليمن.

" إن مئات الألوف من التفاسير التي قد بلغ بعضُها ثمانين مجلدًا – وقد ألّفها علماء محققون- برهان قاطع باهر على جامعية لفظ القرآن وخارقيته".[1] لاح على وجه أحدهم ما يومئ إلى أنه يرى "ثمانين مجلدًا" مبالغة.

وفي اليوم التالي أتى أخونا حازم ناظم فاضل بالآتي:

"حتى إن الاستغناء في علم القرآن (تفسير الأدفوي) بلغ مائة وعشرين مجلدًا، صنّفه في اثنتي عشرة سنة، محمد بن علي بن أحمد المقرئ النحوي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (كشف الظنون ج١/ص٤٤١) ". ووضعناه في الهامش.

الحقيقة والمجاز

كنت أتهيّب من قراءة كتاب "محاكمات" ناهيك عن ترجمته، حتى أتى إلى كركوك الأخ الكبير محمد برنجي[2] في طريقه إلى الحج. فقال والشباب محيطون حوله في بيتنا: هات المحاكمات. قلت: يا أخي الكبير اقرأ شيئًا آخر. أصرّ على المحاكمات بشدة، وكنت أقول في نفسي وهو يقرأ من الكتاب: لماذا تتهيب من هذا الكتاب؟ ثم فتح الله عليّ وترجمته بفضله ورحمته. وبعد إكمالي ترجمته وفيه من المسائل ما يستعصي عليّ؛ قابلت رئيس العلماء في الأنبار الدكتور عبد الملك

---

(١) الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون ص ٤٥٧.

(٢) من مواليد١٩٣٣ زار الأستاذ النورسي سنة ١٩٥٣ بإسطنبول، ترك مهنة التعليم والتحق بناشري رسائل النور بالمطابع. كان حريصا على أداء الصلوات في وقتها مهما كانت الظروف. قضى عمره بالتقوى إلى أن تغمده الله برحمته سنة ٢٠٠٧م.

السعدي في الرمادي وذكرت له: أنني ترجمت الكتاب لكن الكتاب فوق مستواي بكثير. فرجوته أن يضع بعض التوضيحات في الهوامش. قبِل هذا إلّا أنه قال: أمهلني شهرًا وأكثر لأنني على نية السفر إلى العمرة. ثم دعاني إلى بيته على الغداء، وهناك رجوته أن يكتب مقدمة للكتاب، فرفض بشدة، وقال: مَن أنا حتى أكتب مقدمة لبديع الزمان.. ثم أقنعته بالكتابة، فكتب جزاه الله خيرًا مقدمة بديعة.

واستفسرت عن سبب إيراد الأستاذ النورسي قضية "الثور والحوت"[(١)] في عدة مواضع من الرسائل. قال: وماذا يقول؟ قلت: يقول:

"إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل ينقلب إلى حقيقة، ويفتح الباب للخرافات."[(٢)] وسأذكره باختصار شديد حيث فصل في اللمعة الرابعة عشرة:

"إن التشبيهات والتمثيلات كلما انتقلت من الخواص إلى العوام، أي كلما سَرت من يد العلم إلى يد الجهل عُدّت حقائقَ ملموسة بمرور الزمن، أي كأنها حقائقُ واقعة وليست تشبيهات.

فمثلًا: حينما كنت صبيًا خُسف القمر، فسألت والدتي: ما هذا الذي حدث للقمر؟ قالت: ابتلعته الحيةُ! قلت: ولكنه يتبين! قالت: إن الحيَّات في السماء شفافة كالزجاج تشفّ عما في بطنها.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤ / ٦٣٦، رقم ٨٧٥٦) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما. قال الحاكم: هذا حديث تفرد به أبو السمح عن عيسى بن هلال، وقد ذكرت فيما تقدم عدالته، بنص الإمام يحيى بن معين رضى الله عنه، والحديث صحيح ولم يخرجاه. وتعقبه المنذري في الترغيب والترهيب (٤ / ٢٥٨) فقال: في متنه نكارة والله أعلم.

(٢) صيقل الاسلام ، محاكمات عقلية، المقدمة الخامسة ص٤٠.

كنت أتذكر هذه الحادثة كثيرًا وأسائل نفسي: كيف تدور خرافةٌ بعيدة عن الحقيقة إلى هذه الدرجة على لسان والدتي الحصيفة الجادة في كلامها؟

ولكن حينما طالعت علم الفلك رأيت أن الذين يقولون كما تقول والدتي، قد تلقّوا التشبيه كحقيقة واقعية؛ لأن الفلكيين شبهوا القوسَين الناشئين من تداخل دائرة الشمس، وهي منطقة البروج ومدارُ درجاتها، مع دائرة القمر وهي ميلُ القمر ومدار منازله، شبهوهما تشبيهًا لطيفًا بحيّتين ضخمتين، وسموهما تنينَين، وأطلقوا على إحدى نقطتي تقاطع تلك الدائرتين "الرأس" والأخرى "الذنب". فحينما يبلغ القمرُ الرأس والشمس الذنب تحصل حيلولة الأرض -كما يصطلح عليها الفلكيون- أي تقع الأرضُ بينهما تمامًا، وعندها يُخسف القمر. أي كأن القمر يدخل في فم التنين، حسب التشبيه السابق.

وهكذا عندما سرى هذا التشبيهُ العلمي الراقي بمرور الزمن إلى كلام العوام غدا التشبيه تنينًا عظيمًا مجسمًا يبتلع القمرَ!

وكذلك المَلَكان العظيمان المسمّيان بالثور والحوت، قد أُطلق عليهما هذان الاسمان في تشبيه لطيف سامٍ، وفي إشارة ذات مغزى. ولكن لما انتقل التشبيهُ اللطيف، من لسان النبوة البليغ السامي إلى لسان العوام، بمرور الزمن، انقلب التشبيهُ إلى حقيقة واقعة، فاتخذ المَلكان صورةَ ثورٍ ضخم وحوتٍ هائل.

لو قيل: بمَ تَقُوم هذه الدولة؟ فالجواب: على السيف والقلم، أي تستند إلى قوة سيف الجيش وشجاعته وإقدامه، وعلى دراية قلم الموظفين وعدالتهم".

هنا قال الدكتور: بمعنى أن الأستاذ النورسي يبين طريق أهل السنة والجماعة؛ بأن المجاز موجود بحدوده، كما هو في اللغة العربية. وضرب مثالًا قال: يوميًا نقرأ سورة الفاتحة ونقول: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. والصراط المستقيم أيّ شارع من الشوارع المستقيمة. فهل المعقول أن يكون هذا الشارع؟ وأشار إلى الخارج. وجزاه الله خير الجزاء.

ما لا يستقيم مع ما درسناه

لدى قيامي بتحقيق المثنوي العربي النوري وإشارات الإعجاز، لفتت نظري مسائلُ نحوية لغوية لا تستقيم مع ما تعلمناه في دراستنا المدرسية. تذكرت أيام كنت طالبًا في إعدادية كركوك للبنين وكان والدي المرحوم يدرّسنا اللغة العربية وآدابها. ففي أحد الأيام ونحن في بداية الموسم الدراسي وكان الموضوع "الممنوع من الصرف" وفي أثناء شرح الوالد للموضوع قاطعه أحد الطلبة وقال: أستاذ هذا خطأ، أجلسه الوالد بهدوء ولم ينفعل. وباشر بشرح الموضوع وبإسهاب وبكافة جوانبه وبما يفوق مداركنا كثيرًا واستمر يفصل ويفصل الموضوع دون انقطاع إلى نهاية الدرس، ففهم الطلاب جميعًا أنهم أمام عالم في اللغة العربية. ولم يجرؤ أحد إلى نهاية السنة الدراسية على إطلاق أي كلام جزافًا.

تذكرت هذا الموقف، وقلت إنني أمام عالم حفظ القاموس المحيط وثمانين كتابًا من أمهات الكتب، فهل يعقل أن يخطئ خطأً نحويًا يخالف القواعد المعلومة لديّ؟

ومع هذا استفسرت عن هذا الإشكال ممن لهم الباع الطويل في معرفة دقائق اللغة، فأرشدوني إلى ما فيه الصواب، جزاهم الله خيرًا، وذلك بالبحث عنها في بطون الكتب القديمة المعتمدة كالمغني والأشموني، حتى اطمأن القلب إلى أن ما كتبه الأستاذ النورسي هو الصحيح أو فيه الجواز. وأن ما ألِفناه ودرسناه من قواعد اللغة لا يرقى ليكون محكًا في مثل هذه المسائل. وسجلت هذا في مقدمة المثنوي العربي النوري، وإشارات الإعجاز.

السيد المهدي (رضي الله عنه)

دار حوار بيني وبين الدكتور محسن عبدالحميد حول السيد المهدي:

قلت: إذا اطلعت على ما يقوله الأستاذ النورسي حول المهدي تقول: لا بد من حاجة إلى المهدي[1].

قال: وماذا يقول الأستاذ النورسي عن المهدي؟ قلت: يقول:

"إن كل وقت وكل عصر بحاجة إلى "معنى" المهدي الذي يكون أساسًا للقوة المعنوية، وخلاصًا من اليأس. فيلزم أن يكون لكل عصر نصيب من هذا المعنى. وكذلك يجب أن يكون الناس في كل عصر

(١) وأحاديث المهدي عند الترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، والحاكم، والطبراني، وأبي يعلى الموصلى، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة. قال الشوكاني في التوضيح: والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضًا، لها حكم الرفع، إذ لامجال للاجتهاد في مثل ذلك. اهـ. (الإذاعة لمحمد صديق حسن خان ١١٣-١١٤) وانظر تحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/٤٨٥).

متيقظين وحذرين من شخصيات شريرة تكون على رأس النفاق وتقود تيارًا عظيمًا من الشر، وذلك لئلا يرتخي عنانُ النفس بالتسيّب وعدم المبالاة.

فلو كانت أوقات ظهور المهدي والدجال وأمثالهما من الأشخاص معينةً لضاعت مصلحة الإرشاد والتوجيه"[١].

ويقول الأستاذ النورسي:

".. إن الذي تنتظره الأمة وسيأتي في آخر الزمان، له مهام ثلاثة، وإن أهم وظيفة من هذه الوظائف الثلاث وأعظمَها وأجلّها هي: نشر الإيمان التحقيقي وإنقاذ الإيمان من الضلالة..

أما وظيفته الثانية: فهي تنفيذ الشريعة الغراء وتطبيقها، فبينما لا تعتمد الوظيفة الأولى على القوة المادية بل إن سنَدَها هو القوة المعنوية من إخلاص ووفاء وقوة العقيدة، فإن هذه الوظيفة تحتاج إلى قوة مادية عظيمة مرهوبة الجانب، وسلطة ذات شأن، كي يتمكن من تنفيذها.

أما وظيفته الثالثة: فهي خدمة الإسلام بإعلان الخلافة الإسلامية مستندًا إلى الوحدة الإسلامية، والاتفاق مع الروحانيين النصارى -الذين يلتحقون به خدمة للإيمان- فهذه الوظيفة يمكن تطبيقها بسلطة عظيمة وقوة هائلة وملايين الفدائيين المضحين.

إن الوظيفة الأولى أسمى وأعلى من الوظيفتين التاليتين بدرجات، إلّا أنهما يبدوان في نظر عامة الناس ولا سيما العوام، أسطع وأبهر وأوسع منهما لما لهما من جاذبية.

---

(١) الكلمات، الكلمة الرابعة والعشرون، الغصن الثالث ص٣٩٠.

خلاصة الكلام: إن إطلاق اسم "المهدي" على أي شخص في الوقت الحاضر، يورِد إلى الذهن الوظائفَ الثلاث دفعة واحدة، فيحصل الخطأ، وقد يجرح الإخلاصَ.. وتضعف قوة الحقائق لدى العوام شيئًا ما، وتنقلب اليقينيات المدعمة بالبراهين إلى الظن الغالب للقضايا المقبولة، فلا يَظهر لدى الحائرين من المؤمنين التغلبُ المبين على الضلالة العنيدة والزندقة المتمردة. وعندها يبدأ أهل السياسة بإثارة المخاوف والشكوك ويشرع قسم من العلماء بالاعتراض.."[1].

المهدي يُعرف بنور الإيمان

وأتذكر جيدًا أنه بعد إكمالي لصلاة العصر في البيت في بداية السنة الهجرية ١٤٠٠ أتاني ضيف وقال مباشرة: أستاذ لقد ظهر المهدي.

قلت: كذب.

قال: أستاذ كل الإذاعات أعلنت أن المهدي ظهر في مكة المكرمة.. وبدأ يشرح التفاصيل.

قلت: المهدي لا يقول أنا المهدي، ولا الدجال يقول أنا الدجال. أي إن سر الامتحان الرباني لا بد منه أن يستمر إلى آخر لحظة من حياتنا. فإذا قال أحدهم أنا المهدي بهذا الوضوح يعني أن الامتحان انتهى والجميع عليهم أن يتبعوه. وكذا الدجال إذا عرف بهذا الوضوح فعلى الجميع أن يتجنبوه. فأين الامتحان الإلهي ليميز الخبيث من الطيب؟

يقول الأستاذ النورسي:

---

(١) الملاحق، ملحق قسطموني ص ١٨٤.

".. وأنهم فسروا تلك الأحاديث بأن الآثار العظيمة التي تمثّل الشخصية المعنوية لأولئك الأشخاص أو تقوم بها جماعاتُهم، تصوّروها ناشئةً من شخصيتهم الذاتية الفردية، مما أدى إلى أن يُفهم أن هؤلاء الأشخاص سيظهرون ظهورًا خارقًا للعادة، فيعرفهم جميع الناس، والحال -كما قلنا- أن الدنيا ميدان اختبار وامتحان، وأن الله تعالى عندما يختبر الإنسان لا يسلب منه الاختيار بل يفتح الباب أمام عقله؛ لذا فهؤلاء الأشخاص -أي الدجال والمهدي- لا يُعرفون من قبل كثير من الناس عند ظهورهم، بل لا يَعرف ذلك الدجال الرهيب نفسه أنه دجال بادئ الأمر، وإنما يعرفهم مَن ينظر إليهم بنور الإيمان النافذ إلى الأعماق".[1]

تقديس الأشخاص

قبل اختتام الجلسات في ندوة في الفليبين في ٢٠٠٥/١١/١٨م، قام أحد الحاضرين واعترض بالعربية قائلا: ها نحن نستمع منذ بداية الجلسات إلى نهايتها أنكم تتكلمون عن النورسي... النورسي... أنتم رفعتموه إلى مرتبة النبوة!

فأحال الإخوة الجواب عليّ، فقلت:

يا أخي قبل كل شيء أرجو أن تتوضح لدينا مرتبة النبوة ومرتبة الولاية. يقول الأستاذ النورسي:

"إنّ نسبةَ النبوة إلى الولاية كنسبة الشمس المشهودة بذاتِها إلى صورتها المثالية الظاهرة في المرايا، لذا فإن سموَّ منزلة العاملين في دائرة النبوة وهم الصحابة الكرام الذين كانوا أقربَ النجوم إلى تلك

---

(١) الكلمات، الكلمة الرابعة والعشرون، الغصن الثالث ص٣٩١-٣٩٢.

الشمس الساطعة، وعلوَّ مرتبتهم على الأولياء الصالحين، هو بنسبة سموِّ دائرة النبوة وعلوِّها على دائرة الولاية، بل حتى لو كسب أحدُ الأولياء مرتبة الولاية الكبرى، وهي مرتبة ورثة الأنبياء والصديقين وولاية الصحابة، فإنه لا يبلغ مقامَ أولئك الصفوة المتقدمين في الصف الأول، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين".[1]

فقل لي بربك: أين الشمس الحقيقية الساطعة من صورتها المثالية في مرآة؟ فمهما قيل من مدح وثناء على الأولياء والصالحين فهم مازالوا في مرتبة الصورة المثالية في المرآة!

وهل يُفهم القرآن حق الفهم دون السيرة المطهرة؟

بعد إنهاء أعمال المؤتمر العالمي الرابع (نحو فهم عصري لفهم القرآن الكريم، رسائل النور نموذجا) بإسطنبول في٢٠/٩/١٩٩٨م اصطحبنا المشاركين من الأساتذة إلى فيلا واسعة وسط حديقة غناء للاستجمام. وفي الليل بعد صلاة العشاء تلا الأستاذ عبد الحليم عويس[2] تلاوة عطرة من القرآن الكريم. ثم بدأ الكلام من هذا وذاك، فقال أحدهم: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. أورد هذا وكأنه يقصد؛ لماذا تكثرون اسم النورسي كثيرًا فالرسائل كافية ووافية.

فقال الدكتور عويس: هذا الكلام لا يقوله إلّا أبوبكر لسيدنا الرسول ﷺ ولا يقال لأحد سواه. أرجو أن نفهم هل يمكن فهم القرآن الكريم حق

---

(١) الكلمات، ذيل الكلمة السابعة والعشرين ص٥٦٧.

(٢) انتقل إلى رحمة ربه الكريم في ١٤ محرم ١٤٣٣هـ الموافق ٩ /١٢/ ٢٠١١ عن عمر ٦٨ عاما.

الفهم إن لم نطلع على السيرة المطهرة. وكذلك لا يمكن فهم رسائل النور دون سيرة الأستاذ النورسي؛ فقد كتبها من عصارة حياته الفردية والاجتماعية. فما كان يكتب كما نكتب نحن تحت المكيفات الكهربائية، وعلى المنضدة وضعت ما لذّ وطاب من الفواكه. كلا وإنما مثلما يقول:

" لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيضٌ أُفيض على روحٍ مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضًا شيئًا سيالًا تذوقه القلوبُ وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي".[1]

ثم دار الكلام في أمور شتى حتى قال أحدهم: على طلاب النور قراءة المنطق وأصول الفقه وأمثالها من كتب العلوم الشرعية، فأجابه الأستاذ عويس: يا أخي هؤلاء لا يتقنون اللغة العربية نفسها فكيف تطلب منهم مالا تطلبه من المثقفين العرب؟ هذا أولًا ثم هل تعرف ماذا يفعل القرآن الكريم بالإنسان إذا تشبّعت روحه منه، إن القرآن يعطيه كل ما تريده أنت، بل أكثر من ذلك، يعطيه البصيرة لإدراك الأمور. إنّ تشبّع الروح بحقائق القرآن شيء وحفظ القرآن شيء آخر، أليس الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين اكتفوا بالقرآن؟ وهل كان هناك أصول الفقه وعلم الكلام؟ وهذا لا يعني أننا لا نقرأ هذه الكتب وإنما نقرأها بعد تشبعنا بحقائق القرآن كما هي في رسائل النور.

مثال النحل

سألني أحد الإخوة في درس من دروس النور: ما هو الأثير؟ قلت:

---

(١) المثنوي العربي النوري ص٣١٨.

كان فلاسفة اليونان يعتقدون بوجود ما هو ألطف من الذرات، فأخذه علماء الكلام ودخل ضمن المعارف الإسلامية، ثم أنكر علماء الفيزياء وجوده، ثم في الوقت الحاضر يعتقد بوجوده العلماء. فانبرى أحدهم في مجلس الدرس، وقال: يا أستاذ إحسان ما هذا الكلام؟ الأستاذ النورسي قال: اكتب يا أخي! فكتب طالب النور الذي كان معه. أيّ علم كلام؟ وأيّ فلسفة؟

قلت: استمع يا أخي إلى هذا المثال:

حديقة واسعة تأتي نحلة صغيرة جدًا وتقف على هذه الزهرة وأخرى وأخرى بما قدّر الله لها، ثم تدخل موضعها وتعمل قطرة من عسل. فلو فرضنا أن حول الحديقة الغناء مصانع ومعامل مليئة بالمهندسين الكيماويين وعلماء حاذقين فهل يمكنهم أن يجنوا من تلك الأزاهير العسل؟

قال: لا. قلت: لماذا؟ قال: لأن النحلة ملهمة من قبل الله. قلت: كذلك الأستاذ النورسي قضى حياته الأولى بين الكتب حتى حفظ من رحيق أزاهير ثمانين كتابًا، ثم حظي بإلهام رباني من فيض القرآن الكريم فأملى رسائل النور على طلاب رسائل النور.

قراءة من شاشة

اصطحبني الأستاذ محسن عبد الحميد لزيارة الشيخ مصطفى النقشبندي[1] بأربيل. ولما جلسنا في مجلسه وكان جالسًا على الأرض سأله

(١) هو الشيخ مصطفى بن الشيخ أبوبكر النقشبندي، من شيوخ ورؤساء الطريقة النقشبندية الصالحين في العراق، ولد سنة ١٨٨٨م في قرية هرشم في محافظة أربيل، وتوفي سنة ١٩٨٦م. رحمه الله رحمة واسعة.

الأستاذ محسن سؤالًا في العقائد. وأجاب وهو ينظر أمامه إلى نقطة معينة لا يصرف نظره عنها وكأنه يقرأ من شاشة قبالته تماما، قال: هذه المسالة تبدأ بمقدمة: أولًا وبدأ يسرد، ثم الباب الأول واستمر دون توقف وهكذا، وأحيانًا كان يتوقف كأن التيار انقطع، ثم يبدأ مباشرة ويسرد ثم يمضي وهكذا إلى أن أنهى الجواب.

فقلت في نفسي: إذًا علـمُ الأستاذ النورسي وإملاؤه الرسائل على طلابه كان على هذه الشاكلة، أي كأنه يقرأ من شاشة مفتوحة أمامه.

نياتنا طبقات

كان أخونا سيد طه أحمد (رحمه الله رحمة واسعة) يردد كثيرًا: نياتنا طبقات، كالبقلاوة ظاهرها شيء وتحتها طبقات من أمور أخرى. ويقصد بها: إننا نقول: نعمل لله وفي سبيل الله؛ لكن تحت هذا العمل كثير من حظوظ النفس، ولو أنها مغلفة بأغلفة باسم خدمة الإسلام.

ولقد عشت حقيقة هذا الكلام كالآتي:

كنت مع أخ عزيز نزور أحد الفضلاء خارج كركوك بقصد جلبه إلى ميدان الترجمة، واستمرت الزيارات ما يقرب من سنتين. ثم حصل عكس ما كنا نرجوه تماما حيث رأينا الجفاء. فأصبحنا مبهوتين أمام هذه النتيجة غير المتوقعة، ولم نتمكن من تأويلها في وقتها. ولكن بعد مدة من الزمن سمعت أحد الإخوة يقرأ الفقرة الآتية من الرسائل فتذكرت موقف ذلك الأخ وأدركت خطأنا من أننا كنا نرجو جلبه ليدخل ضمن نطاق الترجمة؛ أي أن نيتنا ما كانت خالصة لوجه الله سبحانه لأننا كنا نترقب شيئا وراء زياراتنا له.

والفقرة هي الآتية:

"إنه لأجل اطمئنان عوام المؤمنين وتقبّلهم حقائق الإيمان دون أن يساورهم أي تردد، يلزم في الوقت الحاضر، وجود معلّمين، يحملون من الإيثار ما يجعلهم يضحون لا بمنافعهم الدنيوية وحدها، بل بمنافعهم الأخروية أيضًا في سبيل منافع أهل الإيمان الأخروية. فيكون ذلك الدرس الإيماني خالصًا نقيًا بحيث لا يفكرون فيه بالمنافع الشخصية مهما كانت. بل يسعون في الخدمة الإيمانية، بالحقائق، نيلًا لرضا الله، وعشقًا للحقيقة، وشوقًا إلى الحق، والسداد الذي في الخدمة، وذلك ليطمئن كل من يحتاج إلى الإيمان اطمئنانًا تامًا دون حاجة إلى إيراد الأدلة له، ولكيلا يقول: إنه يخدعنا ويستميلنا. وليعلم أن الحقيقة قوية بذاتها إلى حد لا يمكن أن تتزعزع بأي حال من الأحوال، ولا تكون أداةً طيّعة لأي شيء كان.. فيقوى إيمانه عندئذٍ ويقول: حقًا إن ذلك الدرس الإيماني هو عين الحقيقة. وتُمحى شبهاته ووساوسه".[1]

بعدما سمعت هذه الفقرة صدّقت كلام الأستاذ النورسي وتذكرت كلام الأخ سيد طه؛ كيف أن تحت أعمالنا ونياتنا طبقات أخرى تحول دون بلوغ النتيجة المرجوة.

التلقي من القرآن!

في دعوة خاصة في مطعم (دلربا) المطل على البسفور بإسطنبول لضيوف كرام من العراق. كان الكلام يدور حول رسائل النور وكيف أنها ملهمة من القرآن الكريم.

---

(١) الملاحق، ملحق قسطموني، ص ٢٢٥.

فقال أحدهم: نحن نقرأ القرآن الكريم نفسه ونتلقى منه مباشرة.

وكان الجواب: لا شك أن كل مسلم بل كل إنسان له حظه من القرآن الكريم لأنه خطاب للناس كافة. أما أن نصدر الأحكام حسب فهمنا، فهنا نرتكب الخطأ. لأن التلقي من القرآن الكريم له خصوصيته من علم باللغة العربية وآدابها وبأسباب النزول وما شابه من علوم القرآن والتفسير فضلًا عن التقوى والتضرع إلى الله ليفتح له من رحماته. فمن كان له حظ من هذه المزايا فليهنأ بها وليتلقَ من القرآن.

وهنا أذكر لكم خاطرة لأحد الإخوة:

ذكر لي الأخ نعمان عواد العاني (رحمه الله تعالى) هذه الخاطرة التي ظلت ببالي منذ الستينات فقال:

"لما كنت طالبًا في كلية التجارة ببغداد أتانا مستشرق انكليزي، وحاضر محاضرة عامة. وتطرق ضمن المحاضرة إلى سيدنا محمد ﷺ وقال: كان محمد ينسى، والدليل على ذلك الآية الكريمة: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾ (الأعلى:٦).

وأنا مباشرة اعترضت من مكاني، إلّا أن الذين من حولي من الطلاب أمسكوني حتى لا أقوم للاعتراض، وقالوا: مَن أنت حتى تعترض على هذا المستشرق الذي قضى عمره في العلم. ولكني أصررت على القيام للاعتراض، فقمت وقلت: أظن يا أستاذي المحترم أن هناك التباسًا وهو: أن (لا) في الآية الكريمة ليست للنهي وإنما للنفي. يعني الآية تنفي النسيان عن الرسول ﷺ والدليل، أنها لم تجزِم، فلو كانت ناهية لكانت تجزِم الفعل وتكون الآية الكريمة (لا تنسَ). كما هي

في الآية الكريمة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧).

قال: نعم. كلامك صحيح، وشكرني على هذه اللفتة القرآنية". اهـ

فيا إخوتي! بالله عليكم كم منّا مَن يميّز لا الناهية عن النافية؟ علمًا أن اللغة العربية بحر لا ساحل له. فكيف نتلقى من القرآن ونحن لم نخطُ بعدُ الخطوة الأولى لفهم أسرار اللغة؟

فأرى من الأفضل لنا أن نسأل أهل الذكر كما أمرنا ربنا سبحانه ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤٣).

فالنورسي مفسر للقرآن الكريم، وقد حفظ أكثر من ثمانين كتابًا من أمهات الكتب. ألا يكفي هذا أن نسأله ونستمع إلى كلامه؟

* * *

من خواطر الإخوة

الدعاء المستجاب

ذكر لي الأخ الدكتور مأمون جرار أنه دعا دعوة خالصة لله في أيام ندوة رابطة الأدب الإسلامي التي عقدت في القاهرة تحت عنوان (رسائل النور وتجديد الخطاب الديني) في٧/٠٢/٢٠٠٩م:

"يا رب كما يسّرت لإحسان قاسم الصالحي ترجمة رسائل النور إلى العربية يسّر لي تسجيلها بصوتي". وكان من الحضور عدد كبير من طلاب النور الأتراك أمّنوا على الدعاء، فيسّر الله تعالى بفضله ومنّه تسجيل رسائل النور كاملة. والحمد لله أولًا وآخرًا.

وأرسل لي بالبريد الإلكتروني الآتي:

ما الذي استوقفني في رسائل النور؟

يمكنني أن ألخص علاقة رسائل النور بمن يقرؤها بعقل مفتوح وقلب سليم بجملة موجزة:

تُدهشك، وتشدّك، وتؤثّر فيك!

الذي يقرأ رسائل النور بوعي وبإقبال حقيقي يشعر لا محالة أنّه أمام شيء مختلف عمّا ألِفَه في كتب الفكر الإسلامي أو كتب التزكية

والسلوك. إنّها ليست ثمرة بحث وتفكير عقلي بحت، وليست مما هو مألوف في كثير من الكتب الإسلامية من كونها مؤلفات في موضوع محدد يراد به تحقيق هدف علمي بحثي، إنها شيء مختلف.

إنّها تغوص بك في أعماق الذرات، وتحلّق بك في آفاق المجرات، تحملك على أجنحة التفكر لتطوف بك في كل شيء وتفتح لك نافذة تدلك على الله في كل شيء.

تخاطب عقلك فتجدك في أدق حالات التنبه والوعي، وتخاطب قلبك فتجدك في أجمل لحظات الخشوع والوجد! تجد نفسك مع الله في كل حال وشأن ولمحة وطرفة عين وأنت تعيش في أنوار رسائل النور.

رسائل النور تلامس ما في الإنسان من اللطائف التي تعرف ربها بالفطرة منذ استمعت إلى النداء الرباني: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (الأعراف:١٧٢)

روعة رسائل النور، أنّها لا تدخلك في زاوية أو تكية، بل تحوّل الكون كلّه من حولك إلى زاوية!

ليس المنشدون فيها من أصحاب الصوت الجميل من البشر بل فيها:

إنشاد الطيور التي علِم كلٌّ منها صلاته وتسبيحه..

وإنشاد الهواء بدرجات هبوبه..

وإنشاد الأشجار بحفيف أوراقها..

وإنشاد السماء بأصوات رعودها..

وتلألؤ نجومها..

بل إنّك تحسّ وأنت تمر على الأشجار وتسلم عليها أنها ترد عليك السلام..

بل نصل إلى الدرجة التي تفتح لنا فيها رسائل النور النوافذ الحسية التي تجعلنا نسمع تسبيح كل شيء!

رسائل النور كما هو متعارف عليه رسائل في الإيمان، في الفقه الأكبر الذي يكشف لغز الوجود ويجيب عن الأسئلة الأساسية في حياة الإنسان: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟

والإيمان؛ كالروح في الجسد

والعافية في البدن

والدم للإنسان

والشمس للأرض.

فإذا وجد الإيمان وجد كل خير وإذا فقد الإيمان فقد كل خير.

رسائل النور تحدثك عن الله تعالى حديثًا نديًا ليس فيه جفاف أسلوب علم الكلام القديم، فتجليات الأسماء الحسنى تتجلى لك في آثارها التي تلمسها في كل ما حولك.

وانظر إن شئت حديث الأستاذ النورسي عن اسم الله الأعظم الذي يرى أنه مكون من الأسماء الستة: فَرْدٌ حيٌّ قيوم حكم عدل قدوس، إنّ حديثه يقرّب لك تجليات الأسماء الحسنى وتلمسها بحواسك إلى جانب عقلك وقلبك.

وانظر كيف يحدّثك عن الشخصية المعنوية للرسول ﷺ، وقارنها بالسيرة التاريخية التي تجدها في كتب السيرة لتجد التاريخ في جانب وتجد الشخصية الحية في الجانب الآخر.

وانظر كيف يحدّثك عن الآخرة: عن البعث والحشر، وانظر كيف تتجلى لك أدلة البعث وتجلياته فيما حولك من الأدلة التي تجعل البعث والحشر يقينًا لا ريب فيه.

وهكذا تجد نفسك في رسائل النور أمام كتاب لا يشبهه ما تعرف من قبل من الكتب، فتجد في قلبك ما يقول لك: إن في هذه الرسائل علمًا لدنيًا أكرم به الله الأستاذ النورسي، وذلك حين وحّد القبلة واتخذ القرآن الكريم مرشدًا فأفاض عليه القرآن الكريم من أنواره رشحات إعجاز، وتفسيرًا يقرب حقائق القرآن إلى القلوب والعقول.

من ذكريات الأخ الحبيب حازم ناظم فاضل:

في أواسط سنة ١٩٧٧م كنا نزور الأستاذ إحسان الصالحي يوميًا، وكان يقرأ لنا من كليات رسائل النور المؤلفة باللغة التركية، وكنا نبهر مما نسمعه، وكان يقول: قرأت اليوم موضوعًا فأعجبني وأريد أن تشاركوني، أو كان يقول: لم أسمع مثل هذا الكلام في حياتي وأحب أن نتقاسم الموضوع معًا.

وكانت هذه الدروس سلسبيلًا لقلوبنا العطشى وجوابًا للأسئلة التي تدور في خلدنا. وأقسم بالله، ما من سؤال كان يدور في ذهني إلّا وكان الجواب حاضرًا في دروس النور.

ولم يكن الأستاذ الصالحي يسير وفق منهج خاص في القراءة، لتكملة كتاب أو رسالة، وإنما كان يقرأ من أي كتاب أو رسالة ويفتحه عشوائيًا، ويقرؤه علينا. وأصبح الكثيرون يأتون لسماع دروس النور ومن القوميات العربية والكردية، فيلقي عليهم الدرس بالتركية ويشرحه لهم باللغة العربية،

أي أن الأستاذ ولمدة ثلاث سنوات كانت ترجمته للرسائل ترجمة فورية، ونظرًا للإقبال الشديد على الأنوار فقد أصبح لزامًا إيصالها إلى كل بيت، وأصبحت ترجمة هذه الرسائل إلى العربية حاجة ملحة، ولا سيما أن الناس جُبلوا على القراءة باللغة العربية، فألحوا على الأستاذ إحسان بترجمة هذه الأنوار إلى العربية لاطلاع أكبر عدد ممكن من الناس عليها.

ولم يكن الأستاذ إحسان يفكر يومًا ما أن يكون هو المترجم لرسائل النور، فقد سبق أن قابل الإخوة في تركيا وألح عليهم بالذهاب إلى الشام ومصر ومقابلة العلماء لغرض ترجمة الرسائل. ولكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا فإنه يقول له كن فيكون.

ولكن.. وكما يقول مولانا جلال الدين الرومي: "دَادِ حَقْ رَا قَابِلِيَّتْ شَرْطْ نِيسْت"..

أي: إن عطاء الله سبحانه لا يشترط القابلية في الشخص المُعطى له.

فألقى الإحسان الإلهي على كاهل الأستاذ إحسان هذا الحمل المبارك، وسهّل له الطريق إلى ترجمة رسائل النور كاملة.

بدأت الترجمة بالكلمات، ونشرت أول قطعة من رسائل النور في مجلة التربية الإسلامية الصادرة ببغداد سنة ١٩٧٩م بعنوان (شوقًا إلى الصلاة)، وهي المقام الأول من الكلمة الحادية والعشرين من مجموعة الكلمات.. وبعدها توالت مقالات أخرى، وفي كل شهر.

وانهالت على إدارة مجلة التربية الإسلامية رسائل من شتى بقاع المعمورة يثنون على الترجمة ويطلبون عنوان المترجم لغرض مراسلته.

وكان الأستاذ عبدالوهاب السامرائي (رحمه الله) رئيس تحرير المجلة

يسلّم عشرات الرسائل إلى الأستاذ الصالحي كل شهر، هذا من الجزائر وذاك من السودان والآخر من المغرب والرابع من الامارات العربية ...الخ.

وعندما كنت آخذ المقالات المترجمة إلى الأستاذ عبد الوهاب السامرائي، كان يضعها على رأسه أو بين عينيه، ثم يكتب عليها فورًا (ينشر) ويوقعها دون قراءتها ويعطيها إلى المحررين.

وعندما نشرت هذه المقالات والمستلات من رسائل النور، واشتهرت في العراق، ونالت إعجاب القاصي والداني، ورأوا في الأستاذ الصالحي هذه القابلية، أراد قسم من أصدقائه القدامى أن يثنوه عن الترجمة، ويوجهوه إلى ترجمة كتب أخرى، فكانوا يأتونه إلى البيت، ويقولون: هلا ترجمت كتاب (كذا) للعالم المشهور أو الكتاب العلمي الفلاني إلى العربية أو.. أو...الخ.

ولكن.. كان الشغل الشاغل للأستاذ أن يترجم رسائل النور وإيصالها إلى أكبر عدد من المحتاجين إلى الأنوار.

وكانت مسوّدة الترجمة تعطى إليَّ أو إلى نجله البكر (سعد) لغرض تبييضها، ومن ثم تستنسخ عدة نسخ من قبل الإخوة والأخوات الذين نذروا أنفسهم لخدمة النور.

وكانت هذه النسخ ترسل إلى العلماء والأساتذة في محافظات العراق (بغداد، الموصل، الأنبار، السليمانية، أربيل) لغرض الاطلاع عليها وبيان الملاحظات والتصحيحات، ومن ثم تجمع هذه النسخ وتؤخذ الملاحظات والتصحيحات لتخرج نسخة أخيرة لغرض إرسالها

إلى مجلة التربية الإسلامية أو إلى وزارة الإعلام لاستحصال الموافقات الرسمية لأغراض الطباعة والنشر.

لـم تكـن آلات الطباعـة اليدويـة متـوفرة يومئـذ فـي العـراق، وكانـت محظـورة مـن قبـل الدولـة، فوجـود جهـاز طابعـة يدويـة فـي بيـت مـا قـد يعرض أهله للاعتقال.

ولم تكن أجهزة الاستنساخ متوفرة أيضًا، وكانت مكاتب الاستنساخ المجازة تعتذر عن الاستنساخ أحيانًا تجنبًا للوقوع في محاذير. لذا كانت الرسائل تكتب باليد وتوزع.

وبـالرغم مـن الانقطـاع المسـتمر للتيـار الكهربـائي لظـروف الحـرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات، وأُجبر الناس على قضاء الليـالي الطويلـة بـالتعتيم الإجبـاري.. بـدأنا كتابـة الرسـائل علـى ضـوء الشموع والفوانيس.

واستحسـن الترجمـة العربيـة جمـع غفيـر مـن فطاحـل علمـاء العـراق، أمثال: الشيخ الدكتور عبدالملك السعدي مفتي الأنبار، والذي قدّم لكتاب (محاكمـات عقلية)، والـدكتور محسـن عبدالحميد أستاذ التفسير والعقائد فـي جامعـة بغـداد، والـذي قـدم لرسـالة (الآيـة الكبـرى) وكتـاب (إشـارات الإعجـاز)، والـدكتور عمـاد الـدين خليـل الأسـتاذ فـي جامعـة الموصـل، والشـيخ الجليـل مصـطفى البنجـويني، والشـيخ الفاضـل عمـر الريشـاوي، والشيـخ عبدالمجيـد المـدرس والأسـتاذ غـانم حمـودات والأسـتاذ أديـب الدباغ الذي قرأ المترجمات كلها كلمة كلمة، وشـذب وصـحح في مواقع تحتاج إليها .. وغيرهم كثير.

وكان أول كتاب طبع هو: (رسالة الحشر)، ونفدت من الأسواق في مدة قصيرة، وأُعيدَ طبعها مرة أخرى، وتوالت طبعات الرسائل: (الآية الكبرى، الملائكة، كلمات صغيرة، المعراج النبوي، سلوة المرضى، الشيوخ، الثمرة، الإيمان وتكامل الإنسان، الشكر، الحشر، الاسم الأعظم ...).

وبدأ الإخوة في محافظات العراق بتوزيع هذه الكتب والرسائل على المكتبات لغرض بيعها، وأخذ القسم الآخر ببيعها في المساجد والجوامع، وفي مدة قليلة أصبحت الأسواق والمكتبات مليئة بعشرات من عناوين الكتب المترجمة، وذلك بفضل الله تعالى.

وأخيرًا، صدرت رسائل النور على شكل مجموعات في تسعة مجلدات وطبعت في تركيا ومصر(دار سوزلر) والمغرب (دار الأحمدية) والسعودية (دار لوامع الأنوار) والهند (دار بارلا). وقد مَنَّ الله سبحانه على كاتب هذه السطور بتنظيم فهارس لهذه المجلدات التسعة.

ومن التوافقات، أود أن أذكر ما يلي:

في أثناء الحرب العراقية الإيرانية تم سوق جميع الإخوة من الشباب والشيوخ إلى الجيش أو إلى الجيش الشعبي (المليشيات)، ولم ينج الأستاذ إحسان من ذلك رغم أن عمره قد ناهز الخمسين عامًا، فسيق إلى أحد معسكرات التدريب، وأنعم الله سبحانه عليه بتحقيق كتاب (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)، وكأن القدر الإلهي يشير: أن يا إحسان إن نشر هذا الكتاب لا يكون إلّا إذا ركبت عنان الصعاب، وتغربت عن الأهل والخلان، لتظفر بتحقيق إشارات الإعجاز في مظان

الإيجاز. فكما أن تأليفه كان في سوح القتال، فكان تحقيقه كذلك في أتون الحرب.

ويذكر الأستاذ إحسان في مقدمة (إشارات الإعجاز) ذكرياته:

" ففي أيام قاحلة وشهور عجاف أكرمني الله العلي القدير بقراءة هذا التفسير الجليل قراءة لا أرجو من ورائها سوى شرح للصدر، وتغذية للروح وتنضير للذهن.

كررت قراءته مرات ومرات، فأطفأ -بإذن الله- ظمأ القلب بعذبٍ برود.. ولكن..

ولكن لمست أنه بحاجة إلى تنسيق جديد وتحقيق سديد ليسهل تناوله ولا يتعذر فهمه لكل من يريد أن يستفيد.

وشاء القدر الإلهي أن يأتيني أخ كريم بنسخة مخطوطة منه وآخر بطبعته الأولى، وقد كنت احتفظ بترجمته التركية وبطبعته الثانية والأخيرة.. فاستجمعت العناصر الأولى للتحقيق. فإيفاءً لشكره تعالى على ما أنعم عليّ وإعدادًا لنسخة جيدة من هذا التفسير الجليل هممت أن أقوم بتحقيقه، ولكن..

ولكن قصوري، وقلة خبرتي، وضخامة الموضوع، وجلال المقام، وخشية الزلل.. كانت تكّفني عن القيام بالتحقيق.. بيد أن النظر إلى ما عند الله، وفضله العميم، والثقة به، وحسن القصد إليه في خدمة كتابه العزيز.. كانت تدفعني إلى العمل.. فتخليت عن الإحجام ولازمت الإقدام متوكلًا على العلي العلام، وسرت بخطوات متئدة".

يقول الدكتور محسن عبدالحميد في مقدمته:

"لقد أحسن الأستاذ الفاضل إحسان قاسم الصالحي بتحقيقه هذا الكتاب من جديد، حيث أغناه بتدقيقاته المفيدة وشروحه القيمة في الحواشي، وهذا فضل يكمل به أفضاله السابقة على قراء العربية حين قضى سنوات عدة في ترجمة مجموعة متنوعة من رسائل النور التي دبجها يراع الإمام الممتحن سعيد النورسي حجة الإسلام بحق في حياة تركيا الحديثة".

وبين آونة وأخرى، كان يأتيه أشخاص يعارضون أقوال الأستاذ النورسي، فيقابلهم الأستاذ إحسان بكل هدوء، ويقرأ عليهم رسائل النور، والنقاط التي أُسيء فهمها من قبلهم، فتلين جوانحهم تجاه هذه المقابلة، وهذا الحوار والاحترام.

أتاه أحد الأشخاص وكان يحمل بيده مجلة التربية الإسلامية فقال: كيف تنشر مثل هذه العبارة بأن (هناك موانع في الوقت الحاضر تمنع الاجتهاد)، بل إن باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة.

فقال له الأستاذ إحسان: هل سمحت وقرأنا معًا رسالة الاجتهاد؟ فهي توضح هذه العبارة، فقرأ له الرسالة وبين: أن باب الاجتهاد مفتوح كما يقرره الأستاذ النورسي. فاطمأن الشخص لهذا الجواب.

وكنت أرى فيه التواضع الجم، فلم يستنكف يومًا ما أن يسأل هذا العالم، أو ذاك عن توضيح مصطلح أو موضوع أو مسألة أُشكلت عليه، أو أُثيرت من قبل الآخرين لعدم وضوح معناها.

لم يكن بوسعنا أن نطبع أية رسالة دون استحصال موافقة وزارة الإعلام، وكانت الرسائل تقرأ وتدقق من قبل الخبراء في وزارتي الإعلام والأوقاف.

وعندما كان الأستاذ إحسان يرسلني إلى بغداد لمتابعة أعمال الطبع ومراجعة الدوائر المعنية، كان يدفع لي مصاريف النقل ذهابًا وإيابًا، ورغم عدم قبولي ذلك فإنه كان يلح عليَّ إلحاحًا شديدًا لقبولها.

عرض عليَّ الأستاذ إحسان فتحَ فرع في كركوك لإحدى المكتبات الكبرى في بغداد حيث اقترح صاحبها ذلك على الأستاذ إحسان، إلّا أنني قلت له: يا أستاذي لماذا لا نفتح مكتبة باسمنا، فقمت مع الأخ سامي سليمان عارف بفتح مكتبة الإخلاص ونشر رسائل النور، وأصبحت وسيلة إلى إيصال الأنوار إلى المحافظات الأخرى، وأصبح الإقبال على قراءة الرسائل دون خوف ولا وجل.

ونظرًا للظروف السياسية والحروب الدامية التي مر بها العراق، قال لي الأستاذ، يجب علينا أن نحافظ على ما ترجمناه من رسائل النور، لأن الوضع أصبح لا يطاق وقد تتعرض تلك الرسائل إلى الضياع والتلف، لذا قام بإرسال نسخ من مسودات الرسائل إلى الموصل لحفظها لدى الأستاذ أديب الدباغ، ونسخة أخرى إلى الأنبار لحفظها لدى شقيقه الأستاذ صباح، الذي قام بكتابة نسخ من رسائل النور المترجمة بخطه الجميل، فجزاه الله خيرًا.

ولا يفوتنا أن نذكر بأن ما من مؤتمر أقيم في دول العالم حول رسائل النور وفكر بديع الزمان سعيد النورسي، إلّا كانت الرسائل العربية المترجمة من قبل الأستاذ الصالحي، هي المصدر الأساس للباحثين فيها.

وقد أثنى على الترجمة العربية بفضل الله وكرمه جمع غفير من العلماء والباحثين، أذكر منهم:

(١) أ. د عبد المنعم أحمد يونس، أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رئيس جمعية رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة، المؤتمر السابع للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (القاهرة) في ١٣ - ١٥ رجب ١٤٢٦هـ/ ١٨ - ٢٠ أغسطس ٢٠٠٥م:

«أحب أن أتوجه بكلمة إشادة أوجهها إلى المترجم العظيم إحسان قاسم الذي نقل إلى العربية تلك الرسائل في أسلوب رائع، وأدب بديع، لأن القارئ لهذه الرسائل لا يحس مطلقًا أنها كتبت بالتركية، ثم ترجمت إلى العربية، وإنما يوقن تمامًا أن روح كاتبها تدب فيها، وهذه قدرة فائقة في الترجمة لا يستطيعها إلّا أولئك الذين كانوا ضالعين في كلتا اللغتين المترجم منها والمترجم إليها».

(٢) الدكتور عماد الدين خليل في كتابه: (الكلمات: رؤية جمالية في فكر النورسي):

«ومنذ البدء، يلمس المرء تمامًا، حضورًا مؤثرًا للأخ الأستاذ (إحسان قاسم الصالحي) ليس كمترجم للنورسي فحسب، وإنما كأديب حساس، يملك تقنياته اللغوية، وخبرته المرنة اللتين يعرف بهما كيف يتجاوز موات النقل الحرفي أو النصي كما يفعل الكثيرون من أنصاف المترجمين، وكيف يجعل القارئ حاضرًا تمامًا في المناخ الأكثر مقاربة لمعطيات (النورسي) وبالتالي الأكثر إعانة للدارسين على التماس مع هذه المعطيات، خاصة إذا كانت المسألة تتعلق بمتابعة البعد الجمالي الذي لن يتأتى (تذوقه) إلّا من خلال جهد ترجماني مبدع، كذلك الذي بذله (الصالحي) على مدى عشرين سنة .. ولا يزال».

(٣) د. حسن الأمراني في كتابه: النورسي أديب الإنسانية، دار النيل للطباعة والنشر ٢٠٠٥م:

«إن بديع الزمان صنّف المثنوي بالعربية، مما يجعل البحث في شعرية النص وأدبيته أمرًا مشروعًا، ولم يكن الأمر هينًا لو أراد المرء تلمس تلك الأدبية فيما هو مترجم من رسائله، مع الإقرار بالقدرة الفائقة للأستاذ إحسان قاسم الصالحي في الترجمة التي قد لا يحس معها الإنسان بأن شخصًا ثالثًا يقوم فعلا بينك وبين النورسي، وهو المترجم».

(٤) عابدين رشيد، كاتب وباحث اسلامي:

رأيي وتعليقي على صيقل الإسلام (القسم المترجم)[1] :نظرًا لروعة سبك عبارات الكتاب ولسهولته ووضوحه وحلاوته وبيانه أكاد أقول عنه: «إنه تأليف وليس بترجمة».

(٥) الأستاذ عبد القادر الإدريسي، مسؤول الإعلام، الإيسيسكو، المغرب:

"فقد بدأت أقرأ في الطبعة الثانية من (كليات رسائل النور). وأحب بهذه المناسبة، أن أعرب عن عميق تقديري للجهود الشاقة والمتعبة

---

(١) في رسالة الكترونية من الأستاذ عبد القادر الادريسي:

"أقرأ هذه الأيام في (صيقل الإسلام) لأستاذنا الجليل بديع الزمان، رحمه الله، وأستغرب كيف يتصدى عالم من بلاد الأكراد البعيدة عن مراكز العلم والثقافة الإسلامية، لموضوعات عميقة، دقيقة، وعويصة، ويخوض في قضايا البلاغة العربية، بل في معضلات فكرية معقدة وعسيرة على الفهم، بهذا العمق وبتلك الدقة؟

هذا الرجل ليس بديع زمانه وفريد عصره، بل هو أعجوبة إنسانية، إن صح التعبير. عبقري من الطراز الرفيع، لم يُفهم بعدُ الفهم العميق. فهنيئًا لك، أخي العزيز، ما حالفك من نجاح".

والمضنية التي بذلتموها في ترجمة هذه الرسائل الغالية القيمة العالية الأهمية، بهذا المستوى الراقي من نصاعة العبارة وإشراق اللفظ، وبهذا الضبط والربط وحسن السبك ودقة الملاحظة في كتابة الهوامش. فهذه مكرمة أكرمكم بها الله سبحانه وتعالى. فهنيئًا لكم بها".

وعن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي:

قال الأستاذ الدكتور عمار جيدل (جامعة الجزائر):

(إحسان قاسم الصالحي سفير رسائل النور بتفقّده أحوال الباحثين هنا وهناك ودعوتنا للمساهمة في تحليل رسائل النور أحسن سفير لتلك الرسائل، إذ رأينا فيه تجسيدًا فعليًا لها).

ويقول عنه الأستاذ الدكتور عشراتي سليمان (جامعة وهران، الجزائر) في كتيبه: في ضيافة النوريين:

(الوجه الحبيب الذي لا يسعك حيال انفلاق بسمته إلّا أن تهش وتبتهج وتتجرد من كل عناء).

وقال عنه الدكتور فريد الأنصاري (رحمه الله) في كتابه (مفاتح النور):

(إنه لم يترجم رسائل النور بمقاله فحسب؛ ولكنه ترجمها أيضًا بحاله ونشاطه. ولم يزل مذ منّ الله عليّ بمعرفته خير معين ومرشد لي في عملي هذا، ناصحًا ومرشدًا ومسددًا. حريصًا على تمامه أشد ما يكون الحرص! فبارك الله في جهوده، وتقبل منه أعماله في الصالحات).

خاطرة عن الشيخ طاهر الشوشي[1]

حدثني الدكتور آزاد سعيد سمو[2] ما معناه:

"أرسل الشيخ طاهر الشوشي رسالة إلى الأستاذ سعيد النورسي ضمّنها إعجابه برسائل النور ومحبته لها وأن أية رسالة يحصل عليها يستنسخ منها بخطه نسخًا عديدة وينشرها بين الناس. ويرجو الشوشي في رسالته من الأستاذ النورسي أن يقبله طالبًا من طلابه.

ويأتي جواب الأستاذ النورسي بما معناه:

إنه ليس من الآن فحسب، بل منذ تسعة عشر عامًا قبِلَه طالبًا من طلابه!

ويتعجب الشيخ الشوشي من هذا الجواب أولًا، لكن يزول العجب عندما يعود بذاكرته إلى الوراء ليرى أن أول رسالة استنسخها ونشرها بين الناس كان قبل تسعة عشر عامًا!

وهذه الرسالة الجوابية كانت موجودة عند آل الشوشي حتى الأحداث التي وقعت في شمال العراق فاحترقت في بيت أخي الشيخ طاهر عند اندلاع الحريق في قرية شوش بسبب تلك الأحداث.

رحمهما الله بواسع كرمه وأعلى منزلتهما عنده". اهـ.

---

(١) عالم وشاعر وأديب، له كتاب في سيرة الرسول ﷺ منظوم، وأشعار مختلفة ، ولد في قرية شوش التابعة لمحافظة دهوك في إقليم كردستان العراق عام ١٩١٧م. استنسخ إشارات الإعجاز أربع نسخ بخطه الجميل. توفي عام ١٩٦٢م، رحمه الله رحمة واسعة.

(٢) أستاذ في جامعة دهوك وحصل على شهادة الدكتوراه بـ :(سعيد النورسي حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا) وطبع في لبنان والعراق.

وأثناء قيامي بتحقيق "إشارات الإعجاز" زرت بيتهم في دهوك، وأخرجت زوجتُه الكريمة بعض رسائل النور التي ظلت عندهم. وقالت: كان يستنسخ "إشارات الإعجاز" حتى بضوء القمر.

وكتب في ختام مخطوطه لإشارات الإعجاز الأبيات الآتية بعنوان (قيمة الكتاب) ووضعتُه في نهاية تحقيقنا:

هذا الكتاب الذي لو يشتريه فتىً بوزنه ذهبًا أقسمتُ لم يُلَمِ

لأنه معدن الأسرار والنكت وأنه منبع الأنوار والحِكَم

وأنه سلم المستصعدين إلى إعجاز نظم كلام الله، فاغتنم

طوبى لصاحبه يا أجر ناشره بشرى لقارئه بأوفر النعم

اغفر لصاحبه واغفر لكاتبه واغفر لقارئه يا واسع الكرم

القيام أدبا

(رسالة تلقيتها من ابني البار جنيد):

"سأروي لكم قصة كنت قد سمعتها -من قبل- من لسان الأستاذ محمد فاتح رضا القصاب مدرس البيولوجيا، وهو أحد مريدي الشيخ علي الطالباني (ت١٩٩٠م)، رحمه الله، شيخ الطريقة القادرية في كركوك.

قال: في أحد الأيام كنا جالسين حول حوض الماء الموجود في باحة التكية الطالبانية، الذي كان الشيخ علي يجلس عنده أكثر الأيام بعد صلاة العصر ويستقبل الناس هناك، وكان من عادة الناس القادمين على الشيخ أن يأتي الزائر ويصعد للباحة التي كانت عالية ويقبّل يد الشيخ ويجلس للاستماع من الشيخ... وإذا بوالدك يدخل من باب التكية وبيده

كتاب وهو يأتي من بعيد فقام له الشيخ من مكانه لاستقباله ووقف إلى أن تقرّب والدُك وصافحه وجلس. وجلسنا معه فكنا مستغربين من قيام الشيخ له. لأنه ليس من عادة الشيخ القيام لأحد. فسألناه بعد ذلك فقال الشيخ مجيبًا: لقد قمت له لسببين:

أولًا: لأن في يده كتاب رسائل النور. وأنا اعتبر النورسي أستاذي وشيخي فقمت أدبًا للنورسي.

ثانيًا: أن والد هذا الرجل – أي والد الحاج إحسان- كان أستاذي وكنت أوقّره كثيرًا كمعلم، فقمت أدبًا لمعلمي الأستاذ قاسم بك رحمه الله". اهـ

- وعندما زرت الشيخ يومًا في التكية رأيت شابا يخدم الضيوف ويوزع عليهم القهوة. فسألت الشيخ من هذا؟ قال: هذا ابني الصغير. ثم سأل: ولمَ تسأل؟ قلت: رأيت في المنام أن الرسول ﷺ قد أتى وشرّف كركوك وهذا الشاب كان دليله في بيان معالم المدينة.

تكفيرًا عن خطيئة الجهل بالنورسي؟

يقول الدكتور إبراهيم أبو محمد[1] في مقدمة كتابه (التعليم في ضوء فكر النورسي):

في شهر مارس ١٩٩٣م كنت في زيارة لمدينة سدني لإلقاء بعض

(١) عالم أزهري مصري، عضو رابطة الجامعات الإسلامية بالأزهر الشريف، مفتي استراليا، والمستشار الثقافي للمجلس الإسلامي لولاية نيو ساوث ويلز في سيدني. من العلماء البارزين في مجال الدعوة والفكر الإسلامي، وله العديد من المؤلفات منشورة باللغات العربية والإنجليزية وبعضها مترجم إلى الألمانية والفرنسية والإيطالية والإسبانية.

المحاضرات، وأذكر بعد انتهائي من المحاضرة اقترب مني رجل وقور وسألني قائلاً: "يا أستاذ: هل قرأت لسعيد النورسي؟"

وكانت إجابتي بالنفي لأني لا أعرف الرجل ولم أسمع به من قبل.. لكن السائل تعجب وبدت عليه علامات الحيرة، وقال: "سبحان الله.. نفس الأفكار، بل نفس العبارات أحيانًا ". وقلت له: "ماذا تقول؟"، قال: " لا، لا شيء يا أستاذ"، وانصرف الرجل..

وبعدها بثلاثة أعوام تكرر الموقف ذاته والسؤال نفسه في جامعة سدني بعد انتهائي من إحدى المحاضرات.. ولفت نظري تكرار الاسم "سعيد النورسي"، لكني لم أعر المسألة أي اهتمام.. وقلت لنفسي ربما كان النورسي هذا واحدًا من شيوخ الطرق الصوفية الذين يهتم البعض بهم ويصنعون حولهم هالات تصل في كثير من الأحيان إلى مستوى الأساطير.

في عام ١٩٩٦م كنت ألقي محاضرة في جامعة ماكواري واقترب مني شاب إيطالي مسلم وسألني سؤالاً كان جوابه قاطعًا بالنسبة لي. قال السائل: "ما ترى يا دكتور أيهما أكثر تأثيرًا في إحياء اليقظة الإسلامية في القرن العشرين حسن البنا أم سعيد النورسي؟" وقلت على الفور بالطبع الإمام الشهيد حسن البنا والمقارنة هنا ليست عادلة، فمن هو هذا الذي تضعه في مستوى الإمام الشهيد؟

وانصرفت.. لكن السؤال لفت نظري هذه المرة إلى هذا الاسم الذي تكرر على مسامعي من قبل.. ومرت الأيام، وكنت ألقي محاضرة في مسجد الإمام علي بن أبي طالب بحي لاكمبا بمدينة سدني، وبعد الانتهاء اقترب مني ذاك الرجل الوقور وهنأني على المحاضرة وشكرني

على حسن العرض، وأخرج بطاقة تحمل اسمه وعنوانه وكان اسمه إحسان قاسم الصالحي.. رجل من مسلمي تركيا، بلد الخلافة التي اغتيلت.. وقرأت البطاقة فإذا به هو مدير مركز أبحاث النور. وتساءلت ما هو مركز أبحاث النور؟! فقيل لي: إنه مركز متخصص في العناية برسائل النور لسعيد النورسي، دراسةً وتحقيقًا وترجمة. وتعجبت! ألهذا الشيخ مركز دراسات؟ فإذا بالأستاذ إحسان يكلف بعض طلابه أن يمدني ببعض هذه الرسائل، ومن هنا بدأت أتعرف على الرجل شيئًا فشيئًا، ثم دعيت في عام ١٩٩٩م إلى مؤتمر حركة التجديد في القرن الواحد والعشرين وكلفت بإعداد بحث عن التعليم في القرن الواحد والعشرين على ضوء فكر النورسي، وكانت الدعوة من جامعة Kebangsaan Malaysia.

ومن هنا بدأت صلتي بهذا الرجل من نافذة هذا البحث الذي تمكنت فيه أن أغوص في آثاره العلمية ومؤلفاته التي بلغت ثمانية مجلدات بدأت بالكلمات والمكتوبات واللمعات والشعاعات وإشارات الإعجاز والمثنوي العربي والملاحق، وانتهت بصيقل الإسلام، وشعرت بالخجل الشديد وأنا أتابع فكر هذا الرجل، كما أحسست بكثير من الآلام لأن أعلامًا كبارًا في حياة أمتنا يعيشون حياتهم مليئة بالجهاد والتضحيات ثمّ يموتون في صمت وتحاول قوى شريرة أن تهيل التراب على جهادهم وجهدهم وتنقطع خطوط التواصل بين جيل وجيل كي تعيش أمتنا مهمّشة لا تعرف كثيرًا عن أمجادها وكي تبتر الروابط والصلات بين الماضي والحاضر فتعيش الجماهير بلا رأس ولا رمز ولا مرجعية، بلا رأس تفكر ولا رمز للبطولة تلتف حوله وتلتقي عند أمجاده، ولا

مرجعية، تلجأ إليها وتلوذ بها عند الاختلاف ونـزول النوائب وهكذا تغيب أجيالنا بإهمال منّا حينًا وبفعل أعدائنا في كثير من الأحيان.

والنموذج هو هذا الرجل العلاّمة الذي عاش حرًا رغم القيود والأغلال ومتحديًا بكلماته رغم سجون الباطل ومعتقلاته ومواجهًا رغم خلو يده من أي سلاح إلّا سلاح الإيمان والفكر والعقل والعزيمة التي لا تلين والإرادة التي لا تقهر، وبرغم الحصار الشديد فقد نفذت كلماته إلى قلوب طلابه ومريديه وكأنها الضوء والسنا حين يبدل الليل الطويل المعتكر بل وتجاوزت كل هؤلاء إلى آخرين لم يكونوا يعرفونه من قبل ولا يعرفون قدره ولا يقدرون خطره وآثاره.

وهكذا يريد الله شيئًا ويريد الباطل شيئًا آخر...لكنّ إرادة الله تنفذ وقدره يجري ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١)

لذلك رأيت أن أقدم هذا البحث لجماهير القرّاء لا تعريفًا بالنورسي ولا مدحًا له فالرجل أكبر من أن يعرّف وأجلّ من أن يمدح وقد شاء الله له أن يكون علامة بارزة ومَعلَمًا من معالم الفكر والجهاد في القرن العشرين، وإنما أردت أن أبسط رؤيته ورؤاه في قضية من أخطر قضايا التحدي في حياة أمّتنا في القرن الواحد والعشرين وهي قضية التعليم، ولك إسهامًا منّي في تقدير هذا الرجل العظيم وتكفيرًا عن خطيئة الجهل به، وأرجو الله أن يتقبّل منّي وأن يغفر لي وأن يهدينا جميعًا سواء السبيل. اهـ

اجلس أعلّمك كيف تفهم الحديث؟

كان أخي الأكبر هاشم يسكن بغداد في منطقة سبع أبكار، وسمعنا أن جاره العالم الجليل محمد الشيخ طه الباليساني مريض، فذهبنا أنا والاخ أورخان محمد علي لعيادته. جلسنا ما يقرب من ربع ساعة، قمت استعدادًا للذهاب. قال لي: أين؟ قلت: عيادة المريض تقريبًا ربع ساعة، كما ورد في الحديث الشريف: (عيادة المريض فواق ناقة)[1]. أمسك بيدي وأجلسني. قال: اجلس أعلّمك كيف تفهم الحديث؟ من أين أتيت بربع ساعة؟

قلت: من مفهوم الحديث.

قال: وإذا كان المريض عنده إسهال شديد أو بطنه منفوخ بالغاز، هل تجلس عنده ربع ساعة؟ يا أخي هذا قياس عام.

وإن كان المريض ينشرح بك ويرتاح إليك فابق عنده ما شاء، وإن كان المريض ينزعج من بقائك ولو لدقائق كما ذكرنا فاتركه فورًا وادعُ له.

وهكذا أقنعنا أن نجلس إليه مدة أطول ونتأدب أمام العلماء. انتقل إلى الرفيق الأعلى في ١٩٩٥/٤/٢٤م. رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

(١) من حديث أنس رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض.

على هامش المؤتمرات والزيارات

فكر طلاب النور في مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم[1] سنة ١٩٩١م في إقامة أول مؤتمر عام في إسطنبول في فندق فاخر للتعريف برسائل النور والأستاذ النورسي في الأوساط الأكاديمية والعامة. وتحقق ذلك بفضل الله تعالى فعاليةً من فعاليات المؤسسة باشتراك عدد من الأكاديميين المرموقين في تركيا. ثم تتابعت هذه المؤتمرات بدعوة الأكاديميين من خارج تركيا فأخذت المؤتمرات صفة العالَمية وتحققت في كل سنتين، ثم في كل ثلاث سنوات. ثم تتابعت المؤتمرات والندوات في خارج تركيا

---

(١) أنشئت مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم عام ١٩٧٩م. وقامت ببعض الفعاليات التي سمحت بها القوانين في كل مرحلة من المراحل التي مرت بها تركيا؛ من مساعدة عدد من الطلاب بالمنح أو ببعض الفعاليات الشبابية للحفاظ على حيويتهم وتوجيه طاقاتهم إلى ما فيه الخير. وفي سنة ١٩٩١م فكر العاملون فيها بإقامة مؤتمر علمي أكاديمي، وبارك الله في عملهم حتى اتسع نشاطها إلى العالم. حيث تشارك الجامعات أو المؤسسات العلمية في أنحاء مختلفة من العالم بإقامة المؤتمرات العالمية حول رسائل النور؛ فضلا عن إقامتها ندوات ومؤتمرات محلية ودراسات أكاديمية وتنظيم دورات حول رسائل النور، وإصدار مجلة أكاديمية باسم "النور للدراسات الحضارية والفكرية". وتقيم المؤسسة كل سنة مؤتمرا للأكاديميين الشباب الذين يحضرون رسائل الماجستير والدكتوراه للتداول في دراساتهم حول رسائل النور؛ وفي كل ثلاث سنوات مؤتمرا عالميا بإسطنبول حول رسائل النور.

بالمشاركة مع مؤسسات علمية وجامعات. وكان الطابع العام لهذه المؤتمرات هو العلمية بعيدًا عن الأسلوب الخطابي الحماسي.

وقد منّ الله سبحانه وتعالى عليّ أن شاركت ببحوث علمية في رسائل النور وباللغة العربية، في الندوات والملتقيات والمؤتمرات التي عقدت في كل من البلدان الآتية وفي أغلبها مرات عدة:

الأردن ومصر والمغرب والجزائر وتشاد والنيجر والسودان والإمارات العربية المتحدة (الشارقة) وسورية ولبنان واليمن وإيران والهند وباكستان وماليزيا وإندونيسيا والفليبين وأستراليا والبرازيل.

وقد عقدت مؤتمرات أيضًا في غير هذه البلدان، إلّا أنني لم أتمكن من المشاركة فيها.

هذا فضلًا عن المؤتمرات والندوات التي عقدت في داخل تركيا. وقد شاركت في بعضها وبخاصة مؤتمر المثنوي العربي النوري الذي أقامته جامعة إغدير. وبينت لماذا قمت بتحقيق هذا السفر النفيس.

ولا شك أنه لدى انعقاد المؤتمر أو الندوة تحصل لقاءات ودّية وتجري محادثات طيبة علمية مع المحاضرين أو من حضروا الملتقى. أوجز هنا بعضًا منها في كل بلد:

في أستراليا

في أولى زيارتي – وأعقبتها زيارات كثيرة- إلى أستراليا سنة ١٩٩٥م كان طلاب النور هناك في مخيم لدراسة رسائل النور، فأخذوني من المطار إلى غابة كثيفة على جبل في (سدني). المنظر جميل ومنعش.

والبناية عبارة عن كنيسة قديمة استأجرها الإخوة لأيام محدودة ورتّبوها وفق ما يريدون.

في يوم من الأيام أخذني الأخ (وداد) القبرصي الساكن هناك، إلى أعماق الغابة نتأمل المنظر الجميل المذكّر بالله تعالى وسألني السؤال الآتي:

- هل رسائل النور غاية أم وسيلة؟

قلت مباشرة: وسيلة، والغاية خدمة القرآن ابتغاء وجه الله تعالى.

ففرح بهذا الجواب. والحمد لله رب العالمين.

هل يخطئ الاستاذ النورسي؟

سأل أحد الحاضرين في درس النور: هل يخطئ الأستاذ النورسي؟

الجواب: ورد في الحديث الشريف: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) .[1]

ويقول الأستاذ النورسي لطلبته الأوائل:

"إن أستاذكم ليس معصومًا من الخطأ، بل من الخطأ الاعتقاد أنه لا يخطئ. ولكن وجود تفاح فاسد في بستان لا يضر بالبستان، ووجود نقد مزوّر في خزينة لا يسقط قيمة الخزينة.

ولما كانت السيئةُ تُعدّ واحدة بينما الحسنة بعشر أمثالها، فالإنصاف

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٠٧٢)، وعبد بن حميد (١١٩٧)، والترمذي (٢٤٩٩)، وقال: غريب. وابن ماجه (٤٢٥١)، والدارمي (٢٧٢٧)، والحاكم (٧٦١٧)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٢٧).

يقتضي عدم الاعتراض وتعكيرِ صفو القلب تجاه الحسنات إذا ما شوهدت سيئةٌ واحدة وخطأ واحد".[1]

ويقول:

"إن أعظم الخطأ هو ظن المرء أنه لا يخطئ. فإني أعترف بخطئي وهو: أردت نصح الناس قبل أن آخذ بنصيحتهم، سعيت في إرشاد الآخرين قبل إرشاد نفسي، فهوّنت بهذا شأن الأمر بالمعروف حتى أصبح لا يجدي".[2]

ونجد في الرسائل كثيرًا جدًا أن الأستاذ نفسه يعترف بالخطأ.

ولكن، طبيبا مختصا بالجراحة يجري عملية جراحية، فهل من المعقول أن يتدخل في عمله هذا أحد من عامة الناس؟ أو يقول له: هذا خطأ؟ فلا يعرف خطأه إلّا من كان طبيبا مثله في الاختصاص أو أرقى منه.

وكذلك الأستاذ النورسي بشرٌ يمكن أن يخطئ. ولكن هل يعرف خطأه ويصحح له، إلّا مَن كان بمستواه من العلم والتقوى أو أرقى منه؟

شبه اعتكاف

قضيت شهر رمضان المبارك في (ملبورن) فيما يشبه الاعتكاف في مسجد (فيستروي)، فما كان لنا ثمة شيء إلّا قراءة القرآن الكريم والرسائل فردًا أو مع الجماعة. وكان أحد الطبيبين هو (الخياط سامي) دائم الحضور في المسجد. وفي يوم من الأيام ذكر لي:

(١) الملاحق، ملحق بارلا ص٣٩.

(٢) صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية، ص ٤٥٣.

أنا من مريدي البروفسور محمود أسعد جوشان[1] (الطريقة النقشبندية) نجتمع في المسجد الفلاني، وكانت تحدث بيننا مناقشات. وعندما أتى الأستاذ جوشان إلينا وزّع كلاً منا إلى مدينة في أستراليا.

فمثلًا قال لأحدهم: ماذا تعمل؟ قال: نجار. قال: في مدينة (برث) هناك حاجة إلى نجار. ففهم الشخص أن الشيخ يرسله إلى تلك المدينة. وقال للآخر: أنت ماذا تعمل؟ قال: قصاب. قال: مدينة (برسبن) بحاجة إلى قصاب. وهكذا انتهت المناقشات وتحولت إلى إنشاء مساجد ومقرات في تلك المدن. والآن في كل أستراليا هناك لنا مريدون يعملون بجدّ والحمد لله.

أصرّ عليّ يومًا أن أفطر عنده في البيت، فكنت أرفض ذلك لأنني إذا استجبت لواحد عليّ أن أستجيب لكل واحد من الإخوة. فقلت: أنا ضيفكم، لكن في المسجد. فإذا بهذا الأخ المريد النقشبندي يأتيني بالإفطار من بيته بعربة الحاجات الموجودة في أماكن التسوق. جزاه الله خيرًا على عمله الأخوي.

ولا بد أن أذكر جميلة من أيادي البروفسور محمود أسعد جوشان عليّ:

كانت الشقة التي استأجرناها أول قدومنا إلى إسطنبول قريبة من المسجد الذي تصلي فيه جماعته. وكنت أشعر أنني بحاجة إلى بعض المصادر لإكمال الترجمة. فأخذني الأخ الكبير محمد فرنجي إليه

---

(١) عالم ديني، واعظ، أكاديمي، وكاتب، ولد في جناق قلعة عام ١٩٣٨م بتركيا، شيخ الطريقة النقشبندية. توفي في حادث سير في سيدني بأستراليا في ٤ /٢/ ٢٠١١م.

واستقبلنا استقبال الأخ لأخيه وبكل تواضع فطري. وأهديت له مجلد "الكلمات" وفرح به وشكرني. ثم ذكرت حاجتي إلى بعض المصادر وكنت أظن أن في المسجد مكتبة إلّا أنه قال: متى ما احتجتم إلى أي كتاب كان سآتي شخصيًا معكم للذهاب إلى مكتبة جامعة إسطنبول أو المكتبة العامة القريبة إلينا.

وقد أقامت جامعة ملبورن ثلاثة مؤتمرات حول رسائل النور في كل من ٢٠٠٠/٨/١م وفي ٢٠٠١/٨/١٨م وفي ٢٠٠٩/١٢/٨م وهذه المؤتمرات بالإنكليزية إلّا بحثي الذي كان يترجمه الأخ رضا عامر الجزائري الأستاذ في جامعة ملبورن.

في مصر

استُهل التعريف بالأستاذ النورسي بما نشرته حول سيرته مجلة "المختار الإسلامي" سنة ١٩٩٦ التي كان صاحبها الأستاذ حسين أحمد عيسى عاشور رحمه الله تعالى، وأعقب ذلك الأستاذ أحمد بهجت[١] رحمه الله تعالى، بمقالاته في جريدة الأهرام اليومية في حقله الخاص: صندوق الدنيا.

---

(١) (١٩٣٢-٢٠١١م) حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة، ثم عمل صحفيا في مؤسسة أخبار اليوم ثم في مجلة "صباح الخير". ثم في ١٩٥٨م عمل في صحيفة الأهرام حتى وفاته.

وفي سنة ١٩٩٦م أشار إلينا الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي[1] الذي كان طوال أربع عشرة سنة وزيرًا للمالية بمصر أن نقيم مسابقة ثقافية للتعريف بفكر النورسي في مصر، وذلك بإشراف جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة. فقامت لجان فيها بالإعلان عن هذه المسابقة الثقافية في الجرائد المصرية وأعلنت عن الجوائز السخية. ولكن بعد مرور ستة أشهر لم يقدم على الاشتراك إلاّ عدد قليل جدًا. فلما حان موسم المولد النبوي أشار علينا: أن احتفالات المولد أفضل وقت للإعلان عن هذه المسابقة. وفعلًا بعد عدة احتفالات للمولد النبوي في كل من القاهرة والإسكندرية والمنيا، قدّم أربعة وخمسون باحثًا عروضهم عن النورسي فيهم من الأزهر والشرطة والجيش وكتّاب وغيرهم. وتشكلت لجنة التحكيم من علماء الأزهر وكنت معهم. وأُعلن عن الفائز الأول والثاني والثالث في احتفال أقيم في مقر جمعية الشبان المسلمين في ١٩٩٧/٢/١م وتسلم الحائزون مكافآتهم التي خصصناها لهم من يد شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي رحمه الله، فالفائز الأول كان طالب دكتوراه لم نره بعد تسلّمه الجائزة، وأما الثاني فخديجة النبراوي التي أصبحت أختنا الفاضلة[2].

وأقمنا حفلة غداء للعشر الأوائل في مطعم فاخر. أُلقيت كلمات التهنئة والترحيب. وجاء دور أختنا النبراوي فاعتلت المنصة، ولما شاهدها الأخ

---

(١) (١٩١٧- ٢٠١٤م) اقتصادي مصري. من أسرة عريقة، شيخ الطريقة الشاذلية، وعضو مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) ألّفَت في ضوء رسائل النور عدة كتب نذكر منها: "دور كليات رسائل النور في يقظة الأمة": "الحب بين الوهم والحقيقة"، "المرأة في الإسلام حرية أم عبودية"، "مشكلات نفسية للإنسان"، "مشكلات عقلية وقلبية للإنسان"، "النبوة وضرورتها للإنسانية". وبحوث كثيرة.

الكبير مصطفى صنغور همس في أُذني: إنها من آل البيت! وما كان قد التقاها من قبل فتعجبتُ من كلامه. وعندما جلسنا على المائدة قدم لي زوجها المهندس هوية الانتماء إلى آل البيت، من دون أن أسأله. فقلت في نفسي: هذا تصديق كلام الأخ الكبير صنغور.

وقد حضرتُ الاحتفال في المنيا، واللافت للنظر في هذا الاحتفال، أن أهميته لم تكن في البحوث وحدها، وإنما في المحاورة التي جرت بعده على مائدة العشاء. إذ كان معنا رئيس جامعة الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم وعميد كلية البنات للأزهر الأستاذ الدكتور سعد عبد المقصود ظلام[1] ومسؤولون آخرون.. فقال الدكتور سعد عبد المقصود ظلام: إنني لم أقرأ للنورسي إلاّ كتابه "المثنوي العربي النوري". إنه حقًّا كتاب عقيدة على ضوء الكتاب والسنة، خالٍ من الفلسفة المادية.. فلقد درسنا في الأزهر العقائد وعلم الكلام في ضوء الفلسفة المادية.. مع الأسف. وتوجّه إلى رئيس جامعة الأزهر.. أليس كذلك يا أستاذ أحمد؟ قال: بلى. واستمر قائلًا: ولهذا يستحق هذا الكتاب (المثنوي العربي) أن يكون كتاب منهج دراسي في الأزهر. لأنه يبني العقائد على الكتاب والسنة. وأنا أعاهد الله أن أجعله هكذا.. بإذنه تعالى.

انشرح صدري لهذا الكلام.. وبعد المأدبة الفاخرة، قلت له: يا أستاذي بارك الله فيك وعلى هذا العهد الطيب الذي أثلج صدورنا.. قال: إنني الآن أتمكن بأمر إداري أن أجعل "المثنوي" منهج درس في كليتي، ولكن مَن الذي يقوم بتدريسه؟ أدعو الله أن يمنحني الوقت الكافي لتهيئة

---

(١) (١٩٣٤-١٩٩٩م) أستاذ جامعي مصري كان عميداً لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر لثلاث فترات وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

المدرسين ثم أقرر.. ادعُ لي بهذا .. وادعُ لي أن يكون لي الوقت الكافي لأكتب عن هذا الرجل. فليس لدي وقت والله.

وبعد أسابيع كتب في جريدة الأهرام عدة مقالات قصيرة حول رسائل النور. ثم توفاه الله، رحمه الله رحمة واسعة.

وأقامت كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، مؤتمرًا تحت اسم (رسائل النور في ميزان الفكر الإسلامي) في ٦-٩ /٣/ ١٩٩٩م. ثم أقيمت مؤتمرات في كل من الأزهر فرع الزقازيق كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق (التصوف ورسائل النور) في٢٠/ ٢٠٠٦/٠٢م، ثم رابطة الأدب الإسلامي مكتب مصر في شباط/ ٢٠٠٦م (ضوابط السلوك الصوفي في فكر النورسي) ثم رابطة الأدب الإسلامي في٢٠٠٩/٠٢/٧م (رسائل النور وتجديد الخطاب الديني المعاصر). وأخيرًا مؤتمر تحت رعاية الأزهر (فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في وحدة الأمة الإسلامية في ٢٦-٢٧ /٠٢/ ٢٠١٣م).

الإعجاز في حرف القرآن

الأستاذ الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى آل جعفر[1] أستاذ التفسير في الأزهر، رحمه الله رحمة واسعة. ما كنت أزور مصر إلّا ويدعوني إلى بيته ونتجاذب أطراف الحديث. كان متواضعا وعالمًا فاضلًا حقًا.

في أحد الأيام قال: يقول الأستاذ النورسي بإعجاز آيات القرآن الكريم كما يقول به العلماء الآخرون، وألّف رائعة الرسائل "الكلمة

---

(١) ولد بقرية ميت العطار بمحافظة القليوبية عام ١٩٣٥م، وحصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٧٧م. توفي في ٢٠٠٤/٩/١٨ م.

الخامسة والعشرين". ولكنه يقول فيها إن كل حرف في القرآن معجزة. أليس هذا فيه شيء من المبالغة؟ قلت: لا. أستاذي المحترم ألا نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في الصلاة، فالمفروض أن نقول "أعبد" لأن المصلي شخص واحد. فالأستاذ النورسي يشرح هذا شرحا وافيا ويبين الإعجاز في حرف "نون" وذلك في المكتوب التاسع والعشرين، وبدأتُ أشرح له ذلك بقدر ما تمكنت. فقال: نعم، وهو كذلك. فوافق رحمه الله رحمة واسعة.

وأقتطف هنا فقرة مما جاء في المكتوبات:

"ان الجماعة التي انضممت إليها قد أصبحت ثلاث جماعات ودوائر:

الأولى: هي الجماعة الكبرى المؤلفة من المؤمنين الموحدين على وجه الأرض قاطبة.

الثانية: هي جماعة الموجودات كافة حيث ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ (النور:٤١) فرأيت نفسي مع صلاتها الكبرى وفي تسبيحاتها العظمى.. وأن ما يسمَّى بوظائف الأشياء وأعمالها، إن هو إلّا عناوين عباداتها وعبوديتها..

الثالثة: ورأيت عالَمًا يبدأ من ذرات وجودي، وينتهي الى حواسي الظاهرة؛ فهو عالم صغير وصغير.. إلّا أنه عظيم جدًا يدعو إلى الحيرة والإعجاب. وهو عالم ظاهره متناهٍ في الصغر إلّا أن حقيقته عظيمة، ووظائفه جليلة.

نعم، رأيت أن كل جماعة من جماعات هذا العالم منهمكة بوظائف عبوديتها وواجبات شكرها..

والخلاصة: أن (نون) "نعبد" تشير الى هذه الجماعات الثلاث وتدل عليها".[1]

رسالة من أختنا خديجة النبراوي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه واستن بسنته إلى يوم الدين

أما بعد

هذه رسالة حبّ إلى إخوتي وأبنائي طلبة النور:

سلام الله عليكم جميعا ورحمته وبركاته، تحية من عند الله مباركة طيبة أحييكم بها من أعماق قلبي الذي يفيض نورًا وحبًا، وخاصة بعد ذلك المؤتمر الدولي الأخير الذي عقد في القاهرة لدراسة فكر الإمام النورسي لتحقيق الوحدة الإسلامية تحت رعاية الأزهر الشريف.

وأعظم ما في المؤتمر هي تلك الوجوه النيرة التي تفيض حبًا لعالمنا الجليل وإمامنا العظيم بديع الزمان وكل زمان الذي قضى عمره في محراب الحب الإلهي يتشرف بنسب العبودية لله، ويعتبر نفسه جنديًا يرفع راية الحق تحت شعار "إنقاذ الإيمان في هذا الزمان أعظم إحسان"... ولا أخفيكم سرًا أن جهاده لم يقتصر على فترة حياته الدنيوية فقط بل مازال ممتدًا في حياته البرزخية، فقد أيقنت بالبرهان العملي صدق مقولة إمامنا الجليل أن الله قد اختار تلاميذه منذ الأزل يظهرون ويزيدون يومًا بعد يوم إلى قيام الساعة بإذن الله. وخير دليل على ما أقول

---

(١) المكتوبات، المكتوب التاسع والعشرون، القسم الأول، النكتة السادسة ص٤٩٧.

هو ما حدث معي وبالتقريب منذ خمسة عشر عامًا، حيث رأيت شيخنا النورسي في رؤيا منامية تحيط به سحائب الأنوار، ويشع من وجهه الجلال والجمال ويعلو رأسه ثلاث عمامات ترتفع في شموخ وكبرياء، وأجلسني بجانبه وألبسني عمامة من تلك العمامات وهي الأقرب إلى رأسه ورأيت تعاريج مخه، حتى إنني خشيت عليه من البرد.. ولم أدرِ وقتها أن تلك العمامة تعنى مسئولية جسيمة أوكلها إليّ الإمام النورسي وهي الاهتمام بالسنة النبوية الشريفة وإظهارها بما يتفق وروح العصر.. واليوم وبعد أن وفقني الله إلى خدمة سنة الحبيب المصطفى في موسوعتين كبيرتين كل منهما خمسة مجلدات، أقول بصدق اليقين ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ فلم أكتب حرفًا واحدًا إلّا وروح الإمام تحوطني بكل رعاية وأتذكره في كل كلمة أكتبها وأقول في نفسي: هنيئًا لك أيها الإمام الجليل قربك من رسول الله ﷺ وارتواؤك من البحر الأعظم.. فالدارس للسنة حقًا يعلم علم اليقين أن كل رسائلك سجلتَها من نور النبوة ولذلك يحق لك أن تسميها رسائل النور، فهي من أنوار السنة المستمدة من الأنوار الإلهية.

وهذا ما جعلني أقول إن جهاده المعنوي لم يقتصر على الحياة الدنيا فقط بل هو يمتد مع كل تلميذ تربى في المدارس النورية واستضاء قلبه وعقله بنور الإيمان. فكل عمل صالح يقوم به طلبة النور فهو يضيف إلى رصيد حسنات الإمام النورسي من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا كما أخبرنا الصادق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى عن كل من سنّ سنة حسنة، وإمامنا الجليل لم يسن سنة واحدة، بل آلاف السنن التي

تعلمنا الخير وترشدنا كيف نعيش مبادئ الدين تطبيقًا واقعيًا يحقق لنا خيري الدنيا والآخرة.

وأحب أن انتهز هذه الفرصة الطيبة بالتحدث معكم وأقول لكم إنني عندما تعرفت على فكر الإمام النورسي كنت على مشارف الخمسين من عمرى ولم تكن رحلة حياتي عبثًا بفضل الله، فقد خلق الله لي نفسًا ذواقة لكل فكر راق، ينبع من قلب مستنير بنور الإيمان، وشبهني بعض العلماء بالنحلة التي تمتص رحيق الأزهار فتخرج منه عسلًا شهيًا فيه شفاء للناس، فانتقلت من عالم إلى عالم كلما فاح منه أريج العلم النوراني واستقر بي المقام في واحة رسائل النور حيث وجدت بها كل غذاء الروح والعقل معًا وعرفت بعدما درست السنة الشريفة أن الإمام النورسي استوعب تلك السنة بكل ارتقاء الروح والقلب والعقل والوجدان وعرف كيف يصوغها في رسائل عصرية تناسب كل العقول والأذواق، يغترف منها كل طالب للنور حسب قدراته العقلية والقلبية.

فهنيئًا لنا جميعًا على نعمة الإيمان والإسلام وهنيئًا لنا أن يجمعنا الله تحت راية أستاذ قدير عرف كيف يقودنا إلى معرفة ربنا بقلب سليم وعقل مقتنع بالبراهين العقلية والأدلة الإيمانية.

فاللهم جازِ الإمام النورسي عنا خير الجزاء ووفقنا إلى فهم رسائل النور فهمًا واعيًا حتى نحقق الخيرية التي أَرَدتَها لنا على شعوب الأرض جميعًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أختكم طالبة النور السرمدي

خديجة النبراوي

السر الساري

قدمت أختنا خديجة النبراوي لنا عشاء فاخرًا في بيتها، حضره عدد من المفكرين وأصحاب القلم والصحفيين وعدد ممن لا نعرفهم من أقربائها. دارت أحاديث متنوعة ثم طُرح سؤال أثار انتباه الجميع وهو: التركي الذي قد لا يتقن قراءة القرآن الكريم ما إن يقرأ رسائل النور حتى تتحول حياته إلى حياة جديدة بسلوك قويم؟ وكثرت الأجوبة، كل يدلو بدلوه. ثم تدخل رجل كبير سنًا ورتبة كما عرّف نفسه أنه تسنم مناصب عدة في الدولة وهو من أقارب النبراوي. قال: ما من أحد استمع إلى حسن البنا إلّا وتأثر بحديثه، علمًا أن في مصر علماء أفذاذا وخطباء فطاحل. ولكن الله سبحانه وتعالى أودع في صوت هذ الرجل وفي كلامه سرًا إلهيًا يدخل القلب مباشرة. وأنا عندما قرأت "رسالة المرضى" لسعيد النورسي شعرت وأنا بعدُ في الدواء الأول والثاني أن في هذه الرسائل من ذلك السر. فلا تبحثوا عن أمور أخرى.

- وشبيه هذا الجواب:

يوم كنا مع الشيخ محمد علي الصابوني والشيخ عدنان السقا[(١)] بصحبة عدد من الإخوة في مصيف "يالاوا". ونحن ننتقل من موضوع إلى آخر والأستاذ الصابوني منهمك بقراءة موضوع في مجلد "اللمعات" ولا يخوض معنا في الحديث. وفجأة أغلق الكتاب، وقال: إن لم يكن هذا إلهامًا فما هو إذن؟ وتبين بعد ذلك أنه كان يقرأ "رسالة المرضى".

---

(١) من مواليد حِمص سنة ١٩٤٢م، التحق في عام ١٩٦٠م بكلية الشريعة، حصل على ماجستير من الباكستان، له دروس ومحاضرات في الجوامع والمساجد في جدة وفي القنوات الفضائية.

- وشبيه هذا كثير إلّا أنني سأذكر مثالا آخر:

قال لي يومًا الأستاذ محسن عبد الحميد لنذهب معا إلى الشيخ العلامة عبد الكريم المدرس (ت٢٠٠٥م) (مفتي العراق) لديّ سؤال أريد أن أسأله. فذهبنا إلى الحضرة الكيلانية. ولما دخلنا عليه استقبلنا وقدمني الأستاذ محسن قائلًا: هذا إحسان قاسم الذي يترجم لبديع الزمان النورسي. رفع يديه إلى الأعلى وقال بصوت عال: بديع الزمان هذا علمه لدنّي. استريحوا أشرح لكم ما هو العلم اللدنّي. فشرح لنا ما يقرب من ربع ساعة ما هو العلم اللدنّي مستهلًا: بأنني حين أفتح أيّ كتاب وأقرأ منه شيئا أعرف أنه كتاب علم كذا أو كذا. فكتُب هذا الرجل علمه لدنّي. ثم شرح كيف الزمان ينبسط وكيف ينقبض. ثم سأل الأستاذ محسن عن سؤاله وأخذ الجواب.

سؤال مُحرج

وفي جلسة أخرى في بيت أختنا خديجة النبراوي كذلك، سأل الأستاذ أحمد بهجت الدكتور حسن عباس زكي: كيف نفهم الحديث الشريف: (خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ آدمَ على صورتِه).

أجابه الدكتور: الضمير يعود إلى آدم. ردّ عليه أحمد بهجت: إذا كان الضمير يعود إلى آدم فلا إشكال إذن، فلماذا خاض العلماء فيه؟ قلت: وماذا نقول في رواية للحديث الشريف: (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن). ردّ الدكتور: هذا حديث موضوع! فأخرج الأخ كنعان دميرداش من جهازه الكمبيوتر الذي بيده نصّ الحديث وتخريجه الآتي: (عزاه الحافظ في الفتح ١٨٣/٥ لابن ابي عاصم في السنة والطبراني من حديث

ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الحافظ بإسناد رجاله ثقات).. وقلت: إن الأستاذ النورسي شرح هذا الحديث في "اللمعات"، وبينتُ خلاصة ما ذكر.

وفي اليوم التالي انعقد المجلس نفسه في بيت الأستاذ حسين عاشور وأخذنا من مكتبته مجلد "اللمعات" وفتحنا الصفحة التي فيها كلام الأستاذ النورسي حول الموضوع، وقرأها الأستاذ أحمد بهجت كاملة:

" لقد ورد في حديث شريف (أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ)[1] أو كما قال ﷺ.

فسَّرَ قسمٌ من أهل الطرق الصوفية هذا الحديثَ الشريف تفسيرًا عجيبًا لا يليق بالعقائد الإيمانية، ولا ينسجم معها. بل بلغ ببعضٍ من أهل العشق أن نظروا إلى السيماء المعنوي للإنسان نظرتَهم إلى صورة الرحمن! ولمّا كان في أغلب أهل العشق حالةٌ استغراقيةٌ ذاهلةٌ والتباس في الأمور، فلربما يُعذَرون في تلقّياتهم المخالفة للحقيقة. إلّا أن أهل الصحو، وأهل الوعي والرشاد يرفضون رفضًا باتًا تلك المعانيَ المنافية لأسس عقائد الإيمان، ولا يقبلونها قطعًا. ولو رضيَ بها أحدٌ فقد سقط في خطأ وجانَبَ الصوابَ.

نعم، إن الذي يدبّر أمور الكون ويهيمن على شؤونه بسهولة ويُسر كإدارة قصر أو بيت.. والذي يحرك النجومَ وأجرامَ السماء كالذرات

---

(١) انظر: الحافظ في الفتح ١٨٣/٥؛ ابن أبى عاصم، السنة ٢٢٨/١؛ الطبرانى ٤٣٠/١٢؛ الدارقطنى، الصفات (ص ٣٦، رقم: ٤٨) عن ابن عمر بلفظ: "لا تقبّحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل". أما حديث "خلق الله آدم على صورته" ففي البخاري، الاستئذان ١؛ مسلم، البر ١١٥، الجنة ٢٨؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢٤٤/٢، ٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣، ٥١٩.

بمنتهى الحكمة والسهولة.. والذي تنقاد إليه الذراتُ وتأتمر بأمره وتخضع لحكمه.. إن الذي يفعل هذا كله هو الله القدوسُ سبحانه.. فكما أنه منزّه ومقدّس عن الشرك؛ فلا شريكَ له، ولا نظيرَ، ولا ضدّ ولا ندّ، فليس له قطعًا مثيلٌ ولا مثالٌ ولا شبيهٌ ولا صورةٌ أيضًا، وذلك بنص الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى:١١) إلّا أن شؤونه الحكيمة وصفاتِه الجليلة وأسماءه الحسنى يُنظَر إليها بمنظار التمثيل والمَثَل حسب مضمون الآية الكريمة: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم:٢٧). أي إن المَثَل والتمثيل واردٌ في النظر إلى شؤونه الحكيمة سبحانه.

ولهذا الحديث الشريف مقاصدُ جليلةٌ كثيرة، منها: أنَّ الإنسان مخلوقٌ على صورة تُظهِر تجلي اسم الله "الرحمن" إظهارًا تامًا. فلقد بينا في الأسرار السابقة أنه مثلما يتجلى اسمُ "الرحمن" من شعاعات مظاهر ألف اسمٍ واسم من الأسماء الحسنى على وجه الكون، ومثلما يُعْرَض اسمُ "الرحمن" بتجليات لا تحدّ للربوبية المطلقة على سيماء الأرض، كذلك يُظهِر سبحانه التجلي الأتم لذلك الاسم "الرحمن" في الصورة الجامعة للإنسان، يُظهِره بمقياسٍ مصغر بمِثلِ ما يُظهره في سيماء الأرض وسيماء الكون بمقياس أوسعَ وأكبر.

وفي الحديث الشريف إشارةٌ كذلك إلى أن في الإنسان والأحياء من المظاهر الدالة على "الرحمن الرحيم" ما هو بمثابة مرايا عاكسة لتجلياته سبحانه، فدلالةُ الإنسان عليه سبحانه ظاهرة قاطعة جليّة، تشبه في قطعيتها وجلائها دلالةَ المرآة الساطعة بصورة الشمس وانعكاسها على الشمس نفسها. فكما يمكن أن يقال لتلك المرآة: إنها الشمس، إشارة إلى مدى سطوعها ووضوح دلالتها عليها، كذلك يصح أن يقال -وقد

قيل في الحديث- إن في الإنسان صورةَ "الرحمن"، إشارةً إلى وضوح دلالته على اسم "الرحمن" وكمال مناسبته معه ووثوق علاقته به. هذا، وإن المعتدلين من أهل وحدة الوجود قد قالوا: "لا موجود إلّا هو" بناء على هذا السر من وضوح الدلالة، وعنوانًا على كمال المناسبة.

اللّٰهمَ يا رَحمن يا رحِيم بحق ﴿بسم الله الرَّحمن الرَّحيم﴾

ارحمنا كما يليق بِرَحِيمِيَّتِكَ،

وفهّمنا أسرار ﴿بسم الله الرَّحمن الرَّحيم﴾

كما يليق برَحمانِيَّتك آمين."[1].

ولما أنهاه قال: هذا هو الجواب الشافي.

ولما غادرنا البيت تأبَّط الكتاب. قال له حسين عاشور: أين تأخذ الكتاب فالكتاب لي. قال (ممازحا): يجوز سرقة الكتاب ولو كان غلافه من ذهب! وضحكنا جميعا.

تنبيه أخوي:

كنت مع الأخ الحافظ أحمد مصطفى يومًا في سيارة للأجرة في القاهرة، ركبت في الأمام وهو في الخلف وكان السائق فاتحًا الراديو على محطة تبث الأغاني القديمة التي ذكرتني بعهد الصبا. وقد شعر الأخ الحافظ بأني انسجمت معها. فنبهني قائلًا من الخلف: إحسان آبي إحسان آبي. (آبي: يعني بالتركية: الأخ الكبير).

---

(١) اللمعات، اللمعة الرابعة عشرة، المقام الثاني، السر الخامس ص ١٤٠. وانظر كذلك إلى الملاحق، ملحق أميرداغ١، ص ٢٦٧-٢٦٩.

في الأردن

إن أول مؤتمر عالمي حول رسائل النور والأستاذ النورسي في العالم الإسلامي (خارج تركيا) هو ما قام به المعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن الذي يرأسه الدكتور فتحي ملكاوي في ١٢ /١٩٩٧/٦م بعنوان (بديع الزمان النورسي، فكره ودعوته). وطبع في كتاب في الأردن. وتم اللقاء مع عدد من الأساتذة الكرام منهم الدكتور مأمون جرار، ودعانا الدكتور إسحاق فرحان إلى زيارة جامعة الزرقاء الخاصة.

وفي ٢٠١٣/٤/٢م دعانا الدكتور أحمد شكري شابسوغ إلى مؤتمر يعقده المركز الثقافي الإسلامي برعاية رئيس الجامعة الأردنية تحت عنوان "منهج الإصلاح في رسائل النور". ولما وصلت إلى مطار إسطنبول للسفر إلى الأردن التقاني أحد طلبة النور يعمل في الصياغة وهو رجب كاظم آكين. وعلمت منه أنه يريد أن يرافقنا في سفرنا هذا رغم أنه لا يعرف العربية. فقلنا: أهلًا وسهلًا. فرافقنا وفي أيام الندوة، كان معنا في كل شيء. وفي اليوم الأخير قال رئيس الجلسة: أيها الضيف الكريم أنت طوال هذه الأيام ساكت ومستمع. فهلا شاركتنا بكلمة ولو قصيرة. فتوجّه الأخ الصائغ الذي لا يعرف إلّا التركية إلى المنصة وبدأ بكلام تركي وترجم له (الدكتور إسحاق أوزكل) أحد الأساتذة الذين يتقنون اللغتين معًا. فقال:

أنا -قبل أن أقرأ رسائل النور- كنت أصلي وأصوم وأؤدي جميع الواجبات الدينية. وكنت أظن أن الله سبحانه وتعالى بعظمته في السماوات العلى والملائكة كذلك في السماوات والرسول الكريم ﷺ

مع الصحابة الكرام في مكة المكرمة والمدينة المنورة. بمعنى أنني كنت مبتوت الصلة بهم إلّا نظريا. ولكن بعدما قرأت رسائل النور تيقنت أن الله سبحانه وتعالى معي كل وقت بل في كل لحظة وأنا لا أسير ولا أعمل شيئا إلّا وهو معي بقدرته وإرادته فهو قريب مني. وكذا بدأت أشعر أن الملائكة تحف بي دائما ليل نهار، وأن الرسول الكريم ﷺ أيضًا بشخصيته المعنوية معي وأنا معه، وكذا أشعر أنني أعيش مع الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وباختصار أصبح الإسلام والإيمان حياة لحياتي.

قلت له: يا أخي أوجزت وبلّغت كل ما نريد أن نقوله عن رسائل النور؛ أنها تجعل الإنسان يعيش الإيمان حيًا، فبارك الله فيكم.

في المغرب

إن تعريف رسائل النور في المغرب تم بفضل الله سبحانه، ثم بجهود الأستاذ محسن عبد الحميد حيث درّس هناك ثلاث سنوات (١٩٨٣-١٩٨٥م) وأعدّ دراسة عن الأستاذ النورسي ونشرها في مجلة "دعوة الحق" التي تصدرها وزارة الأوقاف المغربية في سنتها ٢٦ وعددها ٢٤٤ يناير ١٩٨٥م تحت عنوان "النورسي الرائد الإسلامي".

ولم أسافر إلى المغرب إلّا في شباط ١٩٩٨م، للمشاركة في ندوة عالمية وهي (ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم) في تطوان في ١٧-١٩/٢/١٩٩٨م، بدعوة من الدكتور عبدالعزيز شهبر أستاذ باحث في اللغة العبرانية وتاريخ الأديان بجامعة عبد المالك السعدي. وقدمت بحثا بعنوان (نظرات حول ترجمة معاني القرآن الكريم في تركيا).

وفي ٢٠-١٩٩٨/٩/٢٢انعقد المؤتمر العالمي الرابع بإسطنبول حول (نحو فهم عصري للقرآن الكريم، رسائل النور نموذجا) وشارك فيه الأساتذة د. أحمد أبو زيد، د. حسن الأمراني، د. عبدالعزيز شهبر؛ وقرروا عقد مؤتمر مماثل في المغرب.

فبدأ الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد بعقد مؤتمر في جامعة محمد الخامس بالرباط (تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر للهجرة وجهود بديع الزمان النورسي) في ١٧-١٨ مارت ١٩٩٩م.

وفي السنة التي بعدها عقد الأستاذ الدكتور حسن الأمراني في وجدة في جامعة محمد الأول، مؤتمرًا تحت اسم (حوار الشرق والغرب في رسائل النور لبديع الزمان النورسي) في١٩-٢٠ /٤ / ٢٠٠٠م.

وبعد ذلك أقام الدكتور عبدالعزيز شهبر في جامعة عبد المالك السعدي، في تطوان مؤتمرًا تحت اسم (هوية الإنسان المسلم) في ٣٠-٢٠٠١/١/٣١م.

ثم توالت المؤتمرات حول الرسائل في جامعات كل من الدار البيضاء وأكادير والجديدة ووجدة ومراكش، وفي بعضها أكثر من مرة. وصدرت كتبٌ حول الرسائل للأساتذة الدكتور حسن الأمراني والدكتور عبد الكريم عكيوي والدكتور فريد الأنصاري رحمه الله وغيرهم. فضلا عن كتب الندوات التي عقدت في عدة جامعات.

ونادرًا ما أزور المغرب ولا ألتقي الأستاذ الدكتور طه عبد الرحمن[1]

---

(١) من مواليد ١٩٤٤م بالجديدة، المغرب، متخصص في المنطق وفلسفة اللغة والأخلاق. ويعدّ أحد أبرز الفلاسفة والمفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي منذ بداية

في بيته. ففي جلساته غذاء عقلي وقلبي وروحي في الوقت نفسه.

وقد شارك في المؤتمر العالمي الخامس لبديع الزمان سعيد النورسي الذي انعقد في إسطنبول في سنة ٢٠٠٥م تحت عنوان (النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور) وقدم بحثًا عنوانه (فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال). وأرسل إلينا رسالة شكر رقيقة. وعندما تُرجم البحث إلى الإنكليزية أخذتُه إليه ليعيد النظر فيه وفعلًا صحح بعض الشيء. ثم نشرته مؤسسة sunnypress بنيويورك في كتاب باسم Islam at the Crossroad . ونشر كذلك في العدد الأول لمجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية.

ما الذي دفعك للقيام بهذا المجهود؟

عَقِبَ المحاضرة التي ألقيتها عن (مشكلات الترجمة عمومًا وترجمة رسائل النور من اللغة التركية إلى اللغة العربية) في قاعة كلية الآداب في الدار البيضاء بالمغرب (في مارت سنة ١٩٩٩م). سألني أحد الطلبة قائلا:

"ما الذي دفعك للقيام بهذا المجهود الضخم بترجمة كليات رسائل النور في تسعة مجلدات من اللغة التركية إلى العربية، فإن جميع المصادر الإسلامية هي باللغة العربية ومنها تُترجم إلى اللغات الأخرى، فما الذي دفعك إلى السير المخالف هذا؟".

وكان جوابي جملة قصيرة:

أخلاق طلاب النور وسلوكهم الإسلامي. وكلّ مَن قرأ رسائل النور هو طالب نور، ولا أزكّي على الله أحدًا.

السبعينيات من القرن العشرين.

نعم، عند لقائي طلاب النور في سنوات السبعينات لمست الإسلام حيًا نابضًا ومعيشًا في حلّهم وترحالهم، بل انكشف فيهم صفاء الإيمان ونقاء الوفاء وصدق الإخلاص ودوام العطاء، واستشعرت بالاطمئنان والسكينة تغمران قلوبهم.

لست بدعًا في هذا الإعجاب تجاه هذا الإسلام الحي والإيمان الفتي. فقد لمس هذا الإيمان الحي كثيرٌ جدًا ممن التقوا طلاب النور، وصرحوا به أو كتبوا عما شاهدوه. أذكر واحداً منهم هنا.[1]

ذاقَ طعمَ الإيمانِ

وطرحت إحدى الطالبات في ختام المحاضرة سؤالًا بهذه الصيغة:

---

(١) هو الدكتور عبد العزيز شهبر الذي كتب مشاهداته بعد المؤتمر العالمي الرابع (نحو فهم عصري للقرآن الذي عقد في ٢٠-١٩٩٨/٩/٢٢) وهي محفوظة عندي، اقتطف منها الآتي:

"... فبعد أن رأيتُ ما رأيتُ من صدق الأستاذ النورسي في أخلاق طلبته، وبعد أن تبين لي أن لرسائل النور فاعلية في بناء مجد الإسلام، وبعد أن لامستُ نور رسائل النور في حركات وتصرفات إخوة النور؛ فقد نذرت لله تعالى أن أترجم الرسائل إلى اللغة الإسبانية، وسأشرع في هذا الأمر فور عودتي إلى تطوان.

ولن أكتفي بهذا الأمر إذا أطال الله في عمري، بل سأترجمها إلى العبرانية حتى تكون حجة على الضالين.

إنني أخي لن أنسى ما حييتُ ما لاحظتُه في قاعات هذا المؤتمر المبارك، لقد رأيت القرآن حيّاً فاعلًا، كسَّر أغلال الحدود والألوان واللغات وجعل كل الحاضرين يقفون صفًا واحدًا مرصوصًا.

لقد أكرم رب العزة سعيدًا النورسي فوهبه العلم والورع والصدق. لقد أحبّ سعيدٌ اللهَ ورسولَه، فحبّب اللهُ الناسَ فيه..

أخي إن لساني يعجز عن نقل كل ما يختلج في صدري..".

أستاذ أنت لا تفتأ تردد الإيمان.. الإيمان، ونحن مؤمنون. فأجبتها: إنني لا أشك في إيمان أحد من الناس. ولكن الرسول ﷺ يقول: (ذاقَ طعمَ الإيمانِ، من رضيَ باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ رسولًا).[1] فالمعنى أن للإيمان ذوقًا، للإيمان حلاوةً، للإيمان طعمًا، فرسائل النور تعين على تذوق حلاوة الإيمان. عندئذ قالت: أعطنا، أعطنا من هذه الرسائل.

نحن نحلل الحلال ونحرم الحرام

ولما كنت في فندق بـ "فاس" في المغرب للمشاركة في مؤتمر حول الأدب الإسلامي سنة ٢٠٠٤م اقترب مني أستاذ كريم ذو سمت رزين ووقار بيّن وعليه علامة التقوى والجد. لم أتعرف عليه سابقا. ثم علمت أنه الدكتور عبد السلام الهراس وهو أشهر من أن يعرّف. وبادر قبل التعارف بهذا السؤال:

- هل أنتم من تركيا؟

قلت: نعم.

قال: هل في تركيا جماعات إسلامية؟

قلت: نعم.

قال: هل هناك اختلافات بين هذه الجماعات؟

قلت: نعم.

قال: لماذا لم نسمع إلى الآن تفسيقًا وتكفيرًا وقتلًا بين الجماعات الإسلامية في تركيا، بينما نسمعها في بلادنا العربية؟

---

(١) مسلم (٣٤)، الترمذي (٢٧٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٨)، وابن حبان (١٦٩٤)، وأحمد (١٧٧٨)، أبو يعلى (١٧٧٨)، والبزار (١٣١٨).

قلت: نحن نحلل الحلال ونحرم الحرام.

قال: ما معنى هذا وهل حرّمنا الحلال؟

قلت: أيها الأستاذ الكريم أليست الغيبة حرامًا؟

قال: بلى.

قلت: فالغيبة حرام سواء كنا متفقين أو مختلفين، أليس كذلك؟ فاختلافنا لا يبرر لنا الغيبة ولا يسوغها لنا.

فضرب بكلتا يديه على المنضدة الواطئة التي أمامنا في صالة الاستقبال للفندق وقال بصوت عال: الله أكبر واستوى قائما.

ثم بدأ يهدأ ويسرد تاريخ الدعوة الإسلامية في المغرب في عهد الملك حسن الثاني وكيف أن حادثة قتل أدّت بهم أن يتلاوموا فيما بينهم وكيف أصبحت الدعوة شذر مذر.

وبعد هذه المحاورة بيننا أصبحنا كالأخ وأخيه أو الأصح كالتلميذ وأستاذه وأخذ بيدي وأراني جميع مناطق مدينة فاس الجميلة حتى الأزقة الضيقة في فاس القديمة.

وأخذني يومًا إلى جمعية أسسها لخدمة الإسلام وجمع كثيرًا من الناس فيهم الشباب والشيوخ وطلب مني أن أذكر للمجتمعين شيئًا عن العمل الإسلامي في تركيا، فذكرت لهم ما تيسر لي من الخواطر وبخاصة مدارس النور وتحفيظ القرآن وغيرها من النشاطات المتنوعة.

وأخيرًا اقترب مني وسألني الآتي:

ألا تأخذون شيئًا من المعونات للقيام بهذه الأعمال من أحد، كالدول أو المؤسسات الإسلامية الأخرى؟

قلت: والله لم نستلم قرشًا ولا فلسًا ولا مليمًا من غيرنا قطعًا.

قال: ومن هنا في دعوتكم البركة.

فكنت لا آتي إلى المغرب إلّا ويدعوني إلى بيته ويكرمني بالغداء المشهور في المغرب. وما أتى إلى إسطنبول إلّا ونلتقي على خير بفضل الله.

حتى كان لقاؤنا الأخير معه عندما زرناه مع الأستاذ الدكتور محمد الروكي (رئيس جامعة القرويين) في بيته في الباب وعرفني رغم أننا ما التقينا منذ مدة. وذلك بعد ندوة "قضايا المرأة والأسرة والمجتمع من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي" عقدتها جامعة القرويين بفاس أيام ٢٧-٢٩ /٤/ ٢٠١٤م.

انتقل إلى رحمة الله الواسعة في يوم الجمعة ٢٠١٥/٢/٢٠م أسكنه فسيح جنانه بشفاعة سيد المرسلين.

طُرفة في الغيبة

كنت قد علّقت في غرفتي في مكان عملي بإسطنبول لوحة فيها دائرة حمراء وفي وسطها خط مائل كما هو في باب المساجد أو غيرها لبيان أن السيجارة ممنوعة أو لا بد من إقفال الهاتف، ولكن هنا بدلا من السيجارة مكتوب داخل الدائرة الحمراء "الغيبة".

ومرّ من أمام غرفتي أخَوان كريمان أحدهما صاحب نكتة فقال لصاحبه: يا أخي تعال لنجلس في غرفة أخرى فالغيبة ممنوعة في غرفة الأخ إحسان...!

خواطر عن أخينا الراحل فريد الأنصاري رحمه الله

كنت أنا والأستاذ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله رحمة واسعة مدعوَّين للمشاركة في ندوة دولية نظمتها ندوة العلماء في "ساراواك" بالاشتراك مع الجامعة الوطنية الماليزية وكان موضوعها (دور العلماء في الوحدة الإسلامية) وذلك في ١٣-١٦ /٧/ ٢٠٠٣م فانعقدت الندوة في فندق "هوليداي إن" في مدينة (كوجينك) وهي عاصمة إيالة ساراواك التي هي إحدى الإيالات الخمس لماليزيا وكان موضوع بحثي (دور العلماء في العهد العثماني والأمة التركية، النورسي أنموذجًا).

وقد بقينا معًا طوال خمسة عشر يومًا ليل نهار، وما رأيت منه أنه ترك ليلة صلاة التهجد قط ولا الأذكار بعد الصلوات وبخاصة صلاة الفجر حيث كانت له أذكار طويلة. وكانت له تلاوة حزينة للقرآن الكريم.

افتتحت الندوة من قبل مسؤولين كبار وجمع غفير من الأساتذة والعلماء الذين أتوا من مدن شتى من البلاد. وأخذت أخبار الندوة الصفحة الأولى في صحافتهم. قدّم كلٌّ منا بحثه وتُرجم إلى اللغة المالوية. وأعجب بهما الحاضرون، ولا سيما أننا أتينا من بلاد بعيدة عنهم. حتى إن ملك الإيالة أكرمنا بدعوة عشاء ملكي فاخر.

ثم عدنا معًا إلى كوالالمبور. وألقى الأستاذ فريد محاضرة قيّمة لطلاب الدكتوراه والماجستير في الجامعة الإسلامية العالمية حول تاريخ المقاصد بدءًا بالإمام الشافعي والغزالي والشاطبي وغيرهم ومن ثم بيان موقع النورسي فيه.

ومن ثم دعانا أساتذة كلية الدراسات الإسلامية للجامعة الوطنية إلى مخيم أعدّوه ليومين في أعالي مرتفعات جندابايك. فاستجبنا للدعوة.

كان المكان جميلًا بكل معنى الكلمة وهادئا جدًا ومعدًا لهذا الغرض من أماكن مبيت وقاعات محاضرات ومسجد وغيرها من المباني التي يتطلبها مثل هذه الأماكن.

وفي الحقيقة نعجز عن أن نعبر عما في أعماقنا من رغبة ملحة بالاندماج في هذا المدى من الجمال والجلال، وكأنه سمفونية تغريد تحيط بنا من كل جانب، فما كان لنا إلّا اللواذ إلى التسبيح بالقلب وباللسان أو بالنظر أو بالجوارح الأخرى، فالجمال الجليل يحرك مكامن القلب ويهيجها. وكان أخونا الفاضل رحمه الله يكرر عليّ الفرق بين التدبر والتفكر مستندًا إلى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

بقينا معهم يومين كاملين وأرادوا منا أن نتفرغ من كل شيء إلّا صلاة الجماعة وتلاوة القرآن وقراءة في كتاب" مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان" لبديع الزمان سعيد النورسي. فأصبحنا في تلك الأيام الجميلة بين أحضان تلك المناظر الساحرة وكأننا في خلوة تدبرية عميقة. وفي ختام تلك الأيام اجتمعنا على صورة حلقة وسألناهم عن انطباعاتهم حول هذه الأيام التي قضيناها معا.

وما إن انتهيت من السؤال حتى ابتدر أحدهم بالكلام حول العجز والفقر والشفقة والتفكر، تلك الأمور التي يوليها الأستاذ النورسي الأهمية. وتتخذ الرسائل من الكائنات التي حولنا دليلًا على الله سبحانه وتحث على التفكر فيها وتجعل التفكر وسيلة لتقوية الإيمان، أي أنها تجمع بين الكتاب المنظور والكتاب المقروء معا. وذكر لنا كيف أنه لعدم معرفته هذه القواعد الجليلة أهمل أولاده وزوجته.. ثم أجهش بالبكاء لدقائق، وعم الصمت في القاعة إلى أن أنهى بكاءه، ثم قال:

أتدرون لماذا أبكي؟ وعم الصمت أيضًا. ولكنه قال: أنا أبكي على نفسي، كم كنت ظالمًا لنفسي ولأهلي وأولادي. أنا أستاذ تفسير في الجامعة ولكن لم أعلّم أهلي وأولادي شيئًا عن الإسلام لأني كنت أترك البيت من الصباح الباكر؛ لي محاضرة في كذا ومحاضرة في كذا واجتماع حزبي في كذا ولا أعود إلى البيت إلّا في وقت متأخر من الليل والأولاد نائمون. والآن بمطالعتي الجادة لهذا الكتيب "مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان" عرفت كم ظلمتهم وظلمت نفسي.

ثم وجه الأساتذة لنا أسئلتهم.

السؤال الأول:

نحن أساتذة التفسير وعلوم القرآن في كلية الدراسات الإسلامية. نرى أن رسائل النور للنورسي لا تشبه التفاسير التي ندرّسها، علمًا أنه يقول عنها أنها تفسير حقيقي للقرآن الكريم. فأي نوع من التفسير هي؟

فأجابهم الأخ فريد، وكان بين يديه قدح ماء فأخذه ورفعه وقال: لنفرض أن هذا القدح مملوء عسلًا، فيأتي الكيميائي الحاذق ويحلل العسل ويكتب أنه يتركب من: السكر الفلاني بكذا نسبة، والسكر الآخر بكذا نسبة، والصوديوم كذا والمغنسيوم كذا.. وهكذا.. وهو صادق وخبير. والآن لنفرض أنه آية كريمة بدل العسل فيأتي المفسر ويقول مثلًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾ التي ترد في القرآن بكثرة، وذلك لنُكت دقيقة ولطائفَ رقيقة، إذ هذا الخطاب مؤكّد بوجوه ثلاثة: بما في "يَا" من الإيقاظ، وما في "أَيُّ" من التوسم، وما في "ها" من التنبيه. وهكذا... وهذا كله صحيح ويقرّه المفسرون على اختلاف مشاربهم ومناهجهم. أما النورسي فإنه يفتح قنينة العسل ويذوّقك ملعقة منه فأنت تتذوق

حلاوة شهد الحقيقة القرآنية وطعمها. وهذه ما تفعله رسائل النور، ومن هنا أقول إن رسائل النور تفسير ذوقي. والقرآن كما يُدْرَس ويُتلى يُتذوق كذلك؛ ولذلك فقد جمعت كلمات بديع الزمان بين دقة العلم، ولطافة الذوق. وقد يتوهم قارئ رسائل النور لأول وهلة؛ أنها صفحات من الوعظ والتذكير فحسب؛ أو ورقات في أدب الدنيا والدين، على غرار ما كتب كثير من السابقين، لكن الباحث المتعمق، الصبور على المتابعة والاستقراء، يكتشف أن الأمر يتعلق (بفقه) خاص للكون والحياة والمصير! إلّا أنه فقه أو (فلسفة) مستنبطة من القرآن الكريم، سواء فيما يتعلق بمصطلحاتها ومفاهيمها، أو ما يتعلق بقضاياها وإشكالاتها؛ ومن هنا عمق الجهاز المفهومي لدى بديع الزمان.

سؤال آخر:

نرى في رسائل النور ذكر الأحداث التي مرت بالنورسي أو مرّ بها، بل حتى الكلام عن أهل بيته أو طلابه مما لا نراه في تفاسير أخرى، وهذا يدفعنا إلى القول: إنها قاصرة على فترة معينة، أي لا بد لنا من رسائل أخرى لهذا العصر أيضًا.

فكان الجواب حاسمًا وطريفًا في الوقت نفسه:

أولًا:

نعم، إن النورسي قد سجل سيرة حياته في الرسائل، ذكرها لتوظيفها في بيان أهمية الإيمان وبيان عظمة القرآن وأحقيته وكيف أنه أنقذه من ورطات وهموم، هذا أولًا، فهي إذن ذكرُ توظيف وليس سرد تاريخ. هكذا ألّف النورسي رسائل النور، عبر حياة متنقلة من سجن إلى سجن ومن منفى إلى آخر! ما بين رجل العلم والسياسة، الذي هو: (سعيد

القديم)، إلى رجل القرآن والتربية، الذي هو (سعيد الجديد)؛ كان النورسي ينسج غلائل النور عبر رسائله النورية.. كل ذلك أدى إلى أن تكون رسائل النور ذات تداخل موضوعي وحيوي في الحياة، نعم فيها تسجيل لمراحل من عمر النورسي الحافل المديد: (٨٣ سنة)، التي وظفت لبيان حقائق القرآن. وفيها نصوص وقضايا لا يتم فهمها إلّا بردّها إلى أحداث وقوعها، كما أن فيها جزئيات لا يمكن فهمها إلّا بإدخالها ضمن كُلِّيِّهَا!

وثانيًا:

إن القرآن الكريم كما هو معلوم لديكم قد أُنزل ليلة القدر كله إلى بيت العزة، ولكن تنزّل نزولا في مُهلة منجّما وفق الحوادث في ثلاثة وعشرين عامًا. ولما كان القرآن يخاطب العصور كلها فحقائقه وأسراره تتوجه أيضًا إلى كل عصر وفق متطلبات ذلك العصر؛ فتُفاض إلى قلوب العارفين والصالحين من العلماء ويُلهمون بها ويبيّنونها إلى أبناء عصرهم. وقارئ الرسائل قراءة جادة يجد أنها تمثل حقائق القرآن المتوجهة لهذا العصر، هذا ثانيًا.

ولذلك فإنك حين تقرأ كليات رسائل النور؛ تشعر كأنما هذه الرسائل قد كتبت لزماننا هذا، أو كأنما كتبت لك وحدك إذ أنها تكشف ما في نفسك من استفسارات. حتى تجد أحيانًا كثيرة أن رسائل النور تسبق إليك بجواب لسؤال يدور في خلدك! فتنتشلك من ظلمات الحيرة والاضطراب، وتوقظ وجدانك:

أن افتح عين قلبك! وأذن روحك! وأشهد بصيرتك! لتتلقى نور القرآن بنفسك، لا بواسطة غيرك.

أما ثالثا:

فإننا إذا أنعمنا النظر في الرسائل نجد أنها نسيج محبوك لتجليات الأسماء الحسنى حبكًا محكمًا. حتى يمكننا القول: إن لُحمة الرسائل وسَداها هي الأسماء الحسنى وبيان معانيها المتجلية في الكائنات والأحداث، فما من رسالة إلّا وفيها شرح وتوضيح لتجلي اسم أو أسماء من الأسماء الحسنى؛ وبهذا تشرح المعاني المضمرة في حوادث الكون والأحداث المحيطة بنا. ومن هنا تغمر الطمأنينة والسكينة صدور قرائها بل تطفحان على وجوههم لما أبصروا من حقائق الأسماء المتجلية في الأحداث المحيطة بهم. ومن هنا نقول: إن الرسائل وحقائق القرآن التي فيها باقية ببقاء تجليات الأسماء الحسنى على هذا الكوكب. ومتى ما أنهت تلك الأسماء وظيفتها عليه تنتهي وظيفة الرسائل أيضًا.

وهنا أنهى الأستاذ فريد أجوبته.

وهكذا انتهت تلك الأيام القصيرة زمنًا، الطويلة معنى.

ولدى عودتنا وعندما كنا في الطائرة بدأ ينظم قصيدة لا أدري أية قصيدة كانت، إلّا أنني كنت أسمع منه تمتمات وترنمات ترن في أذني متناغمة تناغم الموسيقى.

ثم كتب رحمه الله في ديوان الشعر (مشاهدات بديع الزمان النورسي) الذي ألّفه بعد سفرتنا هذه أنه رأى الأستاذ النورسي فيما يرى النائم في الفندق في مدينة كوجينك. إذ يقول: "ثم اؤكد لكم أني وجدته ذات مطرٍ ليلي - بعد ذلك في سفر بعيد- بجزيرة سرَواك بماليزيا! كان يصلي بليل، بإحدى الغرف العليا من فندق بمدينة كوتشي!".[1]

---

(١) مشاهدات بديع الزمان النورسي، مطبعة الفوبرانت، المغرب ٢٠٠٤.

الدروس الحسنية

دعيتُ في رمضان سنة ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م إلى الدروس الحسنية لأول مرة، واستمرت الدعوة إلى الآن. وهي دروس تقدم من قبل علماء وأساتذة تختارهم وزارة الأوقاف المغربية. وتستمر ساعة كاملة بحضور ملك المغرب؛ محمد السادس بن الحسن الثاني، والعائلة المالكة، والوزراء، والسفراء، والعلماء من كل منطقة، وكبار ضباط الجيش، والضيوف. كل له مكانه المخصص، ويبدأ الدرس بعد العصر في القصر الملكي في الرباط، وأحيانا في الدار البيضاء. وبعد الانتهاء يقدم وزير الأوقاف مجموعة من الضيوف إلى الملك ويعرّفهم له.

والفائدة المرجوة من هذه الدروس علاوة على الموضوع الذي يقدَّم. هو التعارف مع علماء أتوا من أقاصي العالم حيث يخصص للجميع فندق من الدرجة الأولى فالسحور والإفطار وما بينهما من الصلوات والتراويح والجلسات الودّية كلها تكون من متممات هذه الدروس ومن فضائلها.

وقد منّ الله سبحانه وتعالى أن قدّمت المجموعة الكاملة من (كليات رسائل النور) إلى الملك محمد السادس عقب الدرس في شهر رمضان سنة ١٤٢٥ هـ الموافق لسنة ٢٠٠٤ م. وقلت: هذه أمانة استودعكم الله بها، وطلاب النور في تركيا يدعون لكم ولبلادكم، وشكرني عليها.

وكان هذا ضوءًا أخضر لرسائل النور في المغرب كما وصفه الدكتور فريد الأنصاري الذي قال: (هذا اليوم؛ يوم عيد رسائل النور). حيث انتشر الخبر بالتلفاز والجرائد. والفضل لله سبحانه وتعالى.

وتستفيد قنوات الإذاعة والتلفاز من وجود هذا الكم الغفير من الضيوف العلماء فتجري معهم حوارات ولقاءات علمية. وقد أجرت معي القناة السادسة عدة لقاءات وكذلك إذاعة القران الكريم. وأخذونا إلى محاضرات في عدد من المعاهد والمساجد.

ما الفرق بين العلم والحقيقة؟

كنت مدعوًا للدروس الحسنية التي تعقد في شهر رمضان في المغرب. زارني الأستاذ الدكتور فاروق حمادة[1] في فندق قصر حسان بالرباط. فجرى بيننا المحاورة الآتية:

أخذت قدح الماء الذي كان أمامي فقلت: أيها الأستاذ المحترم لنفرض أن هذا جهاز تصفية الماء يدخل الماء العكر من هنا ويخرج الماء الصافي من هنا. ثم أردفت قائلا: إن هذا القدح ليس جهاز تصفية وإنما جميع الكليات والمعاهد الإسلامية في العالم وبأسمائها المختلفة حسب كل بلد. فيدخل فيها طلاب وطالبات، وبعد أربع سنوات من الدراسة العلمية في التفسير والحديث والفقه والمنطق والكلام.. الخ لا بد أن يخرجوا من هنا صافين أنقياء وكلهم دعاة إلى الإسلام. فأشار الأستاذ حمادة بيده وقال: هيهات هيهات. نحن في المغرب لدينا ثلاثة عشر ألف طالب وطالبة، فإنْ تخرج من هؤلاء ثلاثة آلاف فنحن نشكر الله تعالى، ولكن أين؟

---

(١) ولد سنة ١٩٤٩م في تل ذهب بحمص، دكتوراه دولة في العلوم الإسلامية، أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس، الرباط. ألّف أكثر من ٣٥ كتاباً في القرآن الكريم وعلومه، والسنة وعلومها، والسيرة النبوية، والفقه الإسلامي وأصوله، والحضارة والفكر والمنهج. بالإضافة إلى عشرات الدراسات الأكاديمية المتخصصة والمقالات.

فقلت: لماذا؟ ألا يقرؤون الكتب الجيدة، وليس الرديئة والمجلات الرخيصة.

قال: نحن ندرّس العلم، والعلم يظل في عقل الطالب وفي الامتحان يفرّغ هذا العلم إلى الدفتر ونحن ننظر إلى الدفتر ونقول نجح ويرتقي الطالب إلى الصف الآخر وهكذا.

فقلت: أستاذي هناك جهاز آخر للتصفية اسمه رسائل النور يدخل فيه جمع غفير من شتى شرائح المجتمع من الأطفال إلى المسؤولين في الدولة. فلماذا يتقدمون في الأخلاق والسلوك أكثر من غيرهم؟

قال: هؤلاء يقرؤون الحقيقة فرسائل النور حقائق.

قلت: وهل من فرق بين العلم والحقيقة؟

فرفع يده اليسرى إلى الأعلى والكف إلى الأسفل وأشار إلى ما تحت الكف، وقال: أنا لا أقول شيئا عن سعيد القديم فهو عالم جليل حقًا ولكن هذا السعيد القديم خرق العلم ووصل إلى الحقيقة، (وأدخل أصابع يده اليمنى ومرّرها بين أصابع يده اليسرى) وقال: هكذا وصل إلى الحقيقة. فالحقيقة تختلف عن العلم من حيث إنها تدخل العقل أولًا ثم تنزل إلى القلب والروح وتسري إلى جميع لطائف الإنسان وتتحول إلى سلوك. فالفرق هنا بين العلم والحقيقة أن العلم يبقى مخزونًا في العقل بينما الحقيقة تسري إلى أدق اللطائف الإنسانية وتتحول إلى سلوك.

فأُعجبت بهذا الجواب أيّما إعجاب.

تجاوز التقسيمات

في جلسة مع الأستاذ الدكتور أحمد عبادي (رئيس الرابطة المحمدية بالمغرب) والأستاذ الدكتور فريد الأنصاري، طرحتُ سؤالًا:

ما رأيكم في عقيدة الأستاذ النورسي، بعض الباحثين في العقائد ينفون الأشعرية عنه وآخرون يحاولون إقحامه في إحدى المدارس العقدية كالماتريدية؟

قال الأستاذ عبادي: الأستاذ النورسي قرآني، يستلهم منه. فقد تجاوز هذه التقسيمات التي حدثت فيما بعد. وعلّق الأستاذ فريد الانصاري: وهل كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه ماتريديًا أو أشعريًا؟ ومن هنا نرى الأستاذ في بعض كلامه ماتريديًا وفي بعضه أشعريًا. علمًا أنه لو كان معتقدًا أحد المذاهب العقدية لكان يقوله بصراحة كما صرح مرارًا أنه شافعي المذهب.

درس في الوفاء

أقامت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القاضي عياض ندوة حول التربية السلوكية عند بديع الزمان سعيد النورسي وابن المؤقت المراكشي (ت١٩٤٩م) في١٤-٢٠٠٣/١/١٦م وفي اليوم الأخير منها قام أحد الأساتذة وسأل رئيس الجلسة الاستاذ الدكتور آيت سعيد، لماذا الأساتذة المحاضرون عن التربية السلوكية عند النورسي أكثر من عدد المحاضرين عن ابن المؤقت وهو من مدينتنا؟ فأجابه رئيس الجلسة قائلا: انظر هذا أحد طلاب النورسي مشيرًا إلى الأخ الكبير صنغور -وهو جالس ممددًا رجله على كرسي آخر أمامه لمرض فيه- هذا الشخص وبهذا العمر لأنه تتلمذ على النورسي يأتي

من تركيا إلى هنا ويتحمل مشاق السفر، أما أولاد وأحفاد المراكشي فإنهم يحومون حول القاعة ولا يدخلونها. السبب هو هذا.

نشر الرسائل

بدأت دار الأحمدية للنشر والتوزيع في الدار البيضاء بالمغرب لصاحبها الأستاذ الدكتور الحسن الأمراني زنطار[1] بطبع رسائل صغيرة: الاسم الأعظم، مرشد الشباب، الخطبة الشامية، مرشد أخوات الآخرة، رسالة المرضى، رسالة الشيوخ وأمثالها.. وعندما عرضتُ عليه ما يترتب علينا من مبالغ. قال: يا أخي إذا أعطيتَ لي مبلغًا ماذا أعمل به، أصرفه في سبيل الله؛ وإذا أعطيتك مبلغًا، ماذا تعمل به، تصرفه في سبيل الله.. فضحكنا معًا شاكرين الله ربنا الكريم.

وتوّج نشر العمل النوري في المغرب الأستاذ الدكتور عبد الكريم عكيوي بكتابه الجامع "إشراقات نورية في الديار المغربية". علاوة على كتب المؤتمرات التي عقدت في كل من الرباط، والدار البيضاء، وتطوان، ومراكش، والجديدة، ووجدة، وأكادير، وفي بعضها أكثر من مرة. فضلا عما كتبه الأستاذ عبد القادر الإدريسي (مسؤول الإعلام، الإيسيسكو) من مقالات أسبوعية حول رسائل النور في جريدة العَلم المغربية.

---

(١) أستاذ في كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، أكدال، المغرب.

في ماليزيا

كنت في ماليزيا مشاركًا في مؤتمر عقدته الجامعة الإسلامية العالمية وكان عنوان المؤتمر (رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي وإسهاماتها في مجال العلوم) في ١٤ /٨/ ٢٠٠٠م. فدعاني أحد الأساتذة إلى جلسة أخوية في بيته مع الأساتذة العراقيين هناك. فذهبت وإذا هي جلسة عامرة من ثمانية عشر أستاذًا. وبعد العشاء والكلام العام، طرح أحدهم عليّ سؤالًا كالآتي:

الإمام الآلوسي يقول في مقدمة تفسيره "روح المعاني" ما معناه: أن كل من يتعامل مع الحقائق القرآنية ينال عنايات ربانية. وأنتم بصفتكم ترجمتم رسائل النور وهي حقائق قرآنية فهل رأيتم عنايات ربانية؟

قلت جوابًا: لا.

قال: إن لم تشاهد أنت العناية الربانية، فأنا الآن أذكر لك عناية منها.

قال: كنت أعمل خبيرًا في وزارة الأوقاف ببغداد وكان كل كتاب ديني يقدَّم إلى رقابة المطبوعات يأتينا ونحن نقرر صلاحيته أو عدم صلاحيته للطبع. فجاء أول كتاب لكم وهو "رسالة الحشر" فقرأته وكتبت "موافق" لعلمي بأنه لا يحمل شيئًا سياسيًا وغيره من الأمور الممنوعة.

وبعد أيام دعاني مدير عام رقابة المطبوعات "سامي أحمد الموصلي" وقال لي بحدّة: كيف توافق على هذا الكتاب، هذا لجماعة النور وهي جماعة كبيرة في تركيا وسيكون غدًا موضع مشاكل هنا، وقدّمني شاكيًا إلى السيد وزير الإعلام "لطيف نصيّف جاسم". وفعلًا استدعاني الوزير بعد أيام وقال لي: اكتب تقريرًا مفصلًا عن سبب موافقتك على هذا الكتاب.

فتوكلت على الله وكتبت تقريرًا مفصلًا يتضمن الآتي:

إن مؤلف هذا الكتاب سعيد النورسي كان لا يكتب إلّا بالحروف العربية ويوصي طلابه باللغة العربية ويؤذّن بالعربية ويقيم الصلاة بالعربية ... فملأت التقرير عربية.. عربية. وقدمته إلى السيد الوزير وقرأه وقال: موافق.

وأنت يا أخي إحسان تأتي إلى شباك الرقابة وتسلم الترجمة ثم بعد أشهر تستلم الموافقة لأكثر من أربعين رسالة. فإن لم يكن هذه عناية ربانية فما هي؟

ثم تعرفتُ عليه وشكرتُه على عمله المبارك وهو الأستاذ الدكتور عارف علي الذي ما زال يدرّس هناك أصول الفقه. فانعقدت بيننا علاقة محبة وتقدير متبادلة.

خاطرة أخرى:

ذكر أحد الأساتذة في ثنايا المناقشات كلامًا جميلًا عن الأستاذ النورسي، أودّ تسجيله هنا:

"أثنى الأستاذ النورسي في يوم من الأيام على طلاب سعيد القديم قائلا: إنهم كانوا يضحون بأرواحهم في سوح القتال، ولقد أبلوا بلاء حسنًا في الحرب العالمية الأولى.. ولكنه عقّب مباشرة: إن طلاب سعيد الجديد أكثر تضحية منهم حيث إنهم يضحون بحياتهم كلها، فالشهادة تنتهي بطلقة واحدة وتنتهي في دقائق، ولكن الذي يضحي بحياته يستشهد في كل دقيقة بل في كل لحظة وهي مستمرة طوال الحياة".

خادم القرآن:

في مؤتمر (مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف) الذي نظمه قسم دراسات القرآن والسنة، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، في ١٧-١٨/٧/٢٠٠٦م. جاء دوري بإلقاء بحثي حول (منهج النورسي في تفسير القرآن الكريم) فقدمني رئيس الجلسة قائلًا: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي مترجم رسائل النور وهو من أتباع النورسي. وباشرت بالافتتاح بالبسملة والحمدلة ثم قلت مخاطبًا رئيس الجلسة: يا أستاذ! الأستاذ النورسي يقول: أنا خادم القرآن. فلماذا خصصتني بأني من أتباع النورسي، فهل في هؤلاء الأفاضل من لا يريد أن يكون خادمًا للقرآن أو خادمًا لخادم القرآن. بل كلهم يتوقون أن يكونوا خدامًا للقرآن، فكلهم من أتباع النورسي، فلِم تخصني بهذا؟ فربَت على ظهري بلطف قائلًا: أمزح معك أمزح! تفضل وألق بحثك.[1]

درس في البيئة

دعانا (البروفيسور خيرالأنوار) الماليزي (أنا وعلي قاطي أوز) إلى الجامعة الوطنية. ودخلنا إلى قاعة المحاضرات التي سيلقى فيها درس

---

(١) في رسالة الكترونية من الأستاذ عبد القادر الادريسي، مما نشره في جريدة العَلَم المغربية: "إن روح (رسائل النور) تنعكس على هذه الجماعة التي حرتُ في اختيار الاسم الذي أطلقه عليها، لعلمي أن أفرادها، على اختلاف في مستوياتهم الثقافية، لا يقبلون أن ينعتوا بأنهم (جماعة)، أو أنهم (جمعية)، أو أنهم (مؤسسة)، أو أنهم (تنظيم)، أو أنهم (حزب). فكل هذه الأسماء والتشكيلات لا تنطبق عليهم ويرفضون أن يصنفوا ضمنها. ولهم الحق، فليسوا هم ممن يندرج في هذا الإطار، لأنهم قوم يختلفون عن النماذج والأنماط التي نعرفها".

البيئة. اعتلت البروفيسورة المنصة وبدأت تشرح الموضوع بالإنكليزية. فكانت تقرأ من ترجمة الأخت شكران واحدة لرسائل النور فقرة ويعقب عليها الأستاذ خيرالأنوار بالماليزية وكذلك (الدكتور آدم) بالماليزية ثم فقرة أخرى.. فقدمت (اسم الله القدوس)[1] كاملا. وشدّت أنظار الطلاب والطالبات إلى المحاضرة، وهم من أديان وأجناس مختلفة وبدؤوا يسجلون ملاحظاتهم في دفاترهم. فصدّقنا كلام الأستاذ النورسي الذي يقول: سيأتي يوم تقرأ رسائل النور في الجامعات. ونحن شاهدناه بأم أعيننا.

حديقة الفراشات زاوية ذكر

وزرنا حديقة في ماليزيا مغطاة بشباك تعمرها ألوف أنواع الفراشات، دخلناها للزيارة وأخدتنا بهجة منظر لا قِبل لنا به، قلت لمن كان معي: أنا أحس كأنني نزلت رحاب تكية (زاوية)، نحن الآن في ذكر دائم، فرحنا نردد: الله الله.. سبحان الله.. ما شاء الله..

المعنى الحرفي والمعنى الاسمي

بعد انتهاء أعمال المؤتمر حول بديع الزمان النورسي في الجامعة الإسلامية العالمية، أصرّ الأستاذ الدكتور مدّثر عبد الرحيم[2] على غداء في مطعم راق. وأخذنا بسيارة كبيرة كي تسعنا. وسألني: أستاذ إحسان ألا تشرح لي باختصار ما رسائل النور؟ قلت: أستاذي المحترم نحن ذاهبون إلى ضيافتكم، وفي السيارة كيف أختصر لك المجلدات؟! وفجأة تذكرت وقلت له الآتي:

---

(١) اللمعات، اللمعة الثلاثون ص ٤٧٠.

(٢) رئيس قسم الإسلام والحداثة في المعهد العالمي للفكر الإسلامي والحضارة بماليزيا.

الأستاذ النورسي يقول:"اعلم! أني أحمد الله على أن فتح لي أعاظم مسائل هذه الكائنات بمسألة من النحو، هي الفرق بين "المعنى الحرفي والاسمي".. أي هذه الموجودات كلماتٌ دالاتٌ على معانٍ في غيرها، أي مكتوباتٌ ربانية تاليات للأسماء الحسنى، لا اسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاتها".[1]

ويقول:"فالنظرة القرآنية إلى الموجودات تجعل الموجودات جميعها حروفًا، أي أنها تعبّر عن معنى في غيرها، بمعنى أنها تعبّر عن تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم المتجلية على الموجودات.

أما نظرة الفلسفة الميّتة فهي تنظر على الأغلب بالنظر الاسمي إلى الموجودات، فتزل قدمُها إلى مستنقع الطبيعة".[2]

قال: الآن فهمت، شكرًا.

ثم شرحت:

كيف يتحقق التعامل مع معاني الأسماء الحسنى؟

إن من يداوم على قراءة الرسائل ينظر إلى الموجودات نظرة يراها كالحروف التي تفتقر إلى معنى في ذاتها. فتحتاج لمعرفة ماهيتها إلى اسم من الأسماء الحسنى؛ حتى تصبح هذه النظرة القرآنية لديه مَلَكة. فيشعر أنه يزاول تعاملًا ذوقيًا وقلبيًا وروحيًا وفكريًا مع معاني الأسماء الحسنى، لا تعاملا نظريًا، بل استكشافيًا، فيشاهد أنوار تجليات تلك

---

(١) المثنوي العربي النوري ص ٣٥٢.

(٢) اللمعات، اللمعة السادسة عشرة، ص ١٧٢. الملاحق، ملحق بارلا ص ٩٠.

الأسماء فيما حوله من موجودات، وفي الحوادث اليومية، وذلك لكثرة ما تضع الرسائل بين يديه من ضرب الأمثال الحياتية الواقعية، فيحيا المرء بتلك المعاني الجميلة، بعقله وقلبه وروحه بل بجميع لطائفه وأحاسيسه ومشاعره.

وبهذه الروح المتفاعلة مع الموجودات تصبح الموجودات والحوادث لقارئ الرسائل مرايا لتجليات الأسماء الحسنى، ومكاتيب ربانية مفتوحة يفهم منها معانيها الحقيقية وحكمة وجودها، حتى لا يبقى مجال للغفلة عن المولى الكريم، بل يكتسب القارئ بهذه النظرة القرآنية بالتأمل فيها مرتبة من الاطمئنان والانشراح القلبي، وتفتح أمامه عبودية دائمة وواسعة سعة الكون.. وكلما عاود القراءة، ظهر له معاني الأسماء الحسنى أكثر، وأتته حقائقها تترى في تجاربه اليومية وفي معاملاته الحياتية. وكلما انسكبت أنوارٌ من تلك المعرفة الإلهية بأسلوب أدبي آسر إلى روح القارئ ونفذت إلى قلبه انعكست في سلوكياته وتصرفاته، حتى تطفح على محياه.

دمج العلوم الإسلامية والعلوم الصرفة

أقامت جامعة السلطان زين العابدين في ترنكانو بماليزيا مؤتمرًا في ٦-٧ /٩ /٢٠١٥م تحت عنوان:" إحياء الحضارة الإسلامية؛ مقاربة رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي" اشترك فيه أكثر من مئة من الأساتذة والأكاديميين الذين جاؤوا من دول ومناطق متعددة ومن العديد من الجامعات في ماليزيا.

وفي يوم ٩/٨ أقامت جامعة العلوم الإسلامية الماليزية USIM ندوة: "مزج العلوم الإسلامية والعلوم الصرفة" وهو ما دعا إليه الأستاذ

النورسي بقوله:" ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية"[1]. وعقدت المسؤولة عن هذا المشروع، جلسة علمية خاصة معنا (أنا والأستاذ الدكتور فارس قايا) للمداولة الفكرية في كيفية التعاون في هذا المجال وسُجلت ملاحظات لتفعيل هذه الفكرة.

في إندونيسيا

عقدت في اندونيسيا في مدنها وجامعاتها المختلفة سلسلة من المؤتمرات والندوات أوجزها بالآتي:

جامعة الشريف هداية الله، جاكارتا، بموضوع (أفكار بديع الزمان سعيد النورسي من تركيا). في ١٦/٨/ ٢٠٠٠م، وجامعة سونان جوكجكارتا، بموضوع (النظرة المعاصرة وبديع الزمان النورسي). في ١١-١٢/٨/ ٢٠٠١م، وجامعة سونان صورابايا، بموضوع (أفكار بديع الزمان في الفكر الإسلامي الحديث ومعاصريه في إندونيسيا) في ٨- ٩ /٢/ ٢٠٠٢م، وجامعة باليمبانغ، بموضوع (حداثة الأفكار الإسلامية وجهود بديع الزمان ومحمد ناصر) في ١١-١٢/٢/ ٢٠٠٢م، وجامعة سونان باليمبانغ، بموضوع (الإيمان والاخلاق والعولمة) في ٢٥/٧/٢٠٠٤م، وجامعة الشريف هداية الله، جاكارتا، بموضوع (التعليم والأخلاق في الصحوة الإسلامية) في ٢٣/٧/٢٠٠٩م، وتتابعت في

(١) صيقل الاسلام، المناظرات، ص٤٢٨.

جامعات أخرى.. أذكر واحدة منها وهي جامعة مدان Medan في شمال جزيرة سومطرة. هذه الجامعة خصصت زاوية خاصة لبديع الزمان سعيد النورسي في مكتبتها وغرفة خاصة له. وتم تعريف مجلد "اللمعات" المترجمة إلى الإندونيسية في هذه الجامعة وكان في المجلس المسؤولون من المدنيين والعسكريين. وقامت أستاذة وقالت بكل حماس وحرقة موجهة الكلام إلينا وإلى القائمين بالطبع والنشر: أنا قرأت هذا الكتاب.. هذا الكتاب ضروري أن يقرأه كل إنسان ولا سيما الإندونيسيون، إذ فيه أدوية ناجعة لإنسان هذا العصر وحل لمشكلاته، أرجو ألّا تبخلوا في إيصال هذا الكتاب لكل إنسان ولا تختلقوا الحجج لذلك.

مدارس كونتور

أنشأ ثلاثة إخوة في قريتهم الصغيرة (كونتور Gontor putri) في جزيرة جاوة في العشرينات، مدرسة لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية بنموذج تدريس خاص وتربية خاصة أيضًا.. وبمرور الزمن وبالصبر والأناة تتحول المنطقة بأسرها إلى جامعات توفد خريجيها إلى أقاصي البلاد ليكونوا عمداء ورؤساء موجهين. ترى ماهي قوة الجذب في مثل هذه المدارس؟ وكيف تمكنوا من تحويل النظريات إلى أعمال وأفعال تؤتي أكلها كل حين بإذن الله؟

لقد قمت بفضل الله تعالى بزيارات ميدانية لهذه المدارس الجذابة وعشت مع طلابها ومدرسيها وتفقدت أحوالهم الاجتماعية والنفسية والثقافية والتربوية، ولمست مدى شوقهم وعرفت لِمَ لا يعتريهم الفتور مهما تبدلت الظروف. وسجلت ملاحظاتي عنها كلها.

زرت هذه المدارس لأول مرة بعد ختام المؤتمر في صورابايا في الشهر الثاني من سنة٢٠٠٢م. ولفت نظري الأدب الذي يتمتع به الأساتذة فضلا عن العلم وإتقان اللغة العربية إلى جانب اللغة الإنكليزية والإندونيسية. ثم الاكتفاء الذاتي دون طلب العون من الآخرين، حتى إن الطلاب أنفسهم شكلوا فيما بينهم جمعية أسموها (لا تنسَ) مستلهمين من الآية الكريمة ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧).

فهذه الجمعية الطلابية تقوم بكثير من الأعمال في هذه المدارس بدءًا من بيع الحاجات الضرورية من القرطاسية واللوازم المكتبية إلى الملابس إلى الأغذية إلى ترميم البنايات؛ ما وسعهم. حتى شاهدت النظافة على أتمها في كل مكان من دون موظفين للقيام بها، كلٌّ ينظف أمام مسكنه، وهكذا لا تتبدد الطاقات. المسجد غاص بالطلبة قبل الأذان للصلاة. وقراءة جيدة للقرآن وفي الإمامة. ويمنع منعًا باتًا الكلام بالإندونيسية فيما بين الطلبة إلّا العربية والإنكليزية فيضطر الطالب لإتقان اللغتين.

أخذَنا السيد العميد في تجوال بالسيارة لتفقد مرافق الكليات المختلفة، وبعدها إلى قاعة واسعة جدًا ونظيفة ومفتوحة الجوانب، أتى جمع غفير من الطالبات وجلسن على الأرض الممردة بالرخام ولا تسمع صوتًا ولا همسًا. سألت السيد العميد: كم عدد الحاضرات؟ قال: ثلاثة آلاف طالبة.

ومما قاله لنا: نحن وأنتم نتوافق في شيئين أساسيين:

الأول: أنتم تكلون كل أمر إلى الله تعالى ليس لأنفسكم فيه حظ؛ فالفاعل في كل خير هو الله، ونحن كذلك نقول مثلكم.

الثاني: أنتم تتجنبون الأمور السياسية والخوض فيها؛ ونحن كذلك لا نتقرب منها.

ألقيت كلمة قصيرة عن رسائل النور عقب كلمة السيد العميد.

تكررت زيارتي لـ(كونتور) أربع مرات؛ وفي كل زيارة أكتشف شيئًا جديدًا مما يزيد إعجابي بعملهم الخالص وفّقهم الله لما يرضاه. ولهم فروع في أنحاء إندونيسيا باسم مدارس النجاح.

اقتصر على هذا القدر من الكلام.

وفي زيارة أخرى في ٢٠١٥/٩/١٠م توجهنا مع وفد من الإخوة الأساتذة إلى جاكارتا. وقضينا سهرة ليلية ممتعة مع مجموعة كبيرة من الطلاب والأساتذة في جلسة إيمانية وعلمية بقراءة رسائل النور والإجابة عن أسئلة الحاضرين الموجهة بالإندونيسية والعربية والإنكليزية.

وفي الصباح الباكر من يوم الجمعة ١١/ ٩م توجهنا إلى "جامعة الشريف هداية الله"، وبعدها توجهنا إلى "جامعة بارا مدينة" للمشاركة في ندوة موضوعها "الحركة الإيجابية والجهاد المعنوي".

ثم توجهنا إلى "مؤسسة مدارس النجاح" التعليمية العريقة حيث تأسست قبل أكثر من خمسين سنة لخدمة العلوم العربية والإسلامية، وكان أول اجتماعنا مع طلبة الدراسات العليا. وعقدت بعد ذلك جلسة خاصة بالأساتذة للتعريف برسائل النور. وفي اليوم التالي عقدت ندوة واسعة دامت يومًا كاملًا اشترك فيها الأساتذة والطلاب والطالبات وألقيت البحوث العلمية حول رسائل النور وضرورتها للناس كافة ولا سيما المسلمون.

ولا ننسى دور الأستاذة الدكتورة نبيلة لوبيس التي قامت بترجمة

كتاب "نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي"، إلى اللغة الإندونيسية. وهي ضيفة الشرف في مؤتمراتنا في إسطنبول، وكانت في كل زيارة لنا في الصف الأول لضيافتنا. وكذا لا ننسى دور ابنتها الدكتورة أماني لوبيس الأستاذة في الجامعة وهي تتقن العربية وتصدر مجلة بالعربية.

في الجزائر

أما في الجزائر فأول من انتبه إلى الأستاذ النورسي هو الأخ (سعيد عيادي)[1]، كان دائم المراسلة معنا منذ الثمانينات، وكنا نرسل إليه مطبوعاتنا وينشر منها هناك في جريدة يومية.

ثم بدأت المشاركات في مؤتمرات عقدتها كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية في مدينة باتنة. فأنعم الله تعالى على دعوة الإيمان والقرآن معرفة أساتذة سبّاقين لها برسائل النور؛ أمثال: (الأستاذ الدكتور محمد عبدالنبي، جامعة الجزائر) و(الأستاذ الدكتور عمار جيدل، جامعة الجزائر) الذي قدم بحوثًا علمية حول رسائل النور في كثير من المؤتمرات سواءً في المؤتمرات التي عقدت في إسطنبول أو في بلدان أخرى، فضلًا عما في الجزائر، حتى إنه تحمل مشاق مؤتمر عقد في الجزائر لأول مرة قام به مخبر كلية أصول الدين بجامعة الجزائر العاصمة الذي كان رئيسه، بعنوان (الفكر الإسلامي المعاصر في الجزائر وتركيا) في٢٢-٢٣ / ١٠ / ٢٠٠١م وأخذ على عاتقه إدارة مجلة "النور

(١) حصل على شهادة الدكتوراه، وهو أستاذ علم اجتماع المعرفة بجامعة البليدة.

للدراسات الحضارية والفكرية". وبفضل الله ثم بجديته وعلميته العميقة أصبحت المجلة مرموقة في الأوساط الأكاديمية ومعترفًا بها من قبل مجلس البحوث العلمية والتكنولوجية في تركيا TUBİTAK، فضلا عن تأليفه لثلاثة كتب عن رسائل النور: بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية وتثبيته (المنهج والتطبيق)، وماهية الإنسان من خلال رسائل النور، وحقيقة مقاصد رسائل النور استمدادها وامتداداتها. فجزاه الله خيرًا.

سلبتني الرسائل بروحها القرآنية

كنت في أحد الملتقيات للأدب الإسلامي في المغرب، فاستمعتُ إلى بحث سحرتني لغتُه، وقدّر الله سبحانه أن يجلس صاحب البحث إلى جانبي على مائدة الغداء فعرفت أنه الدكتور سليمان عشراتي. فقلت له: لقد تضلعتُ من بحثكم. قال: وهل أنت شاعر؟ قلت: لا.. أنا منّ الله عليّ بترجمة رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي. قال: أدعوكم إلى الجزائر. قلت: لا، تفضلوا أنتم.. أنا أدعوكم لتشاركوا في مؤتمرنا في إسطنبول. قال: حول ماذا؟ قلت: رسائل النور للنورسي. قال: لا أعرف النورسي ولا رسائله. قلت: سأجلبها لكم. قال: حسنًا.

يذكر الأستاذ عشراتي قصة لقائه برسائل النور كالآتي:

"لم أنس يومها تلك الروح التي أقبل بها عليّ الأستاذ قاسم يتأبط رزمة من المجلدات وينتظرني في قاعة الإفطار، لم يكن يبيت في النزل حيث أقيم، لكنه أبكر وبقي ينتظرني بصمت على المائدة، وناولني المجلدات، ورأيتني أمتعض من وزنها، مجرد الرحلة يكدرني، فكيف إذا كان لها تبعات وأثقال، لعلني بيّتُ أن أترك الرزمة في بعض محطات

رحلتي، لست ممن يزهدون في الكتاب ولكنني أضيق في السفر بحمل أي متاع يزيد عن حقيبتي، ذكرياتي عن مرحلة الدراسة العليا مليئة بالعناء، كم ورَّدْتُ أيامها من أحمال كتب ضاع أكثرها عبر الطريق.

وغادرت الدار البيضاء مع الصبح، وفي بعض المطارات، وقد جلست وحدي حيث كان عليّ أن أقضي الليل بكامله، رحت أمزق غلاف الرزمة لأجد التذهيب والتجليد على مستوى عال من الجمالية، أشفقت أن أضيع تلك التحفة، ألم يكن الناس عندنا إلى وقت ليس بالبعيد يحلون خزائنهم بالكتب المذهبة، فلأضم المجموعة إلى ما عندي من مجلدات، لم أكن أعرف شيئًا عن النورسي، وربما قلت في نفسي، تجدها كتب أدعية وشروحا مجتزأة لمتون ميتة من التراث. لم أكن أتصور أن تلك الديار العجمية قد عرفت رجلًا على ذلك المستوى الفذ من الألمعية والروحانية. أذكر أنني شرعت في إلقاء النظر على صفحاتها قبل أن يمضي على وصولي إلى البيت أقل من ساعة، كان العياء والمبيت في صحن أرضية المطار وسط بشر واجمين قد أنهكني، ومدفوعًا بوازع تعويض الأيام التي استهلكتها في السفر رحت أبادر إلى العمل والقراءة.

وفتحت أحد المجلدات، وحلقت عيني على أكثر من موقع فيه، كنت ارتعشت استجابة لبعض الومضات تقدح من خلال الأسطر فتومئ إليّ بشيء، لكنني لم أكن جازمًا بأن هذه الأبهة تتوفر حقًا على شيء مهم، حياتنا العادية رسخت لدينا التوجس والاسترابة من كل شأن مبهرج، وهذه الكتب حيالي قد بلغت الغاية من الزينة، فأمرها دون شك مريب كسائر واجهات حياتنا الزائفة، وانطلقت إلى مجلد آخر وآخر، وسرى السحر في ضلوعي، ولامستني أصابع رقيقة، ونفثت فيّ

الكلمات والعبارات أنفاسًا عبقة، وأغلقت الكتاب، ورحت استوعب الحقيقة الأولى التي لاحت لي من أول وهْلة. هذا سِفرٌ على حظ من الجدية، هذا سفر أخّاذ، ثم عاودني الشك والاسترابة، وقلت كم هي ماهرة وسائل هذا الزمن الخادع في دس السم في العسل، وأرجأت التنقيب على الألغام إلى ساعة أكون فيها أكثر استعدادا لإعمال عقلي النقدي، معترفًا في الوقت نفسه أن المفعول السري للكتاب قد ترك أثره على نفسي، فقليلة هي الآثار التي تفلح في إثارة فضولي على مثل هذا النحو الفوري، السريع..

تلك هي قصتي مع النورسي. وفي بعض المواقف قلت لهم: إن النورسي إذا شبّك في شخص ما، فهيهات أن يخلص منه وإن سعى جاهدًا إلى الخلاص".[١]

وبعد أسابيع أرسل إليّ الأستاذ عشراتي الفاكس الآتي يبين فيها تأثير الرسائل فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني أن أوافي سيادتكم بمقدمة متعجلة من عمل شرعتُ في إنجازه بعد أن سلبتني الرسائل بروحها القرآنية التي لا تقاوم.

لقد وجدتني أحدّث طلابي بمعاني الرسائل، أنا الذي أعتدّ دائما بكفايتي وبأن أفكار الرجال لا تملك عليّ نفسي إلّا بقدر نفعي وعملي،

---

(١) رحلة إلى بلاد النور.

كأنْ أملأ بها فراغا في عرض علمي ما، أو أدفع بها عن نفسي في موقف محاججة من غير ما حماس قلبي أو تثمين حقيقي.

لقد رأيت في سيرته المثل الفذ الذي يندر أن تجود به أزمنة موبوءة كالتي نعيشها.

ألا ما أعظم الرجال المنافحين عن الحق بسيف الحق وببرهانه الذي لا يخذل، القرآن العظيم.

أيها السيد الكريم! أشكر لكم الخدمة الجليلة التي قدمتموها لي، إذ عرّفتموني على قطب لا بد وأن تكون أنواره الربانية تشرق على سمائكم مع كل مطلع شمس.

لقد أدركت الآن سرّ السماحة التي تتحلى بها جماهيركم المسلمة. لقد ألجمت فيها نوازع التخبط تعاليمُ النورسي. ألا فليرحم الله النورسي وليملأ الدنيا بدفء الإسلام الذي حلم به وأيقن أنه سائد يومًا ما لا محالة.

وتقبلوا مني –سيادتكم- أعمق عبارات المودة والتقدير.

د. عشراتي سليمان، جامعة وهران، الجزائر

ودعوتُه للمؤتمر الذي سيعقد في إسطنبول فقطَع التذكرة وحدّد لنا موعد الوصول بالخطوط الجوية الجزائرية في ساعة متأخرة بالليل. ذهبنا أنا وابني سعد إلى دار نشر نسل القريبة للمطار. ومع الأسف الشديد اتصل بنا في منتصف الليل أنه لم يتمكن من أخذ التأشيرة، ورأى ما رأى من قلة الاحترام ممن يعملون في السفارة التركية في الجزائر.

تألمنا كثيرًا واتصلت به هاتفياً وتأكدت أننا لن نلتقي ولا يتمكن من المشاركة في المؤتمر.

ثم أرسل إلينا هذا الفاكس:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل، إحسان قاسم، حفظه الله

تحية التقدير والاحترام وبعد

لقد أحسست في نبرة صوتكم المحتقنة التي حدثتموني بها أمس صدىً لتأثر كان لي فيه – حقا- بعض العزاء؛ إذ لمست أنكم أنتم أيضًا مثلي كُنتُم تتطلعون إلى لقائنا.

وإني أصدقكم أيها الأخ بأن وطأة الإعاقة ما زالت تستبد بمشاعري، فلقد كنت عاقدًا النية على أن أحقق رغبات حميمة، في مقدمتها الاعتمار والتمتع بمشهد أبي أيوب الأنصاري، والوقوف على الآثار العثمانية بكل ما ترمز إليه من مجادة وعنفوان إسلاميين..

ومرة أخرى أقول إنها مشيئة الله...

على أنني أود أن أفضي إليكم بشيء من ذات نفسي.. وأرجو ألّا تتكلفوا حيالها إلّا ما كان في الوسع وممكن التحقيق..

١- اعملوا على إفادتي عن طريق الفاكس، عقب انتهاء المؤتمر، بما سينتهي إليكم علمه، من ملتقيات وندوات تعقد خارج تركيا، ليتسنى لي مكاتبتها في الإبان بغية المشاركة فيها.. ومن يدري فلعل بعضها يجمعنا..

٢- أعلمكم.. أن كتابكم المفيد حول النورسي[1] قد وصلني أخيرًا وقد التهمته في جرعة عليلة كمن يشرب عذب الزلال. وفاجأني أن تكون رحلته إليّ استغرقت أربعة أشهر وزيادة.. وتوقعت وصول المصادر الأخرى بعد ردح زمني آخر.. لكن الأهم أنها ستصل إن شاء الله.

إني مصمم على المضي في كتابة عمل حول هذا الداعية الجليل لأَنِّي وجدتُ فيه وفي رؤاه الدينية والحضارية مفاتيح لكثير مما يشغل بال المسلمين.

لقد اعتبرت كثيرًا من تصريحاته فتاوى جريئة بالحق، مسددة بنور الإيمان.. وذلك -لعمر الحق- هو ما ينقص وعاظنا.. إلّا فئة قليلة يغمرها التعتيم وتعوزها أسباب النفاذ..

هذه بعض الخوالج أردت أن أنيطها بكم، وهي تعكس -بداهة- ما تولَّد بيننا من أخوة في الله.

والله يسددنا. وإلى مزيد من الإنجازات.. والسلام عليكم ملء السماء.

أخوكم عشراتي سليمان

ثم قدّر الله أنه شارك في أغلب المؤتمرات والندوات التي عقدت في إسطنبول أو في مصر أو الهند أو المغرب وغيرها.

ويسّر الله له أن ألّف كتبا قيمة في رسائل النور وطبعتها دار نشر سوزلر بالقاهرة:

---

(١) المقصود كتاب (نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي).

النورسـي فـي رحـاب القـرآن، بـديع الزمـان النورسـي سـيمياء الشـكل والتصـميم، المعنى القرآني في رسائل النور، جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، والنورسي ومنهجه في الدعوة إلى القرآن. جزاه الله خيرًا.

ويجمل بنا أن نضيف تعريفه الجيد الواضح لرسائل النور حيث يقول:

"رسائل النور كينونة فكرية وروحية متكاملة"[(١)]

"لم يترك القرآن بصمته الذهبية على روح النورسي فحسب، بل لقد حمل تراثه برمته تلك البصمة، إذ جاءت آثار القرآن وخصائصه البنائية والمنهجية والأدائية ملموسة في النص النوري: تكرار تثبيتي، استدعاء توجيهي، استرسال تكميلي، تمثيل توضيحي، تخشيع، تذكير، تبصير، إدهاش، تحسيس بالطبيعة والكون، تركيز على التوحيد، جعْلُ الإنسان محور الوجود وغاية المخاطبات".[(٢)]

تكامل الحس الأخروي

كنت في الجزائر وفي مدينة "باتنة" للمشاركة في مؤتمر "الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري" الذي عقدته في مارس ٢٠٠٤م كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة العقيد الحاج لخضر.

---

(١) عشراتي سليمان، النورسي في رحاب القرآن ص ٥، شركة سوزلر للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٩٩م.

(٢) عشراتي سليمان، بديع الزمان النورسي: سيمياء الشكل والصميم- المقدمة. مطبعة النسل – إسطنبول ٢٠٠١م.

ولما جاء دوري في العرض وكان موضوعي "ملامح مستقبل الإسلام". وكان مما ذكرت: ماذا أحدثت فينا رسائل النور. ومضيت أسرد البحث وحينما وصلت إلى الحضور الأخروي أو تكامل الحس الأخروي رفع أحد الأساتذة الكرام الجالس في الصف الأول من القاعة يده للسؤال أو الاعتراض. ولما أنهيت البحث أشار رئيس الجلسة إليه قائلًا: تفضل أيها الأستاذ لبيان ما عندك، فأتى إلى منصة خاصة للمتداخلين وتوجّه إليّ قائلًا:

أستاذ إحسان وهل الآن وقت الآخرة، نحن في الوقت الذي نتحدث فيه عن الآخرة تفعل الصهيونية بنا كذا وكذا وتفعل بنا أمريكا كذا وكذا.. ثم عاد إلى مكانه.

انتظرت أن يشير إليّ رئيس الجلسة بالجواب على الاعتراض. ولما أشار إليّ بذلك، قلت موجهًا الكلام إلى الأستاذ المعترض:

- الأستاذ الكريم يصدق.. الآخرة غير موجودة، لأنها غير موجودة في المناهج الدراسية ولا في البيت ولا في الشارع ولا في الجرائد ولا في التلفاز ولا في الراديو.. ولكن بالله عليكم هل نأخذ ديننا من الشارع أو من التلفاز أو من الجرائد.. أم نأخذه من القرآن الكريم؟ فلو لم تكن إلّا آية واحدة نزلت من العرش الأعظم ومن أعظم مرتبة من مراتب الأسماء الحسنى إلى قلب محمد ﷺ لكانت كافية ووافية لنا، ولكن، كم من الآيات في الذكر الحكيم تذكّرنا بالآخرة أليس ربع مقاصد القرآن البعث بعد الموت أي الآخرة.

ثم إننا نتصور الآخرة بعيدة عنا والحال أن صوَرنا وأقوالنا تؤخذ في كل آن في هذه القاعة وكل شيء يسجل بدقة وكل ذلك يُرفع إلى رب

العزة.. وصدق الله العظيم: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر:١٠)

وعقّب أحد الأساتذة القادمين من فرنسا بكلام جميل عن أهمية الآخرة، وكيف أنها ركن مهم من أركان الإيمان.

ثم قام الأستاذ المعترض وقال: إنني والله أؤمن بالآخرة وأنها ركن عظيم من أركان الإسلام، إلّا أنني قلت ذلك الكلام متسائلًا: لماذا الأستاذ إحسان اختار هذا العنوان بدلًا من أن يذكر نواحي أخرى عن النورسي.

في جامعة وهران والمشاركة في الدروس المحمدية

كنت قد قدّمت بحثا بعنوان (البعد اللغوي في حاشية النورسي على منظومة السلم المرونق للأخضري) وهو بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الذي نظمه مختبر اللغة العربية والاتصال بجامعة وهران بعنوان: إسهامات علماء المغرب العربي في خدمة اللغة العربية وترقيتها وذلك في ٢٦-٢٨ /١٠/ ٢٠٠٩م. وذلك بتشويق من الدكتور سليمان عشراتي الأستاذ في تلك الجامعة.

وفي أثناء بقائي مع الأخ كنعان دميرداش في منزله أخذنا الأستاذ عشراتي إلى الزاوية الصوفية في ضاحية وهران المسماة بالزاوية البلقايدية الهبرية في وهران، وهي فرع من الطريقة الشاذلية. وكانت الزيارة ودّية وألقينا كلمات قصيرة على الطلاب الذين يدرسون الدراسات الإسلامية فيها. ثم حضر إلى منزل الأستاذ عشراتي (الدكتور أحمد معزوز) أستاذ أصول الفقه في الزاوية وشرح لنا ماهية الزاوية والدروس المحمدية وهي

الدروس التي تلقى في الزاوية كل يوم درسين طوال أسبوعين في شهر رمضان المبارك. ودعاني بإلحاح لحضور الملتقى الخامس، ولكني أعلمته أنني سأحضر في تلك الأيام الدروس الحسنية في المغرب. فقال: لا ضير سنضع اسمك بعد عودتك من المغرب.. وهكذا وافقت مبدئيًا. ثم استشرت الأستاذ عشراتي حول مدى فائدة اشتراكي فبيّن ضرورته.

وفعلًا اتصلوا بي حول المشاركة وأن موضوع الدروس لهذه السنة هو (العلم). وأعددت بحثًا أرسلته إليهم ووافقوا عليه ثم بينت لهم أن الأخ (علي قاطي أوز) سيرافقني وأجابوا أن جميع المصاريف تتحملها الزاوية. ثم أرسلوا التذكرة فذهبنا معًا في الموعد المعين. واستقبلونا في مطار الجزائر وأكملوا المعاملات وغيرها وانتظرنا طائرة إلى وهران في صالون الدرجة الأولى واستقبلونا بحفاوة في مطار وهران كما ودّعونا في الجزائر. واستضافونا في (إقامة البهية) وهي دار ضيافة فخمة لأركان الدولة أياما من٢٠ - ٢٠١٠/٨/٣٠م.

الزاوية بنايات واسعة نظيفة إلى درجة تلفت النظر، والنظام والانتظام فيها ساريان إلى حد بعيد، تماما بخلاف ما هو في التكايا والزوايا المعروفة في أماكن أخرى. فضلا عن العلمية الأكاديمية الظاهرة فيها. حيث يبدأ الدرس الأول يوميا بعد صلاة العصر والدرس الثاني بعد صلاة التراويح الذي يقرب من منتصف الليل وينتهي بالواحدة. وبعده نعود إلى الإقامة. كنا فيها في أتم راحة مع أننا كنا نسهر إلى صلاة الفجر نتجاذب أطراف الحديث مع عدد من الأساتذة الضيوف القادمين من أماكن شتى.

وفي اليوم التالي تبدأ مناقشة الطلبة مع المحاضر بعد صلاة الظهر. وكل هذه الأمور تُصوّر من قبل التلفاز الجزائري، القناة الخامسة (قناة القرآن الكريم). وتلتقط الصور بكثرة.

وبعد محاضرة العصر تُعقد جلسة ودية مع الشيخ محمد عبد اللطيف الذي كان كأي فرد من الأفراد يتجاذب أطراف الكلام مبتسمًا مع من حوله من الضيوف الأساتذة القادمين من جهات عدة (من الجزائر والمغرب ومصر والأردن وسوريا ولبنان واليمن وتركيا وإيطاليا وفرنسا). ولدى الإفطار يجتمع الضيوف على مائدة الشيخ في حديقة بيته.

قدمت بحثًا بعنوان (العلوم محاريب إيمان وعرفان) ليلًا بعد صلاة التراويح، وبينت كيف ينظر الأستاذ النورسي إلى العلوم الحاضرة وأن الأنبياء عليهم السلام بمعجزاتهم هم رواد العلوم، ومدى إظهار العلوم لتجليات الأسماء الحسنى في الموجودات. وفي اليوم التالي في الدرس بعد العصر يوم الأحد ١٢ رمضان كانت المناقشة حول الموضوع نفسه بأسئلة جادة مع الطلبة.

وقدم الأخ علي قاطي أوز (النظرة التكاملية بين العلم والإيمان) درسًا بعد يومين (الأربعاء) في منتصف الليل. وبيّن كيف أن النورسي يجمع العلم والإيمان معًا.

والشيء الجميل أن العاملين في الزاوية يتقنون التكنولوجيا بحيث ما أن ينهي المحاضر درسه يُسلّم له محاضرته كاملة مسجلة ومعنونة في قرص كامل.

وبعد انتهاء عملنا في الزاوية استأذنّاهم، ليأخذنا الأستاذ عشراتي في سفرة ليومين إلى (بيّض) وهي مدينته ومدينة إخوته حتى إن اسم أحد الشوارع فيها باسم والده المجاهد، وهي تبعد ٣٥٠ كم عن وهران وتعد بداية الصحراء. نظموا لنا فيها محاضرة في قاعة كبيرة للبلدية بعد صلاة

التراويح غصت بالحاضرين، وكانت حول كيفية العيش في أجواء القرآن الكريم الروحية بدراسة رسائل النور واشترك معنا أحد العلماء من المدينة نفسها ويعمل بالدعوة في غواتيمالا. ثم عدنا إلى وهران. وودعنا مَن في الزاوية، وكان التوديع أيضًا كالاستقبال بحفاوة بالغة. وقبل المغادرة ليلًا ولدى توديعنا الشيخ أخذَنا إلى غرفة أخرى وأهدى لنا درع المشاركة الفاخر وكتبًا عدة من الدروس المحمدية ومجلات علمية ومما تصدره الزاوية. والتقطت الصور التذكارية معه.

كنا نعيش ليل نهار مع العلماء والشعراء. فنرى الكلام يدور على الشعر والمتون ولا ينتهي ونظل مبهوتين أمام قوة الحفظ العجيب لديهم.

ولكن حدث مرة ما لا يتوقع من اغتياب أحد العلماء المشهورين وقدح في فتواه ونحن على مائدة الشيخ، فانبرى السيد الحبيب علي زين العابدين الجفري[(١)] الذي كان معنا وأجاب القادح جوابًا جميلًا منصفًا وبيّن وجه الحقيقة في الفتوى.

بمَ جدّد النورسي؟

في لقاء لإذاعة الجزائر في برنامج فضاء الجمعة في ١/١١/ ٢٠٠٩م أجرى الدكتور يوسف بلمهدي مسؤول الحصة ومستشار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، حوارًا طويلًا معي، أقتطف منه الآتي:

- هل كان النورسي مجددًا؟ وإن كان فما الذي جدّد؟

هذا السؤال في الحقيقة أنا كنت أسأله نفسي كثيرًا أثناء الترجمة

---

(١) من مواليد جدة في ١٩٧١م. أخذ الإجازة من أكثر من ثلاثمائة شيخ في مختلف العلوم ومشارب التربية، وحضر دروساً لعدد من كبار العلماء. له برامج عديدة يبث أغلبها بشكل خاص في شهر رمضان، وتُعرض على مدار السنة على عدد من القنوات الفضائية.

وبعد الترجمة. فكما قال الرسول ﷺ (إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)[1]. وأن الأمة بحاجة إلى تجديد والعصر بحاجة إلى تجديد؛ لكن مع ذلك أين التجديد؟ وكثيرًا ما فكرت في هذا، هل جدد في علم الكلام، هل جدد في الأصول هل جدد في الفقه، هل جدد في التفسير... أين التجديد؟ ثم وقفت إلى شيء؛ هو تجديده في الإنسان؛ أي بتعبير آخر أن رسائل النور تستعيد صياغة القرآن للإنسان فتصوغ الإنسان صياغة جديدة. هو إنسان مؤمن ولكن الإيمان يتحول عنده بقراءة رسائل النور من إيمان تقليدي بارد موروث من الأب والأم، من البيت، إلى إيمان تحقيقي مستند إلى أسس علمية عقلية فطرية منطقية، إلى إيمان له ذوقه وحلاوته، كما قال الرسول ﷺ: (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامَ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً). فإذًا للإيمان طعم، حلاوة، وللإيمان ذوق.

إن سر الفاعلية يكمن فيما يستشعره كلُّ مَن يستمر على قراءة الرسائل، من التغير والتحوّل في قرارة ذاته؛ تحوّلٌ في نفسه، في فكره، بل في كيانه كله، حتى ينعكس على حياته.

وقد مررتُ بهذا التحول بنفسي، كما أفصح لي الكثيرون عما حدث لهم من التحول. وتحريت عن مكمن هذا السر العجيب كثيرا وسألت عنه الكثيرين وما زلت أبحث وأتحرى. وكما لا يخفى ليس سهلًا ذكر ما جرى ويجري من حالات التغير الروحي والتحول الفكري والانقلاب النفسي، إذ لها خصوصيتها لكل فرد، ولكن الميزة المشتركة لدى الجميع:

إن في رسائل النور سرًا عجيبًا كأنها تصوغ الإنسان صياغة جديدة.

---

(١) رواه أبو داود (رقم/٤٢٩١) وصححه السخاوي في "المقاصد الحسنة" ١٤٩.

نعم، إن كل قارئ لرسائل النور بإمعان يشعر ويحس في كيانه بهذه الصياغة الجديدة بل يكاد يلمسها لمس اليد في نفسه وفي روحه وفي قلبه، حتى إنه يرى بعد مدة من المداومة على القراءة كأنه إنسان جديد؛ عالمُه قد تبدل واتسع، نظرتُه إلى الوجود وإلى الأحداث وإلى كل ما حوله قد تجددت، عالمُه الداخلي قد غمره الاطمئنان والسكينة والانشراح ما يذكّر بسعادة الآخرة قبل بلوغها، وعندئذ لا يتمالك نفسه من البوح بهذه المشاعر والجدة في كيانه إلى كل قريب وصديق. وهذا أمر واقع لا شك فيه. ولكن ربما يجد فيه مَن لم يقرأ رسائل النور مبالغة وغلوًا ومدحًا وثناءً على الرسائل أكثر مما تستحق. إلّا أن الشاهد على أحقية هذا الكلام ألوفٌ بل مئات الألوف ممن قرأوا ودرسوا رسائل النور، وليس فقط التركية منها بل حتى ترجماتها العربية والإنكليزية وغيرها من الترجمات. علمًا أن شاهدَين عدلين كافيان لإثبات صدق قضية من القضايا.

فتجديد الرسائل في الإنسان هو أنه لم يأت بجديد في أمر الدين أو ما يخالف الآخرين، بل أجرى عملية جراحية رويدًا رويدًا في فكر الإنسان وعقله وروحه ونفسه وقلبه. فأصبح هذا الإنسان جديدًا ينظر ويفكر ويعايش ويشعر كل شيء من جديد.. وبتعبير آخر أرجعه إلى فطرته فبدأت القابليات المكنونة فيه بالعمل والحركة. وعند ذلك أصبح إنسانًا جديدًا ومتوازنًا. ولهذا اختصر الطريق جدًا. فهو طريق قصير جدًا وفي الوقت نفسه تجري الرسائل عمليات في داخل قارئها دون ألم وجراحات حيث لا يشعر المرء بمرارة التغيير لأنه فطري. وهذا لا يثبت عقلًا ولا برهانًا. بل يشاهَد يقينا ويلمس لمس اليد بتفاعل نفس الإنسان

مع النور. وإذا به يرتقي في المعرفة الإلهية رغم أنه لم يحفظ إلّا القليل من الآيات، ويعايش الرسول ﷺ رغم أنه لا يعرف مصطلح الحديث.. وهكذا. وينظر إلى العلوم الصرفة بنظر إيماني قرآني.

كلما اتسعت رقعة العلم ازددنا معرفة بتجليات الأسماء

بعد أن أكملنا في تلمسان، بالجزائر بجامعة أبي بكر بلقايد، أعمال المؤتمر عن الحضارة في فكر النورسي في أبريل ٢٠٠٩ استضافتني قناة القرآن الكريم الجزائرية، وفي أثناء الحوار، قلت: إن تطور العلوم يوسع رقعة الدين. فأراد الأستاذ الذي حاورني أن آتي بأمثلة، فذكرت من الأمثلة العلمية ما ذكرت، ثم عقبت بما قاله الدكتور طه عبدالرحمن، في العرض الذي ألقاه في منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين في الرباط في ٢٦/١٠/٢٠٠٢م:

"إن تطور العلوم، على خلاف ما يَظُن غيرُنا، لا يضيّق من رقعة الدين، بل يزيدها توسعًا، ولا ينقص من تأثيره، بل يزيده قوةً، ذلك أن العلوم، لما كانت جزءًا داخلًا في بنية الدين نفسها، كانت الأطوار التي تتقلب فيها والتي يفضُل لاحقُها سابقَها، تفتح في الدين آفاقًا معرفية غير مسبوقة وترقى بفهمنا له درجات على قدر هذه الأطوار، بل إنها تتعدى ذلك إلى كونها تجدِّد قدرتنا على التدين وتنوِّع سبُل تحقُّقه لدينا".

ويذهب الأستاذ النورسي إلى أبعد من هذا فيستلهم من ذكر القرآن الكريم لمعجزات الأنبياء عليهم السلام (كما في الكلمة العشرين)، أنهم خطوا بها قمةَ العلوم ونهاية حدودها.

"يبيّن القرآن الكريم أَنَّ الأنبياء عليهم السلام قد بُعثوا إلى مجتمعات إنسانية ليكونوا لهم أئمةَ الهُدى يُقتدى بهم، في رقيّهم المعنوي. ويبين في

الوقت نفسِه أنَّ الله قد وضع بيد كلٍ منهم معجزة مادية، ونَصَبهم روّادًا للبشرية وأساتذة لها في تقدمها المادي أيضًا. أي أنَّه يأمر بالاقتداء بهم واتباعهم اتباعًا كاملًا في الأمور المادية والمعنوية؛ إذ كما يحض القرآنُ الكريم الإنسان على الاستزادة من نور الخصال الحميدة التي يتحلَّى بها الأنبياء عليهم السلام، وذلك عند بحثه عن كمالاتهم المعنوية، فإنَّه عند بحثه عن معجزاتهم المادية أيضًا يومئ إلى إثارة شوق الإنسان ليقوم بتقليد تلك المعجزات التي في أيديهم، ويشير إلى حضّه على بلوغ نظائرها...

نعم، إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدودَ النهائية لأقصى ما يمكن أنْ يصل إليه الإنسانُ في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أنْ تحققه البشرية من أهداف. فهو بهذا يعيّن أبعدَ الأهداف النهائية لها ويحددها. ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها. إذ كما أنَّ الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضًا حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله".

ويخلص النورسي إلى القول:

" إنَّ البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصبّ إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلمُ زمام الحكم والقوة".[1]

(١) الكلمات، الكلمة العشرون ص٢٩٢.

لا مصادفة بل توافق قَدري

ذكر الأخ سعيد اوزادالي الخاطرة الآتية:

كنا مدعوين (أنا وإحسان قاسم) لمؤتمر تنظمه كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بالجامعة الأفريقية أحمد دراية بأدرار- الجزائر في ٣-٤-٥ /١٢/ ٢٠١٢. نزلنا في المطار الدولي للجزائر ولا بد أن نأخذ طائرة في المطار الداخلي لنصل إلى أدرار. وحان وقت صلاة الظهر فتوجهنا إلى المسجد الخاص في المطار. التقينا بشاب جزائري، طلبنا منه أن يكون إمامًا لنا لنغنم أجر الجماعة. فأمّنا جزاه الله خيرًا. وبعد أن أنهينا الصلاة قدم نفسه أنه أستاذ في جامعة، وسألَنا من أين نحن؟ فقلنا: من إسطنبول. فقال: أنا كنت مرة في إسطنبول وحاولت أن أرى إحسان قاسم الذي قدّم موسوعة إيمانية عظيمة وهي رسائل النور إلى العرب، وكنت في شوق إلى لقائه ولكن لم يتيسر لي ذلك، فقلت له: ها هو إحسان قاسم بجانبك. فتعجب من أمر القدر الحكيم، وقال: سبحان الله لم أقابله في إسطنبول وإذا بي ألتقيه في الجزائر! علمًا أنني زرت طالب النور الذي لازم الأستاذ النورسي طويلًا وهو الأستاذ صنغور؟ ولم يكمل كلامه بعدُ حتى رنّ هاتفي وإذا بخبر وفاة الأستاذ صنغور، رحمه الله. فقلنا: وهذا توافق آخر، فأخبرناه به. كان ذلك في ٢٠١٢/١٢/١.

في اليمن

قبل أن أسافر إلى اليمن ذكر أحد الإخوة طُرفة. قال: "إن آدم عليه السلام أُنزِل إلى الأرض ذات عهد، فساحوا به عبر البلاد والقارات فظل

صامتًا لا يبدي شيئًا، فلما انتهوا به إلى اليمن، فرح وصاح: ها قد وجدت أبنائي! إنكم بقيتم على ما كنت عليه!". فدخل الخوف في قلبي؛ إذ كيف سنتواصل هناك؟

فضلًا عن أن أغنية شعبية في تركيا يكاد الصغير والكبير يحفظها، فيها مقطع عن اليمن:

"والذي سبيله إلى اليمن يذهب ولا يعود".

وصدق الرسول الحبيب ﷺ الذي قال (لَيْسَ الْخَبَرُ كالْمُعَايَنَةِ)[1] فحينما زرت اليمن وجدت هناك وسائل الحضارة والأخلاق النبيلة والذكاء والنباهة.

ولما التقينا بالأساتذة اليمنيين سألتهم عن مغزى "عدم العودة من اليمن". قالوا بكل بداهة: لأن الذي يأتي إلينا يجد بناتنا عفيفات حسناوات فيستقر في اليمن، والدليل العملي لهذا هناك محلة العثمانيين.

وقد خصصت مؤسسة السعيد للثقافة والعلوم في تعز، يومًا كاملًا لرسائل النور تحت اسم (دعوة النور في ظلام العصر) وذلك في ٢٠٠١/١/١١م حضره عدد من المسؤولين والعلماء والقضاة وأساتذة من الجامعة. وعقب الملتقى تجولنا في المدينة (تعز) ثم سافرنا إلى صنعاء وتجولنا مع الأساتذة في الجامعة وأدخلونا القاعات الدراسية في كلية طب الأسنان.

وفي مقابلة مع (الأستاذ عبد المجيد الزنداني) رئيس جامعة الإيمان،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧١/١، رقم ٢٤٤٧)، والحاكم (٣٥١/٢، رقم ٣٢٥٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

في ساعة متأخرة من الليل، حدثنا كيف أن العلماء توصلوا إلى أحقية انشقاق القمر بعد الوصول إليه. ثم قال هذه هديتي الأولى لكم وأقدم لكم هدية أخرى:

ذكر تفاصيل كثيرة جدًا عن أن خلق ذرة واحدة من الحديد يحتاج إلى طاقة أكبر من الكرة الأرضية بكذا وكذا. وهذا يؤيد قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد:٢٥).

قلت: أستاذي الكريم! هذا ربما يعد صحيحًا على الحديد، ولكن ماذا نقول: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ (الزمر:٦) فهل الأنعام بحاجة إلى طاقة كذا وكذا.. توقف الأستاذ الزنداني قليلًا، وأسرع أحد العلماء الذي كان بجانبي وأخرج المصحف الشريف الذي عنده وبين موضع الآية الكريمة في (سورة الزمر) وأراها الأستاذ الزنداني، ولم يعقب بشيء. قلت: الأستاذ النورسي يقول:

"إن القرآن الكريم قد قال كلمة "أَنْزَلْنَا" لأجل التنبيه إلى جهة النعمة العظيمة التي ينطوي عليها الحديد والتي لها أهميتها في الحياة. فالقرآن الكريم لا يلفت الأنظار إلى مادة الحديد نفسها ليقول "أخرجنا" بل يقول "أَنْزَلْنَا" للتنبيه إلى النعمة العظيمة التي في الحديد وإلى مدى حاجة البشر إليه"[1]

وودعنا الأستاذ الزنداني وأوصانا: إن كان عندكم من الطلاب الراغبين في الآخرة وليس الشهادة الجامعية أرسلوهم إلينا ندرّسهم في جامعة الإيمان.

---

(١) اللمعات، اللمعة الثامنة والعشرون ص ٣٨٨.

في تشاد

عقدت جامعة الملك فيصل في انجمينا عاصمة تشاد، بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ندوة دولية "عالمية الأدب الإسلامي". ولمدة ثلاثة أيام ٥- ٨ /١٠ /٢٠٠٢م وخصصوا يومًا للأستاذ النورسي.

استضافونا في فندق هلتون. وعقدت الجلسات في قاعة وزارة الخارجية. قدمت بحثي حول "أدب الإيمان عند النورسي"، وكذا قدم الأخ عوني عمر لطفي بحثه "شذرات من أدب النورسي".

وفي أثناء المناقشات، قام أحد الأساتذة وهو (الدكتور محمد خاطر جرمة) وفي يده ورقة صغيرة كتب فيها ملاحظاته ليلقيها على المنصة. فقال: أنا لأول مرة أسمع فقرات من كلام النورسي أوردها الإخوة. ولا أعلم عن هذا الرجل.. ولكن استشف من هذا الكلام أنه يتكلم من عالم آخر.. من الماوراء.. كلامه ليس كلامًا اعتياديًا.. يتكلم عن الإحسان، والنفس الأمارة لا تقبل بسهولة هذا الكلام، فلا بد من مجاهدة النفس.

وعندما عاد إلى مكانه مرّ من أمامي سحبتُ من يده الورقة -واحتفظ بها إلى الآن- إذ كيف أدرك هذا الأمر بسماع بضع فقرات من كلام الأستاذ النورسي.

أدناه نص ما كتبه الدكتور محمد خاطر جرمة تعقيبا على ما سمعه حول رسائل النور:

"إن ما سمعناه من أدب رسائل النور بل لبديع الزمان النورسي لهو

أدب قـد لا يُـدرك ببسـاطة كمـا يقـول سـكاتولين [1] فـي عرضـه لابـن الفـارض؛ لأن العبارة العربية هنا لا تختفي وراء البلاغـة العربيـة، ولكـن تشـق الروايـة لتخاطـب الإدراك. وهـذا الخطـاب لا ينفـع فيـه البصـر ولا السمع لأنه يخاطب البصيرة واللب.

فما لم يستعد الإنسان نفسه استعدادًا خاصًا بحيث يجلي كدر النفس ورعونتهـا ليجعـل منهـا محطـة قابلـة لتلقـي هـذا الخطـاب. ومـا ذاك إلّا الوقوف على أعتاب الشريعة والمحافظة على أوامرها ونواهيها. أو بصـورة أخرى: التدرج في مدارات أو مقامات الـدين الثلاث؛ الإسـلام، الإيمان، الإحسـان، ومنـدرجات كـلٍّ منهـا وهـي التوبـة والاسـتقامة والتقـوى، ثـم الإخلاص والصدق والطمأنينة، ثم المراقبة والمشاهدة والمعرفة".

وفي العاصـمة.. الفقـر واضـح في كـل زاويـة. ومـع هـذا الفقـر المـدقع الـذي ضـرب أطنابـه علـى الـبلاد نجـد الموسـرين أيضًـا. أقامـت لنـا لجنـة الإغاثة السعودية وليمة.. وذكروا بعض أعمالهم هناك وأذكر من أغربها -بعدما أشهدونا بالفيديو بعض المناظر-: أن مراسل قناة الجزيـرة التقـى بـامرأة فقيـرة تحفـر فـي مسـكن النمـل وعنـدما استفسـر عـن سـبب ذلـك، قالـت: أجمع الحبات التي يكتنزهـا النمـل لأعيّش بهـا أطفـالي. وعنـدما شـاهد أحـد الموسـرين فـي السـعودية هـذا المنظـر.. قـال: هـذا لا يمكـن القبول به.. فخصص لجنة لمتابعة الأمر وإذا باللجنة تصل تشاد وتبحث وتجد أن هذا دأب الكثيرين. فخصص الملايين لأهل الاغاثة.

---

(١) المستشرق الإيطالي الأب د. جوزيبي سكاتولين أستاذ الفلسفة والتصوف الإسلامي وأبرز المستشرقين دفاعًا عن الإسلام وحضارته، واهتمامًا بالتصوف الإسلامي؛ وقد كتب كتابات راقية عن ابن الفارض. ويدعو إلى فهم النصوص بحسب مضمونها الحقيقي، لا بحسب أفكار أو تصورات غربية أو أجنبية عنها.

ولكن الشخص الذي ذكرَ لنا هذا أضاف قائلًا: ذهبنا نوزع الدقيق وبعض المواد الغذائية إلى القرى فوصلنا إلى قرية نائية تبعد عن العاصمة خمسمائة كيلومتر ووجدنا الناس يتكلمون عن أتراك وزعوا عليهم اللحم.. فتعجبنا كيف وصل الأتراك إلى هنا ووزعوا اللحم على الناس! ثم علمنا أن هناك مدرسة قائمة في العاصمة تتولى إدارتها توزيع الأضحية في العيد إلى القرى النائية في أكياس خاصة وبإشراف مسؤول من الدولة مختار قرية أو مدير ناحية أو قائمقام.. الخ.

وشاهدنا شبابا وثنيين يهتدون ويعلنون إسلامهم بعد صلاة الجمعة أمام الناس أجمعين..

وعندما تجولنا في السوق رأينا النساء على طرفيها وضعن بعض الحاجات على الأرض ويسعين لبيعها، فحاول الأخ عوني عمر لطفي التقاط صورة لعجوز طاعنة في السن، وعندما شعرت أن هناك من يريد تصويرها غطت وجهها بطرف عباءتها.. يا للحياء المغروز في الفطرة!!

في الفليبين

كانت سفرتنا إلى الفليبين ممتعة جدًا من حيث الخدمة القرآنية. حتى إننا كنا نردد أثناء العودة، هل نحن كنا في حلم أم يقظة. وربما احتاج الأمر إلى شيء من التفصيل بخلاف عادتي.

سافرنا نحن الأربعة أنا والأخ الكبير محمد فرنجي وزوجته شكران واحدة (التي ترجمت كليات رسائل النور إلى الإنكليزية) والبروفيسور فارس قايا إلى (مانيلا) بعد المكوث الطويل في مطار (دبي) إلى الصباح حتى مللنا.

في أثناء مكوثنا الطويل، قرأ الأخ فارس البرنامج الذي سنتبعه في الفليبين. فقال: الساعة كذا نذهب إلى المكان الفلاني، وبعده الجلسة في الموضع الفلاني، وبعده ستأخذنا الطائرة إلى كذا.. وهكذا.. والأخ الكبير محمد فرنجي يستمع بكل دقة وانتباه. وبعد أن أنهى الأخ فارس كلامه، قال له: أتى جمل إلى مدينة طرابزون. واجتمع الناس حوله، وهم لم يروا جملًا من قبل. وقالوا: ربما هذا الشيء علامة من علامات الساعة. لا يعلم أحد منا ما هو، لنذهب إلى إمام المسجد علّه يعلم! فأتى إمام المسجد ودار حول الجمل ثم قال: لا يمكن أن يكون إلّا علامة الساعة، أي القيامة. وركب الجمل وإذا بالجمل يقوم وعلى ظهره الإمام، فنظر إلى الناس وودّعهم قائلًا: ركبتُ العلامة.. أذهب إلى القيامة! أرجو السماح.

فأنت يا أخي برنامجك هذا من هذا النوع، ركبنا العلامة.. سنذهب إلى القيامة. فضحكنا.. وزال الملل.

وصلنا مانيلا بعد قضاء يوم وليلة متعبين. استقبلنا الأخ التركي (أمره) والأخت الفليبينية (سالي) التي اهتدت قبل سنة ونصف السنة. وكانا معنا طوال السفرة. بتنا في الفندق.

استقبلنا صباحا في ٢٠٠٥/١١/١٦م في جامعة الفليبين البروفيسور (ذو الكفل وادي). في قاعة كانت ممتازة ومخصصة لمثل هذه الاجتماعات الني حضرنا لأجلها. بدأت الجلسات بالسلام الجمهوري وقراءة الفاتحة.

استهلت عميدة كلية الدراسات بكلمة الافتتاح. ثم بدأت الأخت شكران واحدة، وتعاقب إلقاء البحوث. ترجم الأخ فارس كلمة الأخ

فرنجي فقرة فقرة وكذلك بحثي الذي كان حول (التعرف والتعارف في ظل الإيمان، النورسي رجل الحوار).

صلينا الجمعة داخل الجامعة في قسم الدراسات الإسلامية. وفي أثناء الغداء تعرفنا على شابتين اهتدتا قبل أسبوع باطلاعهما على الرسائل.. وفي العشاء كنا في بيت إندونيسية من الطبقة الأرستقراطية. اجتمع في بيتها من هذه الطبقة أعالي القوم من الشعبين معا. بدأ البرنامج المقرر بقراءة إحدى المهتديات ترجمة سورة الفاتحة. كانت الجلسة مفيدة من زاوية التعريف بالرسائل حيث قدمت الأخت شكران موجزًا عن حياة الأستاذ ثم بيّن الأخ فارس سبب قدومنا إلى هناك ووجهت إلينا أسئلة لنشارك أيضًا فتكلمنا أنا والأخ فرنجي وترجم الأخ فارس. ثم شرح: ما رسائل النور ولماذا نهتم بها؟ وما وصلنا الفندق إلّا في منتصف الليل.

غادرنا الفندق الساعة الثالثة ليلا إلى المطار. كادت رحلة الطائرة تفوتنا من شدة الازدحام في الطريق وفي المطار.

وصلنا السابعة صباحا إلى مطار آخر. سننطلق منه على بُعد ثلاث ساعات بالسيارة إلى مدينة أخرى تسمى (مراوي) حيث سنبقى فيها يومين. وهي مدينة المسلمين، وبها مساجد كثيرة إلّا أنها فقيرة تبدو عليها مظاهر الإهمال.

مجيؤنا إلى الفليبين كان بدعوة من مسؤولة في وزارة التربية في هذه الولاية الإسلامية حول إعداد كتاب لتدريس الدين الإسلامي. وسبق أن هيأت الأخت شكران مسوّدة في هذا الشأن وأرسلناها إليهم ونحن هنا سنتذاكر معهم ليومين حول المشروع.

كان الطريق متعبا جدًا لكثرة المرتفعات ومراكز التفتيش العسكري المستمر. وكانت المناظر خلابة بمعنى الكلمة.

وصلنا مقر الاجتماع في منداناو Mindanao الساعة العاشرة منهكين حيث لم نأخذ قسطًا من الراحة منذ الثالثة ليلا. فطلبنا أن يسمحوا لنا بساعة لنهيئ أنفسنا.

بدأت الجلسات الساعة الحادية عشرة بتلاوة من القرآن الكريم، ثم كلمة من أحد المسؤولين في التربية.

كانت القاعة مزدانة بأشكال من الزينة الفليبينية. الحاضرون كانوا أكثر من مئتين، والنساء ثلثا الحاضرين. قلدوا كلًا منا نحن الأربعة وشاحًا جميلًا دليلًا على الاستقبال الحافل. احتل الصفوف الأمامية ذوات وذوو الشهادات العالية. والبقية مديرو المناطق ومديراتها أو مدرسات اختصاصيات. جميع النساء محجبات على درجات من الحجاب ومنهن منقبات. قدمت الأخت شكران بحثًا قيمًا حول التوحيد وأعقبه الأخ فارس ببحثه حول الحشر والنشور. أما أنا والأخ فرنجي فقد خصصوا لنا الكلام مع العلماء الذين يتقنون اللغة العربية في جلستين معهم. حضر الجلسات وجلستنا بالذات مفتي الولاية ورئيس جماعة التبليغ هناك وكانا يجيدان العربية. ودار الحديث حول: ماذا غيرت فينا الرسائل؟ ولماذا نهتم بها؟ وما الغاية من مجيئنا إلى هنا؟ وكيف نربي الطلاب بالقدوة أكثر وأفضل من كتب كثيرة ومطولة دون جدوى؟

نهاية اليوم الثاني قدموا لنا الهدايا التذكارية وقدموا للجميع هداياهم ولأطفالهم. واختتمت الجلسات بكلمة طيبة من مسؤولة التربية

والتعليم. وفي الليل ذهبنا إلى بيتها لتقديم شكرنا لها وللتنسيق للعمل على إكمال الكتاب في أقرب وقت ممكن.

في اليوم التالي كان أمامنا سفر لثلاث ساعات بعد صلاة الفجر. المناظر جميلة وأخاذة بين الجبال والوديان فأنت على طول الطريق تسير بين الأشجار الكثيفة لجوز الهند والموز. ووصلنا مدينة (كوتاباتو Cotabato). وبعد الفطور استقبلتنا نساء هن مديرات ومسؤولات لكثير من المنظمات النسوية وانتهت الجلسات بالغداء حيث ألقيت البحوث باختصار شديد. وانطلقنا بالطائرة بعد صلاة الظهر إلى (زمبوانكا).

استقبلنا الأخوة والأخوات استقبال الفاتح. قلدونا وشاحًا خاصًا وكاميرات التلفاز تسجل المشهد، كما أن الصحافة اشتركت أيضًا. أخذنا الإخوة إلى (سلسلة) وهي اسم لسلسلة من المقرات التابعة للكنيسة الكاثوليكية حول الحوار بين المسلمين والنصارى. والمركز عبارة عن غابة جميلة جدًا ومنسقة تنسيقًا رائعًا: فيها مواضع للمبيت وصالات الاجتماعات والمسجد والكنيسة والخ...

في هذه المدينة زمبوانكا مدرسة نورية وأخرى للنساء. الأخ محمد رضا هو الذي يدير الأولى. والأخت الفليبينية (نورينا) هي التي تدير الثانية وهي تكاد تكون فعالية متجسمة ونشاطًا مجسدًا. اجتمع أكثر من عشرين طالبًا من الجامعة بعد العشاء في باحة المدرسة النورية، كانت حقًا جلسة تدخل الطمأنينة إلى القلب.

في الساعة العاشرة صباحًا ذهبنا معا إلى رئيس البلدية وقدمنا له دعوة رسمية إلى المؤتمر. وفعلا أتى في الساعة الواحدة والنصف وافتتح المؤتمر بكلمة جيدة. وتعاقبت البحوث بعد أن قدمت الأخت سالي كلمة الافتتاح وفي الختام قدمت لنا الهدايا واختتمت الجلسات

بكلمة الأخت نورينا. وكانت القاعة غاصة بالمستمعين على اختلاف مستوياتهم. وغادرنا قاعة المؤتمر إلى المطار مباشرة الساعة الرابعة عصرًا ووصلنا إلى مطار إسطنبول في اليوم التالي الساعة السابعة مساء. والحمد لله والفضل والمنة لله وحده.

الموت حق!

في سفرة أخرى إلى الفليبين كان معنا الأخ الكبير عبد الله يكن[1] الذي شاهد الأستاذ النورسي. وبعد انتهاء برنامج المؤتمر دعينا إلى عشاء مع أساتذة الجامعة وعوائلهم. فحضرنا ولكن الأخ الكبير وجد نفسه محشورًا في محفل نسائي سافر إلّا مقدِّمة البرنامج التي كانت محجبة، فرفض أن يتكلم. وقال لي: أنا لا أتكلم. قلت: أتكلم بدلًا عنك. ولما نودي الأستاذ عبدالله يكن ليتفضل إلى المنصة. قال لي: قم. قلت: أستاذي أنت بكلمتين قدّم الشكر والترحيب وأنا آتيك. فصعد المنصة وقال بعد السلام: الموت حق!، وكل حي يدخل القبر لا محالة!... فوجم الجميع وكانت الكلمة بمثابة صرخة معنوية في الحفل. ثم شرح أجناس الناس ودخولهم القبر (كما في رسالة مرشد الشباب) ولم يعد إلى مكانه إلّا بعد أن أنهى الموضوع.

واقترح الأخ الكبير عبد الله يكن، أن يشمل برنامج الجولة زيارة إلى السجون. وفي السجن الأول كانت الزيارة من وراء القضبان ودعا الأخ الكبير لهم بالتركية ودعوت لهم بالعربية، وشاهدنا الدموع تنزل من عيونهم.

---

(١) من مواليد ١٩٢٢ بقضاء آراج التابعة لولاية قسطموني. زار الأستاذ بديع الزمان وهو لمّا يزل طالباً في الدراسة المتوسطة. وكان يسميه بالأخ الكبير لطلبة النور تقديراً له.

وأُخبر مدير السجن الآخر: أن وفدًا من تركيا يرغبون زيارة المسجونين. فهيأ لنا مدير السجن، قاعة للمحاضرات وانتقى من كل ردهة من السجناء ومن السجينات، وألقت الفيليبنية النورية درسًا من رسالة الثمرة وكذلك الأخ النوري الفليبيني عبدالحليم ألقى كلمة من مقتطفات النور. ووزعنا عليهم حلويات تركية وفرحوا بها كثيرًا.

في البوسنة والهرسك

دُعينا أنا والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى وابنه الدكتور توفيق إلى كلية الشريعة في سراييفو بالبوسنة والهرسك في ٣٠ /٨/ ٢٠٠٦م. حيث خصصت يومًا لبديع الزمان النورسي بعنوان (النورسي ودعوته) وبث تلفاز الدولة العروض كاملة مترجمة إلى البوسنية. وافتتحت الجلسات بالقرآن الكريم ثم قدم الأستاذ البوطي عرضه.

ألخص ما ذكره، قال بعد المقدمة:

سأبوح لكم سرًا وهو: أن الدعاة إلى الإسلام كثيرون ويدعون بإخلاص في أحاديثهم وخطبهم وكتبهم والناس يتأثرون بكلامهم، ولكن بمرور الزمن هذا التأثير يقل ويقل حتى يزول. أما كلام النورسي في رسائله فلا يزول تأثيره في القلوب والعقول. والسؤال: لماذا تأثير كلامه لا يزول وتأثير كلامنا يزول؟ هنا السر.

إن كنتم تقولون بإخلاصه فالآخرون أيضًا فيهم مخلصون كثير...ثم قال: أقول لكم الآن ما هو السر؟

نحـن نـتكلم عـن ثمـار الإسـلام فنقـول مـثلًا: انظـروا.. إن الشـريعة الإسلامية لها مزايا كذا وكذا وإن القانون الروماني كذا وكذا فنبين جمال الشريعة الإسلامية. فيتأثر السامعون بكلامنا وبلاغتنا أو أي سبب آخر ولكـن بمـرور الـزمن يتلاشـى. ذلـك لأن الإعجـاب الأكـاديمي بالشـريعة الإسلامية وبفكر الإسلام لا يشدّكم إلى الله أبدًا ولا يملأ قلوبكم بشيء من تعظيم الله ولا يوقظكم إلى علاقاتكم بينكم وبين الله.

أما منهج بديع الزمان الغريب في عصره فهو منهج ذلك المتحرق علـى مـدّ الجسـور التـي تصـل بـين العبـد وبـين ربـه سـبحانه وتعـالى. فالنورسي يتكلم بما في قلبه من حب الله وما في قلبه من عظمة الله تعالى. فكل إنسان محتاج دوما إلى معرفة هذا الحب وهذه العظمة..

ثـم فصّـل فـي الموضـوع إلـى أن قـرأ هـذه الفقـرات من كـلام الأسـتاذ النورسي من كتاب أتى به معه، وفي أثناء قراءته بكى وأبكى الحاضرين:

" يا أحبائي المستمعين لهذه المذكِّرات، اعلموا!

أنـي قـد أَكتـب تضـرّع قلبـي إلـى ربّـي مـع أن مـن شـأنه أن يُسـتَر ولا يُسطَر، رجاءً من رحمته تعالى أن يقبل نُطق كتابي، بدلاً عني إذا أَسكت المـوتُ لسـاني.. نعـم، لا تسـع توبـةُ لسـاني فـي عمـري القصـير كفـارةً لذنوبي الكثيرة. فنطقُ الكتاب الثابت الدائم أوفى لها. فقبل ثلاث عشرة سنة وأثناء اضطراب روحي عارم وفي غمرة تحَوّلَ ضحكاتُ «سعيد القـديم» إلـى بكـاء «سـعيد الجديـد» أفقـت مـن ليـل الشـباب علـى صـبح المشيب فسطرتُ هذه المناجاة باللغة العربية، أوردها كما هي:

يا ربيَ الرحيم ويا إلهيَ الكريم!

قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي، وما بقي من ثمراته في يدي إلّا آثامٌ مؤلمة مُذلّة، وآلام مضرّة مُضلّة، ووساوسٌ مزعجة معجّزة، وأنا بهذا الحمل الثقيل، والقلب العليل، والوجه الخجيل متقربٌ - بالمشاهدة - بكمال السرعة، بلا انحراف وبلا اختيار كآبائي وأحبابي وأقاربي وأقراني إلى باب القبر، بيت الوحدة والانفراد في طريق أبد الآباد، للفراق الأبدي من هذه الدار الفانية الهالكة باليقين، والآفلة الراحلة بالمشاهدة، ولا سيما الغدّارة المكّارة لمثلي ذي النفس الأمارة.

فيا ربي الرحيم ويا ربي الكريم!

أراني عن قريب لبِستُ كفني وركبتُ تابوتي، وودعت أحبابي، وتوجهت إلى باب قبري، فأنادي في باب رحمتك: الأمانَ الأمان يا حنان يا منّان، نجني من خجالة العصيان.

آهٍ.. كفني على عنقي، وأنا قائم عند رأس قبري، أرفع رأسي إلى باب رحمتك أُنادي: الأمانَ الأمان يا رحمن يا حنّان، خلصني من ثقل حمل العصيان.

آهٍ.. أنا ملتف بكفني وساكن في قبري وتركني المشيعون، وأنا منتظر لعفوك ورحمتك.. ومشاهدٌ بأن لا ملجأ ولا منجأ إلّا إليك، وأُنادي: الأمان الأمانَ من ضيق المكان، ومن وحشة العصيان، ومن قبح وجه الآثام. يا رحمن يا حنان.. يا منّان.. ويا ديّان نجني من رفاقة الذنوب والعصيان..

إلهي! رحمتُك ملجئي ووسيلتي، وإليك أَرفع بثي وحزني وشكايتي.

يا خالقي الكريم، ويا ربي الرحيم، ويا سيدي، ويا مولاي.. مخلوقُك، ومصنوعك وعبدك العاصي العاجز، الغافل، الجاهل العليل الذليل المسيء المسنّ الشقي الآبق، قد عاد بعد أربعين سنة إلى بابك

ملتجـأً إلـى رحمتـك، معترفـًا بالـذنوب والخطيئـات مبتلـىً بالأوهـام والأسقام، متضرعـًا إليـك.. فـإن تقبـل وتغفـر وتـرحم فأنـت لـذاك أهـلٌ وأنـت أرحـم الـراحمين، وإلّا فـأيّ بـابٍ يُقصَـد غيـر بابك.. وأنـت الـرّبُ المقصود والحق المعبود. ولا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك.. آخر الكلام في الدنيا وأول الكلام في الآخرة وفي القبر: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ ."[1]

ثم قال: بالله عليكم أيٌّ منا حاسب نفسه هذا الحساب الشديد؟

لا يحمل عطايا الملك إلا مطاياه

قلت للأخ الكبير صنغور ونحن في سراييفو: ما المقصود من كلام الإمام الرباني[2] الذي يستعمله الأستاذ النورسي في المثنوي" لا يحمل عطايا الملك إلّا مطاياه"[3]؟

قال: يعني: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار من يحمّله أعباء دعوته.

---

(١) اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، المذكرة الثانية عشرة ص١٨١.

(٢) "وتفاض العلوم والمعارف مثل فيضان المطر من سحاب الربيع بحيث تعجز القوة المُدركة عن تحملها، وإطلاق القوة المدركة مجرد تعبير، وإلّا فلا يحمل عطايا الملك إلا مطاياه. (المكتوب الثامن عشر من المكتوبات الإمام الرباني تعريب محمد مراد المنزلوي). والامام الرباني: هو أحمد الفاروقي السرهندي (٩٧١-١٠٣٤هـ) الملقب بـ «مجدد الالف الثاني» برع في علوم عصره، وجمع معها تربية الروح وتهذيب النفس والاخلاص لله وحضور القلب.

(٣) فيا أيتها النقطة السوداء الحمقاء إن أفعاله تعالى إنما تليق به وتنظر إليه تعالى، لا بكَ ولا إلى حَوصلتِكَ الضيقة، ولا بنَى هندسةَ الكائنات على هَوَسِك، ولا أشهَدَك خَلقها. ولقد صدق في قوله: "لا يحمل عطايا المَلِك إلاّ مطاياه". المثنوي العربي النوري ص١٦٦.

قال: وأنت كيف تفهمه؟ قلت: جوابكم جميل إلّا أن الموجودين في الواجهة ليسوا المقصودين بحمل أعباء الدعوة. وإنما من يتحمل أعباء الدعوة إلى الله هم أولئك الذين يتعمدون الخفاء ويتجنبون الظهور والرياء في عباداتهم وفي أحوالهم كلها. "الذين لا يكادون يظهر لهم ظل على شاشة الأحداث. أولئك النفر المحتسبون، الذين يعملون بكل دأب وحيطة على تضخيم حساباتهم الأخروية".[1]

قال: وهذا جميل أيضًا.

نحن في دار الحكمة ولسنا في دار القدرة

كنا مدعوين إلى سراييفو في البوسنة والهرسك للتعريف بكتاب "مرشد أخوات الآخرة" للأستاذ النورسي المترجم إلى البوسنية، فاستقبلنا الأخ (أردوغان نيل[2]) في المطار وأخذنا إلى المدرسة النورية، بسيارته المرسيدس القديمة التي كانت تهتز كل جوانبها. فتألم الأخ محمد فرنجي من هذا وقال: يا أخي أردوغان هذه ألمانيا قريبة إليكم على بعد ذراع استبدل هذه السيارة بأخرى مريحة. وأجابه: إن شاء الله. ثم أعقبه محمد فرنجي: الآن أتصل بالأخ عمر في ألمانيا ليهيئ لكم سيارة أخرى. وفعلًا اتصل بالهاتف مباشرة بالأخ عمر وشرح له الوضع فوعد خيرًا.

وفي اليوم التالي قلت للأخ فرنجي: ماذا بشأن السيارة؟ قال: الآن أكلّم

---

(١) رحلة إلى بلاد النور، للأستاذ عشراتي.

(٢) هذا الأخ الكريم كان وسيلة لترجمة كثير من رسائل النور إلى لغة البوشناق بل حتى إلى الفرنسية والإيطالية والبولونية.

الأخ عمر بالهاتف، وكلّمه. قلت: وماذا يقول: قال: يقول نحن في دار الحكمة ولسنا في دار القدرة، تريدون سيارة جيدة في يوم واحد!؟

نعم، والحق معه. إننا مضطرون إلى اتباع السنن الإلهية في ترتيب الأشياء والأمور. وإلّا لا نصل إلى النتيجة قطعًا، فالسنن الإلهية هي شريعة الله في الوجود وهي صادرة من صفة الإرادة الإلهية. "فمثلما يترتب وجود الخبز على أعمال تتم في المزرعة، والبيدر، والطاحونة، والفرن، فإن ترتب الأشياء كذلك يقترن بحكمة التأنّي والتدرج، ولكن الحريص بسبب حرصه لا يتأنّى في حركاته ولا يراعي الدرجات والمراتب المعنوية الموجودة في ترتب الأشياء. فإما أنه يقفز ويطفر فيسقط، أو يدع إحدى المراتب ناقصةً فلا يرتقي لغايته المقصودة".[١]

في سورية

لا شك أن قصب السبق في تعريف الأستاذ النورسي إلى العالم العربي هو للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله حيث أصدر كتيبا في أوائل الستينات بعنوان "سعيد النورسي: فكره ودعوته". ثم نشر محتوى الكتيب نفسه تحت عنوان "أعجوبة الثورة الإسلامية في تركيا" في مجلة حضارة الإسلام سنة ١٩٦١م التي كانت تصدر في دمشق، ثم نشره في كتابه " من الفكر والقلب".

ومن الجدير بالذكر أنه عندما حضر إسطنبول في التسعينات وألقى محاضرة في كلية الإلهيات في جامعة مرمرة، سأله أحد الطلبة عقب

(١) المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون ص: ٣٥١.

المحاضرة ما رأيكم في الترجمة العربية لرسائل النور فقال: "تُطرب العرب وتُرضي الترك".

وكان رحمه الله يذكّرني دوما بترجمة مرافعات الأستاذ النورسي في المحاكم لأن العالم العربي بأشد الحاجة إليها، حتى إنه كرر هذا الكلام في عدد من لقاءاته في التلفازات المختلفة، بل حتى عندما ألقى عرضه أمامنا حول النورسي في مؤتمر (الخطبة الشامية) الذي أقيم في مدرج كلية الهندسة، جامعة دمشق في ٢/٣/ ٢٠٠٨ عقّب كلامه أيضًا بالمطالبة بترجمة المرافعات، فأرسلتُ إليه رسالة خطية باليد وقرأها على الحاضرين ومضمونها:

أن المرافعات جميعها مترجمة في كليات رسائل النور:

فمثلًا: مرافعات سعيد القديم، ومرافعات سعيد الجديد في محكمة أسكي شهر، ومرافعات "مرشد الشباب" بإسطنبول مترجمة كاملة في المجلد التاسع "سيرة ذاتية".

ومرافعاته في محكمة دنيزلي، ومحكمة آفيون مترجمة ضمن الشعاع الرابع عشر في المجلد الرابع "الشعاعات".

هكذا ارتأى الأستاذ النورسي نفسه أن تكون المرافعات متفرقةً بين الرسائل. ولم يجمعها في مجلد مستقل، وكذلك فعلنا.

في النيجر

في المؤتمر الذي أقامته الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة في نيامي، النيجر بعنوان (بديع الزمان سعيد النورسي ومنهجه الإصلاحي) في ٢٠-٢١ /٣ / ٢٠٠٨م رأينا عجبًا. تلك القابلية العجيبة لدى كثير من

الطلبة على قرض الشعر حتى إن ما تكلمناه في عرضنا عن النورسي قام طالب وحوله إلى قصيدة. ومع الفقر الشديد رأينا سخاء وجودًا.

ودعانا مدير المدرسة التركية إلى غداء، فاستجبنا. وقبل تناول الغذاء بادر الدكتور عبد الله بن إدريس ميغا (من الجامعة الإسلامية في نيامي) وسأل مدير المدرسة: أنتم لماذا أتيتم هنا؟ إن كان للربح فأنتم ترون الفقر واضحًا هنا، وإن كان للتبشير فنحن والحمد لله مسلمون ملتزمون بأوامر الله..

فأجابه مدير المدرسة: لا هذا ولا ذاك. نحن جرّبنا في تركيا إنشاء مدارس تجمع الدراسة فيها بين العلم والإيمان معا فيتعلم الطالب الإيمان بالقدوة فعلًا لا قولًا، وفي الوقت نفسه يتعلمون العلم.

ولما رأينا أن هذا المنهج هو الأصلح وقد شاهدنا نتائجه المثمرة في تركيا، أحببنا أن يستفيد منه إخواننا الآخرون، فأتيناكم.

في السودان

الدكتور الشفيع الماحي أحمد، أستاذ الفلسفة في جامعة النيلين بالخرطوم؛ له النصيب الأوفر في التعريف برسائل النور، حيث كانت مراسلاته معنا مستمرة منذ الثمانينات. وكتب مقالات علمية عميقة حول رسائل النور، ومقدمة رائعة لرسالة "أنا" وطبعناها في العراق. وصدر له كتاب "الأمثال في رسائل النور"، "والبعد العقدي في فكر النورسي" وكتب أخرى.

أنقل هنا بضعة أسطر من مشاعره في إحدى رسائله إليّ:

"أخي العزيز إحسان.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. ما سعدت

بشيء في الآونة الأخيرة قدر سعادتي بمعرفتي أنك لازلت عاكفًا على درب المسيرة النورية بالترجمة تارة وبالجمع تارة أخرى، وهي مسيرة مهما قللت من شأنها ستظل بتوفيق الله تعالى من الباقيات الصالحات لأمثالنا، ولك بإذن الله الثواب الجزيل من الله تعالى، ويكفي فقط أنك بعملك هذا قد أزلت الحاجز اللغوي الذي بيننا وبين النورسي".

تكريم د. عبد الحليم عويس

هذا الأستاذ رحمه الله علَم خاص ونجم من نجوم سماء مصر له دور بارز في فسح المجالات أمام رسائل النور. كان يحضر أغلب المؤتمرات لبديع الزمان سعيد النورسي في إسطنبول وماليزيا وغيرها.

أراد رئيس جمهورية السودان (السيد عمر البشير) في الشهر العاشر لعام ٢٠١١م أن يكرم الأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس لخدماته الإسلامية بالوسام الذهبي للعلم والآداب والفنون وهو أرفع وسام في الجمهورية السودانية وهو عبارة عن نجمة من الذهب الخالص، ولا يُعْطَى إلّا للشخصيات التي أَثْرَت الحضارة الإنسانية. فدعاه وأصدقاءه إلى السودان. كنت واحدًا منهم. وكان الأستاذ عويس يعاني من المرض معاناة شديدة. وأحيانا يفقد وعيه. وخُصصت لنا سيارات من الرئاسة تأخذ الوفد إلى أماكن زيارة ضمن برنامج خاص فأكرمَته جامعة القرآن الكريم وذكروا أن له ما يقرب من ستين كتابًا حول الحضارة الإسلامية والتاريخ وأكرمته مؤسسات أخرى في السودان إلى أن حان موعد تكريم

رئيس الجمهورية، فقلده الوسام الذهبي وألقى في حضوره كلمة شكر مع شدة مرضه.

لا تُقرأ الرسائل قراءة الجرائد

ركب معي في السيارة رجل وقور منوَّر المحيَّا وزيّ سعودي. قدّم نفسه أنه كان يتولى مناصب رفيعة في السعودية. وقال: قرأت رسائل النور، قرأت رسالة الملائكة ووصلت إلى نصفها ولم أفهم شيئًا. فقلت في نفسي: لماذا لا أفهم أنا عربي والكتاب عربي؟ إذًا أقرأ الرسالة قراءة خاطئة كما أقرأ الجرائد اليومية. تركت النصف الآخر وبدأت من أول صفحة منها. أقرأ كلمة كلمة وجملة جملة، وبالتركيز. عندها فهمت الرسالة فهمًا تامًا.

فقلت في نفسي: حقًا هذا ما يجعل قارئ الرسائل قارئًا جادًا أولًا، في قراءته لا هازلًا.. أو عابرًا في قراءته. فيهزه الموضوع لأول مرة فيحاول إعمال ذهنه وجمع فكره حول الأمر. وهذا ما تطلبه الرسائل من قارئيها، أي ألّا يقرؤوها قراءتهم للجرائد والصحف.

أليس الأستاذ من أهل السنة والجماعة؟

لقد عقد أول مؤتمر في السودان بجامعة الخرطوم في ٢٠١٠/٢/١٧م تحت اسم (النورسي ومكانة رسائل النور في الفكر الإسلامي الحديث). وأقامت جامعة الخرطوم أيضًا مؤتمرًا في ١١-١٢ /١٢ /٢٠١٢م (دور الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في إرساء قواعد العلوم).

ولما كنا مدعوين في هذا المؤتمر واستضافونا في دار ضيافة خاصة بالجامعة حضر الأستاذ الدكتور محمد مصطفى ونحن على مائدة

الفطور وجلس معي على المائدة وقال: أستاذ إحسان أليس الأستاذ النورسي من أهل السنة والجماعة؟ قلت: بلى. قال: فكيف يقول في كتابه محاكمات عقلية:

"من الأصول المقررة: أنه إذا تعارض العقلُ والنقلُ، يعدّ العقلُ أصلًا ويؤوّل النقل". قلت: أرجو أن تكمل الجملة، وهي: "ولكن ينبغي لذلك العقل أن يكون عقلًا حقًا "[1]، أي إذا كان العقل قطعي الدلالة والنقل ظني الدلالة. ثم شرحت له الأمر بالأمثلة واقتنع تماما. وذكرت له كيف جعل الإمام حسن البنا هذا الأمر الأصل التاسع عشر في أصوله العشرين فقال:

"وقد يتناول كلٌّ من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا في القطعي، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤوّل الظني منهما ليتفق مع القطعي، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار".[2]

وعندما جاء دوره في جلسات المؤتمر وضّح إشكاله كما دار بيننا حول العقل والنقل عند النورسي، ثم عرض موضوعه.

---

(١) صيقل الإسلام، محاكمات عقلية ص ٢٧.

(٢) رسالة التعاليم للإمام حسن البنا؛ الأصول العشرون.

في لبنان

دعانا (أنا وعلي قاطي أوز) الدكتور علي لاغا[1] إلى ملتقى (اللغة العربية إلى أين؟) الذي نظمه مركز الأبحاث والتنمية في جامعة الجنان بطرابلس يومي ٢٤-٢٥/٤/٢٠٠٦م. واستقبلنا في مطار بيروت، وأخذنا بسيارته إلى طرابلس. كان عرضي حول ترجمة رسائل النور. وفي أثناء العرض ذكرت أن الأستاذ النورسي يقول:

"ولو بلغ صوتي أرجاءَ العالم كافة لكنت أقول بكل ما أوتيتُ من قوة: إن «الكلمات» جميلة رائعة وإنها حقائق وإنها ليست مني وإنما هي شعاعات التمعت من حقائق القرآن الكريم. فلم أُجمّل أنا حقائقَ القرآن، بل لم أتمكن من إظهار جمالها وإنما الحقائقُ الجميلة للقرآن هي التي جمّلت عباراتي ورفعت من شأنها".[2]

وقالت لنا رئيسة الجامعة الدكتورة منى[3] عقيلة الأستاذ فتحي يكن: زوجي دائم القراءة من كليات رسائل النور.

---

(١) من مواليد ١٩٤٧م السفيرة في طرابلس الشرق ببيروت، حصل على الدكتوراه في الدراسات الاسلامية ١٩٨٧م. تولى عدة مناصب في جامعة الجنان ببيروت.

(٢) المكتوبات، المكتوب الثامن والعشرون، المسالة السابعة ص٤٧٧.

(٣) الدكتورة منى أحمد جلال الدين حداد، مواليد طرابلس/ لبنان ١٩٤٣م. حائزة على دكتوراه من السوربون في تاريخ الفلسفة الإسلامية.

في إيران

إن أُولى ترجمة لرسائل النور إلى الفارسية هي ترجمة "مرشد الشباب" التي قام بها الأستاذ (محمد طاهر حسيني رحمه الله) [1] وطبعها في إيران. وترجم بعدها " الكلمات " كاملة وطبعتها نشر إحسان بطهران. ثم استمرت الترجمات وكمل عدد من المجلدات.

أول سفر لي إلى إيران كان سنة٢٠٠١م لزيارة معرض الكتاب في طهران الذي عرض لأول مرة رسائل النور بالعربية.

ثم سافرنا مع مجموعة من الأساتذة للاطلاع على المراكز الثقافية واللقاء مع علماء يملكون مراكز بحوث كوقف علي شريعتي ووقف الطباطبائي وغيرهم.

وأقامت جامعة المذاهب الإسلامية بطهران مؤتمرًا حول (العلامة بديع الزمان سعيد النورسي) في ١١/ ١٢/ ٢٠١١م، شارك فيه مسؤولون وأساتذة من إيران وتركيا، وكان موضوع بحثي؛ (مفهوم الجهاد في العصر الحديث عند بديع الزمان سعيد النورسي). وقدم آية الله محمد

---

(١) بعد ترجمته لرسالة "مرشد الشباب" دعوته إلى تركيا فأتى صيفًا سنة ١٩٩٢م وقضينا أيامًا جميلة معه. ولكنه مرض مرضًا شديدًا، وعندما عدته قال لي: لا تخف أنا لا أموت هنا؛ لأن الموت غريباً له درجة وأنا لا أستحقها. كان أديبًا حقاً وصاحب نكتة. زرته في بيته في مدينته سنندج بإيران في الشهر الخامس ٢٠٠١م. واستمرت العلاقة بيننا بالمراسلات لحين وفاته عن عمر ناهز الخامسة والسبعين رحمه الله رحمة واسعة.

علي التسخيري[1] بحثًا قيّمًا رغم مرضه (الإمام النورسي من خلال لمعاته في رسائل النور) مستندا على "اللمعة الرابعة" التي تبحث عن السنة النبوية وأهل البيت. وخلص إلى أن:

"أجمل ما يجده المطالع في أفكاره هذه الموسوعية وهذا الاطلاع على مختلف اللغات وهذا الانفتاح على الفكر الآخر وهذه الدعوة للوحدة والاتفاق وهذا الوله والحب لرسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وصحابته الكرام رضوان الله عليهم".

وأشار السيد هادي خسرو شاهي رئيس مركز الدراسات الإسلامية إلى أنه قد تعارف مع طلاب النور منذ الخمسينات وأظهر وثائق تأييدًا لكلامه برسائل أتته من عبد الله يكن من أورفه وما زال الأستاذ النورسي قيد الحياة. وقد زارنا بإسطنبول في الشهر الأخير لسنة ١٩٩٥م.

وأخذونا لزيارة مدينة قم. وهناك سألني عالم كان يتقن العربية سؤالًا وهو:

نحن دولة إسلامية وشبابنا ينفرون من الدين ويتجهون إلى الإلحاد وأنتم دولة علمانية وشبابكم يُقبلون على الإيمان. ما نظرية النورسي في هذا الأمر؟

قلت: النورسي ليست له نظريات. وإنما القول الفصل في هذا قول الرسول ﷺ: (أَلا وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ،

---

(١) من مواليد ١٩٤٤ م النجف، العراق، يرأس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. يعتبر من الشخصيات الإسلامية الداعية للتوفيق بين السنة والشيعة ومناهضة التكفير داخل إطار العالم الإسلامي بمذاهبه المتعددة.

وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ)[1]. بمعنى أن العلاج يبدأ من الداخل، من القلب. يقول الأستاذ النورسي:

" إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم. وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وانقاذ الإيمان إنما هو النور وإراءة النور. فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز النصر، تدنّى أولئك الكفار إلى درك المنافقين. والمنافق -كما هو معلوم- أشد خطرًا من الكافر وأفسد منه. فصولجان السياسة إذًا لا يُصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقًا".[2]

فأنتم أخذتم الأمر من الخارج ومن الأعلى وتصورتم أن الأوامر تكفي لعلاج المجتمع، بينما النورسي يقول بإصلاح القلب أولًا.

قال: هذا أمر مهم. إذًا لا بد أن نجلس معًا ونناقشه.

في الهند

آثاره ﷺ وسائل محبته

دعتنا جامعة دار الهدى في كيرالا، الهند، وجامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية في المنطقة نفسها، إلى مؤتمر حول بديع الزمان سعيد النورسي (رسائل النور والإسلام في تركيا) في ٢٠١٢/١/٢٩م.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان حديث رقم ٥٠.

(٢) اللمعات، اللمعة السادسة عشرة ص ١٥٨.

أقمنا في جامعة دار الهدى يومين كاملين ودامت المحاضرات والخطب ليل نهار وآلاف من الطلبة. ورأينا منهم الضيافة الكريمة وحسن التوجه لرسائل النور. وبعد انتهاء المؤتمر انتقلنا إلى جامعة مركز الثقافة السنية. فاستقبلونا باحتفال مهيب إذ كان اليوم يوم المولد النبوي الشريف، والمدينة غاصة بالناس الذين أتوا من كل صوب. يكاد المرء لا يجد مجالا للمشي. ففتحوا لنا المجال حتى أوصلونا إلى الجامعة. وفي أثناء المحاضرات أعطيتُ الدكتور حسين محمد الثقافي الأزهري نائب رئيس الجامعة، مجلد "اللمعات" والصفحة التي فيها رسالة الأستاذ النورسي إلى أحد طلبته حول اللحية الشريفة. وعندما قرأها فرح فرحا شديدًا وبدأ يقبّل صفحات الكتاب لشدة الفرح.

وفي الليل وباحتفال مهيب حقًا أُعلن عن وضع الحجر الأساس لبناء مسجد الآثار النبوية. وأُلقيت الكلمات وبضمنها كلمة الدكتور حسين ألقاها بحماس شديد وقرأ رسالة الأستاذ النورسي بكاملها وترجمها إلى الأوردية. والجموع ربما كانوا -كما قالوا وشاهدناها بأعيننا- ما يقرب من نصف مليون شخص والشاشات والمكبرات الصوتية منتشرة في الأرجاء. وكان معنا أساتذة من جامعة دار الهدى استمعوا إلى رأي الأستاذ النورسي في اللحية الشريفة وغيرها من الآثار إنما هي وسائل لمحبته والصلاة والسلام عليه.

ولأهمية الموضوع أنقل الرسالة كاملة.

حول اللحية الشريفة

"تسلمت اليوم رسالة من «السيد رأفت»، ولمناسبة سؤاله عن اللحية النبوية الشريفة أقول: إنه ثابت في الحديث الشريف: أن عدد الشعرات التي

سقطت من لحيته الشريفة ﷺ محدودٌ، وهو عدد قليل، يتراوح بين ثلاثين إلى أربعين، أو لا يتجاوز الخمسين والستين من الشعرات، ولكن وجودَ الشعرات في ألوف الأماكن، استوقفني ودفعني إلى التأمل والتفكر في حينه، فورد إلى خاطري في ذلك الوقت:

أنَّ شعرات اللحية الشريفة الموجودة الآن - في كل مكان - ليست هي شعرات اللحية الشريفة وحدَها، بل ربما شعراتٌ من رأسه المبارك ﷺ، إذ الصحابة الكرام الذين ما كانوا ليضيّعوا شيئًا منه ﷺ قد حافظوا على تلك الشعرات المنورة المباركة -كلما حَلَقَ- والتي تبقى دائمًا، فتلك الشعرات تربو على الألوف وهذا يمكن أن يكون مكافئًا للموجود الحاضر.

وورد أيضًا إلى خاطري: تُرى هل الشَّعرُ الموجود في كل جامعٍ بسندٍ صحيح هو ثابتٌ أيضًا أنه من شعره ﷺ حتى تكون زيارتُنا له مقبولة؟

فسنح ببالي فجأة: أن زيارة تلك الشعرات إنما هي وسيلةٌ، وهي سبب لقراءة الصلوات على الرسول الكريم ﷺ، وهي مدار محبته وتوقيره. فلا تُنظَر إلى ذات الوسيلة، وإنما إلى جهة كونها وسيلة، لذا فإن لم تكن هي شعرة حقيقية من شعراته ﷺ فهي تؤدي وظيفةَ تلك الوسيلة ما دامت تحسب -في الظاهر- هكذا، وتلقاها الناس شعرةً من شعراته ﷺ. فتكون تلك الشعرة وسيلةً لتوقيره ﷺ ومحبته وأداء الصلوات عليه، فلا يلزم السند القطعي لتشخيص ذات الشعر وتعيينه بل يكفي ألّا يكون هناك دليل قاطع بخلافه، لأن ما يتلقاه الناس وما قبلته الأمة ورضيت به يكون في حكم نوعٍ من الحجة. وحتى لو اعترض بعضُ

أهل التقوى على مثل هذه الأمور سواءً من جهة التقوى أو الأخذ بالأحوط أو العمل بالعزيمة فإنما يعترضون على شعرات خاصة، ولو قيل إنها بدعة، فإنها داخلة ضمن البدعة الحسنة، لأنها الوسيلة للصلوات على الرسول الكريم ﷺ.

ويقول «السيد رأفت» في رسالته: «إن هذه المسألة قد أصبحت مثارَ المناقشة بين الإخوان». فأوصي إخواني: ألّا يناقشوا فيما يمكن أن ينجم عنه الانشقاقُ والافتراق، وإنما عليهم أن يتعلموا تباحث الأمور من دون نزاع، وعلى نمط التداول في الأفكار."[١]

مثال الأسبرين

أقام قسم اللغة العربية في جامعة جواهر لال نهرو بدلهي مؤتمرًا عالميًا لبديع الزمان سعيد النورسي بعنوان (العيش بالإيمان والأخلاق في مجتمع متعدد الثقافات) في ١-٢/٢/٢٠١٢م، فألحّ عليّ الأخوة الأساتذة أن ألقي كلمة الترحيب. فقمت وأحد الأساتذة يترجم الكلام إلى الإنكليزية. وبدأت بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد كلمات الترحيب، قلت: سأبين لكم حصيلة تجربتي في ترجمة رسائل النور:

أفرض الآن أنني أصابني صداع. فلا شك سأراجع الطبيب، وأوصاني بحبّ الأسبرين. واستعملتُه وإذا بي أشفى من الصداع بما أودع الله من خواص في مواد الأسبرين.

---

(١) اللمعات، خاتمة اللمعة السادسة عشرة ص ١٤٨.

والآن أسأل هل يمكن أن يقول حب الأسبرين: أنا ألماني وأنت تركي؟ أو أنا أبيض وأنت أسود؟ أو أنا نصراني وأنت مسلم؟ بالطبع لا يمكن أن يميز الأسبرين أحدًا أيًا كان، طالما أنه إنسان.

فإخواني إني وجدت رسائل النور كالأسبرين لكل إنسان، مسلمًا كان أم غير مسلم، تركيًا كان أو عربيًا أو كرديًا أو هنديًا دون تمييز، فخطاب الرسائل إلى الإنسان أيًا كان. فإن كان أحد له صداع مع عائلته فليقرأ رسائل النور، وإن كان له صداع مع الدولة فليقرأ رسائل النور.

فرسائل النور ليست للمسلمين أو الأتراك فحسب وإنما لكل إنسان.

جدول زيارتنا العلمية في سفرنا الثاني

الثلاثاء ١٠ /٤/٢٠١٢م: السفر من اسطنبول إلى دبي. والأربعاء: إجابة دعوة الغداء في بيت الدكتور عبد الحكيم الأنيس[١]. ثم المشاركة في درس بالعربية في المدرسة النورية مساءً، وإجابة دعوة الأخ زياد الإرحيم للعشاء مع الشيخ شيرزاد وأبيه، والمبيت في بيت الأخ زياد والجلسة مع أهله وأولاده. والانطلاق معه صباحًا إلى أبو ظبي لزيارة الدكتور فاروق حمادة في هيئة الشؤون الإسلامية للأوقاف، وزيارة المهندس سردار في شركة النفط. ثم زيارة الدكتور حسن الأمراني في مسكنه في الشارقة.

الجمعة ١٣ /٤/ ٢٠١٢م: السفر من دبي صباحًا برفقة الدكتور عبد الحكيم الأنيس إلى دلهي، والوصول إليها عصرًا، والاستقرار في المدرسة النورية الكائنة في منطقة غفار.

---

(١) رئيس باحثين أول، وعضو هيئة كبار علماء في دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري في دبي.

السبت ٤/١٤: السفر أربع ساعات مرهقة إلى مدينة (ديوبند) لزيارة جامعة دار العلوم التي تعد أقدم جامعة إسلامية في الهند إذ تأسست سنة ١٨٦٦. استقبلَنا وكيلُ رئيس الجامعة وقسم من الأساتذة وقدّمنا مجموعة كاملة من "الكليات" هدية إلى مكتبة الجامعة، وتجولنا في أركان الجامعة وبخاصة في المكتبة الغنية بالمخطوطات التي منها صفحات من القرآن الكريم بخط الملك الصالح أورنك زيب. وفي المساء ألقى كل منا (أنا والدكتور عبد الحكيم الأنيس) محاضرة حول أهمية هذه الجامعة وتاريخها وأهمية رسائل النور وما يمكن أن تقدمه للعلم والإنسان، وذلك في الحفل العام الحاشد في المسجد الكبير. ثم ألقينا درسًا خاصًا لطلبة قسم التخصص للغة الإنكليزية.

الأحد ٤/١٥: السفر صباحًا إلى (سهارنفور) وزيارة جامعة مظاهر العلوم الإسلامية، في سفرة مرهقة حقًا. وألقى كل منا محاضرة على طلاب قسم اللغة العربية في مركز محمد زكريا الكاندهلوي. ثم السفر إلى (تهانه بهون) وزيارة مدرسة إمداد العلوم، ثم بيت وقبر حكيم الأمة أشرف علي التهانوي الذي ألّف ألف كتاب ما بين كبير وصغير في العلوم الإسلامية، ودفن في المقبرة التي وقفها بنفسه لدفن موتى المسلمين. ثم السفر إلى (كاندهلة) لزيارة المدرسة الإسلامية السليمانية وزيارة خاصة للشيخ افتخار الحسن الكاندهلوي، وابنه نور الحسن، وحفيده أبي الحسن الذي كان دليلنا في زيارتنا في هذه المنطقة. وفي المساء عدنا إلى المدرسة النورية بدلهي، وتناولنا العشاء مع ضيفين كريمين ينتظراننا وهما الدكتور محمد أسلم الإصلاحي والدكتور مجيب الرحمن.

الاثنين ٤/١٦: صباحًا زيارة جامعة دلهي، قسم اللغة العربية (رئيس القسم الدكتور محمد نعمان خان). وألقى كل منا محاضرة حول رسائل النور على طلاب الاختصاص (الماجستير والدكتوراه). ثم زيارة جمعية علماء الهند المركزية، ورئيسها. وزيارة قبر الشاه ولي الله الدهلوي صاحب كتاب "حجة الله البالغة" وأبنائه. ثم زيارة إلى الجامعة الملية الإسلامية. ثم العودة إلى المدرسة النورية. وفي الليل زيارة مركز جماعة الدعوة والتبليغ، وإهداء مجلد "الكلمات" إلى الشيخ محمد إلياس الباره بنكوي الذي قضى ١٦ سنة لتحقيق وتخريج أحاديث كتاب (حياة الصحابة) لمحمد يوسف الكاندهلوي، وقرأ لنا من "الكلمات" درسًا. ثم زيارة قبر الشاعر غالب، وأمير خسرو، والولي الصالح نظام الدين.

الثلاثاء ٤/١٧: زيارة القلعة الحمراء التي تعد من الآثار المهمة للدولة المغولية الإسلامية. ثم كلية ذاكر حسين (أول مسلم يتولى رئاسة الهند ١٩٦٧-١٩٦٩م) واللقاء مع عميد الكلية الدكتور محمد أسلم برويز، وتقديم عدد من رسائل النور إلى الكلية. ثم زيارة رئيس قسم اللغة العربية في جامعة نهرو JNU الدكتور محمد أسلم الإصلاحي وتناول الغداء في بيته مع الدكتور مجيب الرحمن. ثم زيارة الكلية، وألقى كل منا محاضرة حول النور على طلبة الماجستير والدكتوراه.

ومما قاله الأستاذ الإصلاحي في تعليقه على المحاضرتين في وصف حبّ الهنود للغة العربية كأنهم مصداق قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا[1]

---

(١) البيت للشاعر يزيد بن الطثرية: شاعر أموي من بني قشير بن كعب، كان شاعراً وأديباً

وكذا قال: ولكن لما شاركنا في مؤتمر في إحدى الدول العربية وجدنا أنفسنا مصداق قول الشاعر:

جُننّا بليلى وهي جُنتْ بغيرنا وأخرى بنا مجنونةٌ لا نريدها[1]

وقد شكر الدكتور مجيب الرحمن الطلاب لحرصهم على الحضور، ووصفهم بأنهم فضّلوا القول على القيلولة.

وبعد صلاة العشاء قمنا بزيارة المدرسة الأمينية في دلهي القديمة الذي كان الشيخ محمد أنور الكشميري من مؤسسيها، وقدمنا بعض الرسائل إلى مكتبتها.

الأربعاء ١٨/ ٤: السفر إلى (لكنهؤ) بالطائرة استغرق ما يقرب من ساعة. والذهاب من المطار مباشرة إلى قرية "رائي بريلي" قرية الأستاذ أبي الحسن الندوي التي توفى فيها ودفن في مقبرة العائلة. ودعونا الله له طويلًا وفاءً لما أمدّنا بكتاباته من معاني الإيمان. وتجولنا في البيت الذي كان يسكنه، ووقفنا أمام السرير الذي انتقل منه إلى رحمة ربه.

وكان دليلنا الأستاذ بلال عبد الحي بن محمد الثاني بن عبد العلي الحسني (وعبد العلي هذا شقيق الأستاذ الندوي). والشيخ بلال يترأس المركز الذي أسسه طلاب الشيخ وذووه في القرية باسم "مركز الإمام

وعرف بحسن خلقه وحلاوة منطقه وحديثه، وكان ذا مال وشجاعة، وله منزلة كبيرة لدى قومه. قتل يوم الفلج في موقعة لبني حنيفة من نواحي اليمامة في عام (١٢٧ هـ، ٧٤٤م).

(١) البيت لقيس بن الملوح أحد بني جعدة بن كعب بن سعد بن عامر بن صعصعة، ويعرف بالأكبر، قيل إنه لقب بالمجنون لحبه ليلى وهيمانه بها وكثرة هذيانه، وذهاب عقله أحيانًا، وأنسه بالوحش في البراري، وله وقائع وحالات عجيبة.

أبي الحسن الندوي للبحوث"، وفيه كل ما يتطلبه البحث العلمي من وثائق ومراجع.

ومما قاله لنا الأستاذ بلال: إن الأستاذ الندوي قد قرأ "الكليات" كاملة وأعجب بها كثيرًا حتى إنه أوصى أحد تلاميذه بترجمتها إلى اللغة الأردية، وكان يقول: أنا أدعو لهذا الرجل كل يوم بعد تلاوة القرآن.

وبعد تناول الفطور ألقى كل منا محاضرة حول رسائل النور على الطلبة في المركز هناك.

ثم انطلقنا إلى جامعة ندوة العلماء واستقبلَنا الشيخ محمد الرابع الحسني رئيس الندوة والدكتور سعيد الأعظمي مدير الجامعة، ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي التي تصدر منذ أكتوبر سنة ١٩٥٥م. وهي أول مجلة باللغة العربية كتبت عن جماعة النور في تركيا وذلك في العدد ٨-١٢ مايو-سبتمبر سنة ١٩٥٨(عدد ممتاز عن الدعوة الاسلامية في العالم) وأهدينا لهم "كليات رسائل النور" كاملة.

وفي المساء ألقى كل منا محاضرة عامة عن حياة الأستاذ النورسي والرسائل وأهمية العلم والدعوة والإفادة من منهج النورسي والندوي، وذلك في الحفل الحاشد في المسجد والذي يقدر بثلاثة آلاف طالب.

ثم زيارة (دار العلوم فرنكي محل) والعشاء عند الشيخ خالد رشيد نظام الدين، وأُهديت له رسائل بالعربية والإنكليزية.

الخميس ١٩/ ٤: قدَّم كل منا محاضرته في قاعتين منفصلتين للمتخصصين في دار العلوم، فقدم الأستاذ عبد الحكيم قواعد البحث العلمي كما في التراث و"محاكمات" الأستاذ النورسي.

أما أنا فقد شرحت لهم منهج الأستاذ النورسي في تفسير القرآن الكريم في مرحلتيه القديمة والجديدة. ثم ذهبنا إلى زيارة قبر العلامة عبد الحي اللكنوي وبيته. ومن هناك كنا على موعد مع الجامعة الموحدة integral التابعة لندوة العلماء التي تدرّس فيها العلوم الحديثة باللغة الإنكليزية، وقدمنا كليات رسائل النور بالإنكليزية إلى رئيس الجامعة.

وقبل أن يحين الظهر تابعنا السيرَ إلى جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في مليح آباد، وألقى كل منا محاضرة على الطلاب في المسجد قبل صلاة الظهر. ثم تناولنا الغداء، ثم عدنا إلى دلهي بالطائرة ليلا.

الجمعة ٢٠/ ٤: السفر إلى مدينة عليكره لزيارة القسم العربي في جامعتها الشهيرة التي أسسها سيد أحمد خان سنة ١٩٢٠م. وألقى كل منا محاضرة على المتخصصين من الطلبة وأساتذة القسم، وقدمنا "كليات رسائل النور" وكتبًا أخرى إلى القسم. وصلينا الجمعة في مسجد الجامعة. ثم عدنا مساء إلى دلهي.

السبت ٤/٢١: الانطلاق إلى المطار صباحا للسفر إلى دبي، ومن ثم إلى اسطنبول. ووصلتُها مساء.

كان الدكتور عبد الحكيم حريصًا على أخذ الإجازة العلمية من العلماء الأفاضل الذين قضوا أعمارهم في تدريس الحديث النبوي الشريف، وقد أجازوه.

وكان حريصًا أيضًا على زيارة بيوتهم التي كانوا يسكنونها، أو قبورهم والسلام عليهم والدعاء لهم. فضلا عن البحث في مكتباتهم عن المخطوطات أو في الأقل اقتناء فهارسها.

وفي الختام فسّر طالب النور الأخ أبو ذر ذلك بالآتي: إن الحصول على الإجازة العلمية وهذه الزيارات نوع من الاستئذان المعنوي من هؤلاء الفطاحل لنشر دعوة النور.

نظير ريح يوسف

لدى زيارتنا لمكتبة جامعة ديوبند في الهند في ١٤/٤/ ٢٠١٢م أخذنا صورة أنا والدكتور عبد الحكيم الانيس أمام لوحة مزججة:

واللوحة عبارة عن منديل كبير من القماش(دسمال) مكتوب عليه شعر بالفارسية الممزوجة بالتركية ولها قصة وهي:

أن الهنود المسلمين تبرعوا بأموالهم للدولة العثمانية في سنيّها الأخيرة وكانت مبالغ ضخمة. وأرسل إليهم السلطان آنذك هذا (الدسمال) الذي كانت تغطى به عباءة الرسول الكريم ﷺ.

فالذي فهمناه من الشعر المكتوب عليه هو: كيف وجد سيدنا يعقوب (عليه السلام) ريح يوسف (عليه السلام) من قميصه وهو في مصر كذلك نجد ريح الرسول ﷺ من هذا القماش لأنه مسّ عباءته.

وترجمه أخونا فاروق رسول يحيى بالآتي:

مثلما شمَّ فيضَ الإحسان ذلك القميصُ الذي يمثل يوسف، (كذلك) قد نال هذا الدسمال (شرف) مسّ عباءة الرسول ﷺ.

تعلموا لغتكم في الهند

أقامت الجامعة العثمانية في حيدر آباد مؤتمرًا حول رسائل النور بعنوان (النورسي رجل السلام) في ٢٠١٣/٢/٤م واللافت للنظر هو جودة استعمال اللغة العربية والنطق بها عند الأساتذة الهنود الذين قدموا عروضهم بعربية

فصيحة بليغة إلى حد شدّ إعجاب الحاضرين. فأبيت من شدة إعجابي بهم إلّا أن أشاركهم في أمرهم هذا بالتشويق وبيان الإعجاب فقمت بعد أن أنهوا تقديم بحوثهم وقلت: يروون عن الزمخشري أنه بعد أن أتم تفسيره للقرآن الكريم (الكشاف) صعد على جبل أبي قبيس في مكة المكرمة وقال: أيها العرب إذا أردتم معرفة لغتكم فتعالوا إلى هنا. وأنا أقول الآن بعد سماعي لهذه اللغة منكم التي كأنها تقطر عسلًا: أيها الناس إذا أردتم تعلم اللغة العربية فتعالوا إلى الهند.

ومن حيدر آباد دعانا السيد سلمان الحسيني الندوي في ٢٠١٣/٢/١٢م إلى زيارة ندوة العلماء بلكنهو وزيارة جامعة الشهيد أحمد بن عرفان الشهيد وقدموا لنا ضيافة كريمة، وفي أثنائها خاطبني:

أنتم مازلتم لم تقدموا ما يستحقه النورسي من أعمال في الهند فلا يكفيها مؤتمر في السنة بل خمسون مؤتمرًا وعليكم أن تؤسسوا معهدًا لتنشئة علماء في رسائل النور. ثم كتب ما يطلبه منا في ورقة وقدمها إليّ وهي محفوظة عندي:

إلى حضرة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي الموقر حفظه الله تعالى

سلامًا مباركًا وتحية طيبة

أدعو لكم بكل خير

أقترح عليكم بمناسبة البرنامج في حيدر آباد أن تعقدوا ندوة عن الإمام سعيد النورسي في دار العلوم لندوة العلماء، ويناسب أن يعقد في شهر نوفمبر لهذا العام.

كما ينبغي إقامة معهد النورسي أو رسائل النور عندنا، حتى يبقى التواصل قائمًا.

وينبغي إقامة دورات تدريبية في مختلف مناطق الهند.

هذه بعض المقترحات لتوسيع نطاق الحركة النورية، وتعريف الشباب المسلم والعلماء بخدمات هذا الداعية العظيم، وإعادة مثل هذه التجربة في مختلف البلاد.

وبارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سلمان الحسيني الندوي

وأقامت جامعة عليكرة العريقة مؤتمرًا عالميًا في ١١-٢٠١٤/٢/١٣م بعنوان (العلم والإيمان والأخلاق في ضوء رسائل النور) دام ثلاثة أيام في قاعتين متوازيتين إحداها للعروض العربية والأخرى للإنكليزية ودامت من الصباح إلى المساء وقُدم خمس ومئة عرض؛ خمسون باحثا من عليكرة وخمس وأربعون باحثًا من مناطق مختلفة من الهند وعشرة باحثين من تركيا والعراق والجزائر والأردن واليمن. وكان عنوان بحثي (قراءة كتاب الكون في منهج الامام النورسي لتفسير القران الكريم)

ما أجمل خلقَها!

بين أيام ١٤-٢٠١٤/٢/١٥م تجولنا في دار ندوة العلماء في لكنهو، ثم قمنا بزيارة إلى جامعة أحمد بن عرفان الشهيد في مليح آباد. وفي تجوالنا في مرافق الجامعة أخذونا إلى مختبر كلية الطب اليوناني فاجتمع الطلاب والطالبات حول الأخ الكبير محمد فرنجي وسألوه: كيف نجعل علومنا

علومًا إسلامية؟ فقال لهم: بشيء بسيط؛ أن تنظروا إلى العلم بالمعنى الحرفي دون الاسمي، وللتوضيح أقول: لا تقولوا للزهرة: ما أجمَلها فالزهرة ما جمّلت نفسها، بل قولوا: ما أجمل خلقَها!، وعندها تتحول جميع العلوم إلى علوم إسلامية تذكّر بالله تعالى.

السيد أبو الحسن على الحسني الندوي

كنت أطالع أواخر سني دراستي في الجامعة وبعدها كتاب "عصر سعادت" بالعثمانية (في ١١ مجلدًا) للعلامة شبلي النعماني (ت ١٩١٤ م) وتلميذه سليمان الندوي (ت١٩٥٣م)، وأعجبت بهذا السفر النفيس، فكتبت رسالة إلى الأستاذ أبي الحسن الندوي أن يقوم بترجمته من لغته الأصلية الأوردية إلى العربية، فهو أفضل من يقوم بهذا العمل. فأجابني في رسالته أن هذا الأمر بحاجة إلى تفرغ وأنا لكثرة أعمالي وأسفاري لا يسعني القيام بالترجمة. وكلّفني أن أقوم أنا بترجمته؛ والأمر يفوقني كثيرا.

ثم التقيت الأخ سعيد الأعظمي الذي حصل على الدكتوراه من جامعة بغداد في "شعراء الرسول ﷺ ". ومن هنا كان اشتراكي في مجلة "البعث الاسلامي" الصادرة في ندوة العلماء في لكنهؤ. حتى إنهم نشروا لي ترجمة قصيدة " أياصوفيا" لعثمان يوكسل في العدد ١١-١٢ المجلد الثاني أغسطس- سبتمبر سنة١٩٥٧م.

وعندما حضر الأستاذ أبو الحسن على الحسني الندوي إسطنبول في صيف ١٩٩٣، حرصت أن ألتقيه في محاضرة يلقيها في مقر "وقف نشر العلم" في منطقة "وفا".

ألخّص ما جاء في المحاضرة لأهميتها:

قرأ الآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ

لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة:١٤٣) وقال: كلما أقرأ هذه الآية الكريمة أتذكركم أنتم. وربما تتعجبون من هذا.. سأبين السبب من القرآن الكريم نفسه. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف:٨٢) فلأجل يتيمين يسخر الله سبحانه الخضر عليه السلام؛ وإذا اعتنى رب العالمين بهذا الجدار لأجل رجل صالح هل سيترك أحفاد مَن خدم الإسلام ستة قرون ورفع رايته خفاقة في أرجاء العالم. فالله سبحانه لا يضيّعكم قط.

ثم بدأ يسرد كم كان حب الهنود للعثمانيين، حتى كانت الأمهات يترنمن بلغة الأردو بأمجاد العثمانيين لصغارهن.. وبدأ يترنم بالأردية بعض الترنمات ثم ترجمها إلى العربية:

"أيها الابن العزيز كن فداء بنفسك وروحك لحماية الخلافة العثمانية".

وفي الختام بدأت الأسئلة من الحاضرين. أذكر منها:

نحن نبني وجنود الدجال يهدمون؟ وكان جوابه لمثل هذا السؤال: ابنوا مدارس.. ابنوا مدارس..

وقام آخر وسأل: هل التقيتم الإمام الخميني؟ قال: نعم مرتين:

الأولى: في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أتى وصافح العلماء وعندما صافحني قال: قرأت رسالتكم "ردّة ولا أبا بكر لها" وكان الأَولى أن تسمى "ردّة ولا أبا حسن لها". قلت: لا، العرب يقولون: قضية ولا أبا حسن لها.

الثانية: في الحرم الشريف: قال: أنا أدعو الله وأنتم أمّنوا. قلنا: نعم. فرفع يديه ودعا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ ولم

يتم الآية، وأنا أتممتُها: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر:١٠) تكرر هذا ثلاث مرات.

وسأل آخر: متى تقوم دولة تقيم شرع الله تعالى، فنحن نبني والدجاجلة يحيكون المؤامرات ويشتد الهجوم على الإسلام؟

قال: وهل تشكّون في هذا؟ آتيكم بالدليل من القرآن الكريم:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إلى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إلى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إلى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:٢٥٩).

فالله سبحانه وتعالى قد أظهر معجزته في حمار فأعاده إلى الحياة، فكيف لا يعيد الإسلام إلى الحياة ألا يظهره في إقامة شريعته الغراء؟

وفي نهاية المحاضرة استأذنته بزيارة خاصة له. قال: تعال غدًا في الفندق الفلاني في الساعة الثامنة صباحًا. وحضرت مع أحد الأخوة في الموعد، كان على سريره يتصفح جرائد إنكليزية. قبّلت يده وكم انشرح صدري بهذا التقبيل، وقدمت له كتابي "نظرة عامة عن حياة سعيد النورسي".. قلب الكتاب ونظر إلى صورة الأستاذ النورسي على الغلاف وقال: نعمت الهدية.. نعمت الهدية.. سأسافر إلى انكلترا للمعالجة ولي محاضرات في أكسفورد وسأتكلم عنه إن شاء الله.

وعندما أُعلن عن المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد

النورسي "تجديد الفكر الاسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي" في ٢٤ - ٢٦/٩/ ١٩٩٥م بإسطنبول، دعوناه برسالة خاصة إلى المؤتمر. وفعلًا أرسل بحثه مع رسالة رقيقة، ونشر البحث كاملًا مع البحوث الأخرى في كتاب مستقل. ولكن مع الأسف قبل أيام من المؤتمر وصلتنا رسالة منه أن ظروفه الصحية تحول دون تحقيق أمنيته في المشاركة للمؤتمر. وما زالت الرسالتان محفوظتين لديّ.

ومرت السنون وإذا بمدير المدرسة التركية في أفغانستان يرسل إليّ رسالة بالفاكس يسأل فيها هل لأبي الحسن الندوي شيء عن بديع الزمان؟ فأرسلت إليه بالفاكس البحث الذي أرسله إلى المؤتمر.

ثم علمت أن السبب في هذا الطلب هو:

أن هذا الأخ أراد أن تُترجَم رسائل النور إلى الفارسية وتُتطبع في أفغانستان، فجمع أساتذة وعلماء وعرض عليهم الأمر، ووزع عليهم مجموعة من رسائل النور. ورأى أن منهم من يعترض على الرسائل. فطلب منهم إعادة الرسائل إليه. ولما استفسروا عن السبب قال: بعضكم اعترض فأنا سأرسلها إلى علماء كل بلد اسلامي، ليبيّنوا رأيهم. فسألهم مَن هو أكبر عالم في أفغانستان وفي باكستان وهكذا يذكر بلدًا تلو الآخر. قال له أحدهم: أيها الأستاذ أرسلها إلى الأستاذ أبي الحسن الندوي، فإذا قال: نعم لهذه الرسائل فلا اعتراض بعده لأحد قطعًا.

ولما وصل إليهم بحث الأستاذ الندوي باشر العلماء والأساتذة كلٌّ يأخذ حظه من الترجمة. حتى أرسلوا إليّ من نتاج عملهم عددًا من ترجماتهم المطبوعة هناك.

رسالة الأستاذ الندوي الأولى (٢٥رمضان سنة ١٤١٥هـ، ٢٦ /١٩٩٥/٢م):

"بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الفاضل المكرم أ. د. فارس قايا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعدُ فإني أكتب هذه السطور والخجل يملأ جوانحي لتأخير وقع في إجابة طلبكم وتحقيق رغبتي بالمساهمة في المؤتمر المنعقد حول العالم الرباني والمسلم الغيور بديع الزمان سعيد النورسي -رح- بمقال أُبدي فيه انطباعاتي ودراستي لأعماله وأفكاره وأؤدي بذلك بعض ما لَه حقٌ على كل مسلم. وإن بعُد مكانه وتأخر زمانه وذلك لموانع أعمالية وصحية ورحلات، وقد وفق الله لتحقيق هذه الرغبة وأداء بعض ما له من حق في الأيام الأخيرة، وأنا مرسل إليكم المقال تقدموه في المؤتمر إذا رأيتموه جديرًا بذلك ومناسبًا للظروف.

وتفضلوا بقبول عذر التأخير وبعض ما وقع من التقصير لأمور اضطرارية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو الحسن علي الحسني الندوي"

وفي رسالة الاعتذار عن المشاركة (١٢ صفر ١٤١٦هـ، ٢٠/٧/ ١٩٩٥م).

"بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الأستاذ الفاضل الدكتور فارس قايا الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نرجو من الله أن تكونوا بالصحة والعافية، وبعد، فقد تلقيت خطابكم المؤرخ ١٠/٦/١٩٩٥ م الذي عرفت منه نبأ وصول البحث الذي أرسلناه منذ أربعة شهور. فالحمد لله على ذلك.

نشكركم على توجيهكم الدعوة إلى كاتب هذه السطور للمشاركة في الندوة العلمية التي تقام في شهر أيلول القادم.

كان بودّي أن أشارك في هذه الندوة التي تدور حول تلك الشخصية الفريدة من نوعها وتعتبر من معجزات الإسلام والتي تركت بصماتها لا على تركيا فحسب بل على العالم الإسلامي كله. وأنا دائما أدعو لها ولرفع درجاتها عند الله كل يوم بعد تلاوة القرآن، كما يسعدني أن ألتقي مع المجموعة الطيبة أمثالكم، إلّا أن ظروفي الصحية تحول دون تحقيق هذه الأمنية. فنعتذر إليكم مع الأسف الشديد.

ندعو لكم وللندوة النجاح في تحقيق أهدافها المباركة والله يرعاكم ويسدد خطاكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

أبو الحسن علي الحسني الندوي ".

والبحث الذي أرسله الأستاذ الندوي إلى المؤتمر، كان بركة لترجمة الرسائل إلى الفارسية، وكذلك كان عدم مجيئه إلى المؤتمر -لحكمة إلهية- بركة لنا وله. وذلك كالآتي:

قبل افتتاح المؤتمر تُرجمت البحوث إلى التركية كي يستفيد منها الحاضرون وغيرهم. ووضعت الترجمات في موضع يتمكن كل مشارك من

تناولها. ولكن الذي حدث هو أن إحدى الجرائد المعادية للإسلام كتبت في اليوم الثاني تحت عنوان "ريح سوداء من الهند"، وقالت: إن بحث الأستاذ الندوي يتضمن تكفيرًا لمصطفى كمال.. وما إن علم الأخ المسؤول هذا الخبر حتى رفع من متناول الناس ترجمة بحث الاستاذ الندوي. وعندما أتى ضباط الأمن للتحقيق في الأمر وجدوا أن البحث غير موجود وأرادوا الأستاذ نفسه وهو أيضًا غير موجود، وقال لهم الأخ المسؤول: إنه لم يأت للمؤتمر قطعًا، والجريدة تنشر خبرًا مختلقًا غير موجود أصلًا. ورجعوا والحمد لله، وهكذا غدا بحثه بركة واعتذاره بركة.

ولقد أفدنا أيام شبابنا بفضل الله تعالى من قراءة كتب أستاذنا الفاضل، وربما لم نترك كتابًا من كتبه بالعربية أو المترجمة إليها وحصلنا عليه إلّا قرأناه والحمد لله أولًا وآخرًا. وكنا نتابع مقالاته على صفحات مجلة "المسلمون" الصادرة في سوريا ثم في جنيف.

***

في البرازيل

كنا وفدًا مؤلفًا من الأساتذة يونس جنكل وألب أسلان آجق كنج وإبراهيم أوزدمير والسيد نبيل الباز وخاقان كولرجه، فانطلقنا إلى البرازيل يوم ٢/١١/٢٠١٥م. وفي صباح اليوم التالي التقينا أعضاء مؤسسة اتحاد المؤسسات الإسلامية في البرازيل. وبعد التجوال في شعب المؤسسة عقدت جلسة مطولة استغرقت أربع ساعات للتفاهم

على نقاط أساسية في التعاون بين المؤسستين وفي التعريف برسائل النور في أمريكا اللاتينية عموما.

وفي يومي الأربعاء والخميس ٤-٥/ ٢٠١٥/١١م فتحت أكبر جامعة في البرازيل Sao Paulo أبوابها لرسائل النور في مدينة Riberio Preto، بندوة علمية تحت عنوان " الإيمان والفكر الاجتماعي بما يليق بالكرامة الإنسانية: بمنظور رسائل النور". دامت الندوة يومين، واللافت للنظر أن القاعة ليس فيها إلّا بضعة أشخاص لا يتجاوزون العشرة، فتعجبنا ثم زال العجب عندما علمنا أن العروض تنقل بالقناة التلفازية الخاصة للجامعة TV USP إلى العالم باللغات الثلاث البرتغالية والإنكليزية والعربية.

* * *

اكاديميون شباب

تعقد مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم في كل سنة مؤتمرًا عالميًا للأكاديميين الشباب الذين يحضّرون للحصول على شهادات في الماجستير أو الدكتوراه في رسائل النور من جامعاتهم. ويشارك فيه عدد من الأساتذة للمناقشة والتوجيه. وقد شاركت بفضل الله تعالى في جميعها. وأقيم المؤتمر السابع منه في ٢٧-٢٠١٥/٧/٣١م.

وأنقل هنا رسالة وصلتنا من إحدى المشاركات من الجزائر أنقلها كما هي، فهي تلقي الضوء على أهمية هذه الجلسات العلمية والأخوية:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أستاذي الكريم! والدي الفاضل أنا الطالبة حورية بن سعدي من الجزائر. آسفة على عدم التواصل من قبل لعدم توفر الإنترنت. أكتب لك هذه الرسالة العاجزة النابعة من القلب والروح؛ كلمات يمليها الواجب ويرحب بها العقل. لا أملك من عبارات الشكر إلّا الدعاء، فقد انتحرت كلُّ الكلمات لعدم قدرتها على التعبير، لذلك أدعو الله لك بدوام الصحة والعافية والعمر المديد في خدمة الدين الإسلامي الحنيف ورسائل النور وأن يكون مقامك بجانب رسول الله ﷺ تشرب من كفيه الشريفتين شربة هنية مرية لا تظمأ بعدها أبدًا ومع أستاذنا النورسي رحمه الله، فالمرء يُحشر مع من أحب.

سيدي الكريم لقد كان حضوري للملتقى وانتسابي للأساتذة ومجالستي إياهم ولطلبة النور شرفًا كبيرًا ومسؤولية أكبر هو حلم تحقق ولله الحمد. لقد حوّلني هذا الملتقى إلى ميلاد جديد سعيد نُقلت به إلى حياة يغمرها الخير ويملأها الأمل وتغشاها السكينة وتحفها الرحمة، حياة الرضا والأمن والأنس حياة القناعة والاطمئنان واليقين حياة مليئة بالسرور والبهجة والانشراح، حياة الحب والألفة والمودة.

أستاذي: ما تعلمناه كان عظيمًا وما قدمتموه لنا كان أعظم: العلم، المحبة، التواضع، الإخلاص، الأخوة، الخدمة، ليس ثمة كلمة "أنا " في قاموسكم بل فقط هو "الآخر"، تتفننون في استضافته. فجزاكم الله عنا كل الخير وأعاننا على تكملة هذا المشوار المبارك. سأهدي هذه الأخلاق النورية إلى كل من أعرفهم؛ وأولهم نفسي ثم أسرتي ثم مجتمعي ثم الجيل الذي أدرّسه وإن توفاني الله في هذا العمل فكفاني ذلك شرفًا.

أستاذي الفاضل لقد وجدت نفسي التائهة بينكم فانبعثت إليكم وانقادت نحوكم وصارت واحدة منكم ولم تفارقكم رغم فراق البدن؛ منذ لقائي بكم ودّعت الحزن وهجرت الهمّ وفارقت منازل الكآبة وارتحلت عن خيام اليأس. بدأت بداية نورية حقيقية أطالع كل فجر رسائل النور بعد قراءة الورد اليومي؛ هذه القراءة الجديدة جعلت أيامي سعيدة بلا ارتباك بلا ملل.

سيدي وأستاذي ووالدي أذهلني كل شيء قدمتموه لنا: معاملتكم، لطفكم، رقتكم، محبتكم، أخوتكم، تواضعكم، لغتكم، صفاء قلوبكم، قدسية أماكنكم، طهارة أرواحكم. وكأني دخلت جنة الدنيا تلك الجنة

التي لا أريد الخروج منها ما حييت، والله على ما أقول شهيد. في هذه البلدة الطيبة المباركة حيث يرقد جثمان أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه حيث المساجد في كل صوب وحدب تستشعر توحيد الله مع نسمات الهواء نحس بأنفاس أستاذنا النورسي تلامس أنفاسنا. بكلماته بمكتوباته بلمعاته بتربيته التي تأصلت في طلبة النور جيلا بعد جيل سواء داخل تركيا أو خارجها، فبوركت يا بلد الفاتح من السلف إلى الخلف. حين رأيت "بورصة" بدأت جوارحي تسبّح الخالق قبل لساني وما أخرس لساني وشل عقلي وأسر روحي ذلك الجمال الروحي لأهلها، وللعاملين على الوقف، يحار اللسان بأي لغة ينطق، فجزاكم الله كل الخير وأثقل ميزان حسناتكم.

وفي الختام -ولولا الإطالة لما ختمت- أكرر شكري الذي لا تعبر عنه الكلمات وربما تستشعره في أنفاسي بين الكلمات فعهد عليّ يا والدي أن أسير في هذا الدرب ما حييت وأنتظر بفارغ الصبر إنهاء رسالة الماجستير لأتخصص في أسماء الله الحسنى واسم الله الأعظم من خلال رسائل النور في الدكتوراه وذاك هو حلمي إن شاء الله فأحتاج إلى الدعاء ودعم أساتذتي الأفاضل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ابنتك حورية بن سعدي من الجزائر

(٢٠١٥/٩/٣٠)

* * *

الندوات العالمية لمترجمي رسائل النور

انعقدت في إسطنبول ٢٧-٣١ /٨/ ٢٠١٢م أول ندوة عالمية لمترجمي رسائل النور، حضرها مترجمو رسائل النور من أكثر من خمسين دولة من دول العالم والذين قاموا بترجمة رسائل النور إلى لغاتهم، تناولوا فيها خبراتهم ومساعيهم في ترجمة هذا السفر النفيس.

ولما جاء دوري في المشاركة بيّنت أن ما قمنا به من ترجمة رسائل النور إلى العربية ليست جديدة، بل الأستاذ النورسي كان يحث على ترجمتها إلى العربية مما دفع الملا عبد المجيد "شقيق الأستاذ النورسي" إلى ترجمة بعض الرسائل الصغيرة إلى العربية، كما أن الاستاذ النورسي أرسل منها إلى الشام ومصر بغية ترجمتها إلى العربية. فنحن نسير في الدرب الذي فتحه الأستاذ النورسي. ثم وضحت شيئا من مشاعري أثناء القيام بالترجمة.

جانب من مشاعري لدى ترجمة الرسائل

إخوتي الأعزاء!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اسمحوا لي أن أبيّن لكم شيئًا من مشاعري لدى ترجمة الرسائل.

ربما لا يعد إطنابًا إذا ما ذكرنا شاعرية روح الرسائل ووجدانية انسيابها، ورشاقة صورها وأخيلتها، وعمق أفكارها ودقيق معانيها وسمو مصدرها، وهو القرآن الكريم.

والذي أريد أن أضعه أمامكم بصدق وإخلاص هو عِظَم الأمر الذي يستخدمنا فيه المولى الكريم. فله الحمد وله المنة.

أقول عن نفسي والله شاهد على ما أقول أنه:

لولا عنايته الكريمة ورعايته الشاملة لما كنت أجرؤ على القيام بترجمة مؤلَّف بهذا العلو في الأسلوب والعمق في المعاني، فأنّى لي القدرة على القيام بها وأنا لم أزاول الترجمة من قبلُ ولا باع لي في الأدب ولا في اللغة.

ولكن العجز الذي كنت أشعر به في نفسي والضعف الذي كنت أحسه في قابليتي، أصبحا شفيعين لدى الرحمة الإلهية الواسعة التي التجأت إليها، فما إن توجهت بفضل الله إلى خدمة القرآن الكريم برسائل النور، حتى هيأ المولى الكريم من كل جانب من يمدّ إليّ يد العون، مدّها إخوة أفاضل جزاهم الله عنا خير الجزاء. سواء بالتصحيح أو التشذيب والإرشاد والتوجيه. فهذا يقوم بتبييض مسودات الترجمة وآخر يخرّج أحاديثها الشريفة، وآخر يأخذها إلى من يُشار إليه بالبنان في الأدب أو اللغة لينظر إلى أسلوبها وسلاستها، وآخر يصححها لغويًا.

وهكذا، إذا أراد الله شيئًا هيأ له أسبابه، فظهرت الترجمة بفضله وكرمه، ليست ترجمةً حرفية يُقصد بها الأمانة وحدها ولا ترجمةً حرة يُقصد بها الإبانة فحسب، بل ترجمة أصيلة خالية من اللكنة الأعجمية وافية بالمعنى، حتى أثنى عليها الكثيرون ممن يشهد لهم باللغة والأدب قائلين

إنها: "ترجمة لا يحس معها الإنسان بأن شخصا ثالثا يقوم فعلا بينك وبين النورسي، وهو المترجم".[1] والفضل لله أولًا وآخرًا.

التشرب الروحي

إن الذي لمسته في أثناء الترجمة، أن المترجِم مهما كان حاذقًا في فنّه، ورصينا في أسلوبه وثريا في مخزونه اللغوي، لا يقدر على بلوغ المعاني المقصودة من المترجَم له إلّا إذا تشربت روحُه وانشرح صدرُه وقلبه بالمعاني والأفكار التي يقوم بترجمتها. إذ يؤثر هذا التشرب الروحي والانشراح القلبي في القارئ أكثر من تأثير الألفاظ الجميلة والجمل الرنانة.

وهكذا فالالتجاء إلى قدرة الله بالعجز والضعف الإنساني، والتواصل الروحي والقلبي مع المترجَم ضرورة من ضرورات الترجمة. أما صياغة الألفاظ والمعاني فهي تأتي مسرعة بقدر ذلك الالتجاء والتواصل المعنوي.

وأختم كلامي بأجدى نصيحة قدّمها لي أحد الإخوة (وهو الأستاذ سامي علي جاسم من الموصل) قائلا:

إنك يا أخي تقوم بعمل جليل وهو تفسير للقرآن العظيم يُعرَض على الله جل وعلا، فلا تكتب شيئًا من دون وضوء. والتزمت بفضل الله بنصيحته طوال فترة الترجمة التي استغرقت إحدى عشرة سنة من السنين العجاف التي قضيناها في العراق، تلك هي سني الحروب المتتالية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) الدكتور حسن الأمراني، في كتابه " النورسي أديب الإنسانية".

وعقدت الندوة العالمية الثانية لمترجمي رسائل النور في مدينة بورصة في ١٦-٢٠/٩/٢٠١٣م ودامت أربعة أيام.

ثم عقدت الندوة الثالثة في ٧-٩/١١/٢٠١٥م في مجمّع مركز البحوث العلمية في أسكدار، إسطنبول ودامت الندوة ثلاثة أيام متوالية.

واشترك فيهما أكثر المترجمين القادمين من أنحاء العالم، وأُلقيت كلمات قيمة حول الترجمة وأهميتها وضرورتها وما ينبغي مراعاته في ترجمة رسائل النور بالذات. ودامت المناقشات ساعات طوالًا... وقدم الأستاذ فاروق رسول يحيى كلمة جامعة حول الترجمة تحت عنوان (الترجمة الجيدة: معالم وخطوط أساسية) وزّعت على المترجمين ونشرت كاملة في العدد الثالث عشر من مجلة "النور للدراسات الحضارية والفكرية". وفي الختام قدم الطلبة الأوائل للأستاذ النورسي هدايا تذكارية للمترجمين.

وقدمتُ ملاحظاتي على شكل نقاط أساسية ووزّعتْ على المترجمين مع ترجمتها بالإنكليزية.

ما يراعى في ترجمة الرسائل

١) إخلاص النية لله، لأن الترجمة ستعرض عليه يوم يقوم الأشهاد.

٢) الشعور بالعجز المطلق والاعتماد على قدرة الله المطلقة.

٣) قراءة المادة قبل الترجمة عدة مرات. والأفضل قراءة الكليات أو في الأقل قراءة السيرة الذاتية، وبلوغ التشرب الروحي للمادة.

٤) الاعتناء بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من حيث ضبط الشكل والتخريج.

٥) عدم التقيد بحرفية النص. واستعمال ما يفهمه القارئ من الأسماء وغيرها مع عدم إطلاق العنان للترجمة بالمعنى.

٦) الحفاظ على المصطلحات المنطقية والأصولية وتمييزها عن معناها اللغوي وإيضاحها في الهامش إن أمكن.

٧) الحفاظ قدر الإمكان على صيغة الجملة؛ استفهامية، تعجبية، إنكارية ...الخ

٨) توضيح ما يمكن أن يُعترض عليه.

٩) التثبت مما قد يجهله المترجم ومحاولة الوصول إلى المصدر.

١٠) وضع تعريف ميسر لكل ما يرد في النص من أعلام أو مواقع وغيرها.

١١) تمييز حواشي المؤلف عن حواشي المترجم، مع الاهتمام بعلامات الترقيم.

١٢) إشراك أكبر عدد ممكن من المصححين والمنقحين.

* * *

الورشات

أقامت مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم عدة ورشات علمية، وطبعت بحوث كل ورشة في كتاب مستقل ليستفيد منه الباحثون:

سوف نذكر بعض الأمثلة:

- في ٢٦-٢٨/٧/٢٠٠٥م أقيمت ورشة علمية أولى (**النورسي والتصوف**) شارك فيها أساتذة كرام:

من سوريا: أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي، ود. محمد توفيق رمضان البوطي، ود. محمود أبو الهدى الحسيني.

ومن المغرب: أ. د. مصطفى بنحمزة، وأ. د. حسن الأمراني، وأ. د. فريد الأنصاري.

ومن مكة المكرمة: أ. د. عمر الجيلاني، و د. محمد موسى الشريف.

ومن الجزائر: أ. د. عمار جيدل.

ومن بلغاريا: أ. د. تزافيتان ثيوفانوف.

ومن العراق: أ. د. محسن عبد الحميد.

ومن إسطنبول: أديب إبراهيم الدباغ.

تناولوا هذا الموضوع من جميع نواحيه، ثم جمعت بحوثهم في كتاب تحت اسم "الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي".

ووصل الأساتذة الباحثون إلى خلاصة مهمة هي:

"أن السر يكمن في هذه الإشراقة الروحية التي كانت تتوهج بها حياة الأستاذ النورسي.. لقد كان هذا الوهج هو الروح السارية في رسائله وكلماته، وكان مَعِينه متمثلًا في ذلك الجهاد الخفي الذي كان يأخذ به نفسه، مراقبةً لله، وذكرًا دائمًا له، والتجاءً إليه بالأسحار، وملازمة للأوراد التي تصفّي القلب في البكور والآصال.. وإنه للجهاد القدسي الذي كان في صدر الإسلام مسمىً لا اسم له، ثم غدا اليوم اسمًا لا مسمى له".

وفي ٥-٦/٨/٢٠٠٦م أقيمت ورشة (**البعد الأخروي في رسائل النور**): شارك فيها أساتذة كرام:

من تونس: أ.د. عبدالمجيد النجار و د. محمد بوزغيبة.

ومن الأردن: أ.د. محمد زكي محمد خضر.

ومن الجزائر: أ.د. عمار جيدل.

ومن المغرب: د. خالد الصمدي و د. محمد جكيب.

ومن سورية: د. محمود أبو الهدى الحسيني.

ومن العربية السعودية: د. برهان محمد إدريس و د. محمد إسماعيل الزين.

ومن العراق: د. آزاد سعيد.

ومن الهند: د. نسيم أختر الندوي.

ومن إسطنبول: أديب إبراهيم الدباغ.

- أما في٣٠-٣١/٧/٢٠٠٨م فقد أقيمت ورشة (**المنهجية في رسائل النور**)، شارك فيها أساتذة كرام:

من العراق: ا. د. عماد الدين خليل.

ومن الجزائر: ا. د. عمار جيدل و ا. د. سليمان عشراتي ود. محمد بلبشير.

ومن المغرب: ا. د. سعيد شبار و ا. د. عبد الكريم عكيوي ودة. حبيبة ابو زيد.

ومن سوريا: ماهر الهندي.

ومن النيجر: د. كنان ميغا و د. علي يعقوب.

ومن بوركينا فاسو: د. بوكاري كندو.

ومن تركيا: ا. د. محمد خليل جيجك، وأديب إبراهيم الدباغ.

وفي خلال الجلسات ذكر أحد الأساتذة: إن القرآن الكريم كان يوجه الرسول ﷺ ثم أعقبه بجملة وهي: وعندما كان يخطئ يصحح له، فانبرى له من كان بجنبه: يا أستاذ نحن الآن في جلسة حول رسائل النور، فهل ذكر فيها الأستاذ النورسي أن الرسول ﷺ أخطأ؟

وتدخّل أستاذ آخر: نعم، الرسولﷺ معصوم في نبوته لكنه بشر.

وهنا تدخل رئيس الجلسة الأستاذ الدكتور عبد الكريم عكيوي وبصوت عال ضرب يده على المنضدة وقال: أين تذهبون يا إخواني، الرسولﷺ كله شرع لنا سهوه وغيره. أليست سجدة السهو شرعًا لنا ونعمة علينا.

الديباجة

كانت الديباجة التي كتبها الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله رحمة واسعة هي الآتية:

"إن هذه الورقة لا تسعى إلى دراسة المنهجية في كليات رسائل النور بمعناها الأكاديمي المحض، ولكنها تسعى إلى محاولة استبطان الروح المعنوية الكامنة فيها، والتي بها تم بناؤها وإنشاؤها. أو بعبارة أخرى إن هذه الورقة تحاول أن تكتشف المسلك الخفيّ الذي سلكه الأستاذ النورسي في استخراج حقائق الإيمان من القرآن الكريم، وبثِّها في الناس خُلُقًا حيًّا يمشي على الأرض ويجدد الحياة! وكيف جعلها سدودًا منيعةً ضد الكفر والإلحاد.

إن المنهجية بالمعنى الذي نسعى إليه، هي الطريقة الوجدانية الذاتية التي جعلها النورسي مسلكًا له إلى الله، ومعراجًا يرتقي عبر مدارجه إلى سماء القرآن. فلذلك لا يمكن توظيف الدرس الميتودولوجيّ الحديث metodology في مقاربة رسائل النور إلّا على سبيل الاستئناس. إذ الفرق بين الأمرين كبير جدًّا؛ فبينما الميتودولوجيا المعاصرة تفرض على الباحث أن يشتغل بأدواته في النص لكن عقله وقلبه متعاليان خارج النص؛ فإنّ المنهجية النورية لا تُفهَم إلّا بالاندماج الوجداني والاتحاد الذوقي بالنص! لسبب رئيس، وهو أن هذه الرسائل مسلك ديني تعبّدي، والتعبديات لا تُفهَم على حقيقتها إلّا بممارستها، والاندماج في مسلكها. وهنالك فقط تتجلى للباحث المسالك المنهجية التي سلكها صاحب الرسائل في الوصول إلى حقائق الإيمان".

* * *

دورات النور

فكرة الدورات انبثقت من الأخ الأستاذ صلاح الدين محمد بهاء الدين الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكردستاني في العراق ففي إحدى زياراته إسطنبول، قال لي: نحن لكثرة انشغالنا بالأمور السياسية دبّ فينا داء هزال الروح، لنرسل إليكم وفدًا من قادة المراكز عندنا ليمكثوا بينكم ويستلهموا من رسائل النور، لعل الله سبحانه يعيد حالتهم الروحية إلى صحتها الفطرية.

فأتى الوفد الأول في ٢٨ /٥ إلى ٦/٨/ ٢٠٠٦م وكان مكونًا من اثني عشر شخصًا، وألّف مسؤولهم الدكتور عمر عبدالعزيز كتابًا باسم: كشتيكى نورانى (رحلة نورانية) باللغة الكردية وطبع في مؤسسة آرا للإعلام، ٢٠٠٨م، السليمانية، العراق.

ثم أعقبه الوفد الثاني وأعقبه وفد النساء.

وبعد مضي أكثر من سنتين بدأ الإقبال على رسائل النور بشكل منظم بقصد التعمق فيها. وتوافدت أفواج تلو الأخرى إلى مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم. ونلخصها على النحو الآتي:

الوفد الأول كانوا ثمانية أشخاص من التربويين من بغداد بقوا ضيوفًا على مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم ثمانية أيام. وبعدما قرأوا مواضيع

من رسائل النور بعمق ورأوا طلاب النور وخالطوهم؛ نقلوا مشاهداتهم إلى معارفهم كلٌّ في مدينته، وبهذا اتسع نطاق الطلب للمجيء والالتحاق بدورة أخرى. فاضطر المنظمون في المؤسسة إلى وضع جدول أعمال خاصة بالدورات، لئلا يكون هناك أي تضاد في المواعيد.

الخلاصة: تقاطرت الطلبات للالتحاق بالدورات هذه. ويمكن أن نختصرها بالآتي:

عدد من الدورات من شمالي العراق من إقليم كردستان؛ السليمانية، حلبجة، أربيل، دهوك، عقرة، زاخو.. وهكذا.

عدد من الدورات من بغداد والموصل والبصرة وديالى والحلة والناصرية وتكريت والرمادي؛ فيهم أساتذة جامعات، وأئمة مساجد، والتدريسيون، وطلاب دراسات عليا، محامون، طلاب جامعات، موظفون..

دورتان من الأردن، فيهم أساتذة جامعات، وموظفون، ودراسات عليا.

دورتان من المغرب، لأساتذة جامعة ابن زهر بأكادير.

دورة لأساتذة كونتور من إندونيسيا.

دورة لطالبات دراسات عليا من جامعة دار السلام الإندونيسية.

المنظمون في المؤسسة لا يتدخلون في اختيار الملتحق بالدورة؛ لذا كان الوفد يضم أحيانًا أساتذة جامعات، وأحيانا أئمة مساجد، وأخرى تقام للمدرسين والمهندسين، وهكذا.. وأخرى للنساء الأكاديميات وهكذا.. حتى أصبحنا لا نتمكن من إحصاء عدد الدورات.

ولا شك أن جدوى الدورات لا ينحصر على الجانب العلمي في دروسها المستخلصة من رسائل النور ولا في مذاكراتها المفيدة، بل

يتعدى ذلك إلى زيارات ولقاءات، ومشاهدات ميدانية بين طلاب النور، ولكل منها جدوله الزمني وبرنامجه الخاص.

الخطوط العامة لمنهج الدورات

المقامة في مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

عنوان الدورة:

الحياة في أجواء إيمانية حية

(انطلاقًا من الحديث الشريف)

حديث أبي هُرَيْرَةَ قال: (كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم بارزًا يومًا للناسِ فأَتاه رجلٌ فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمنَ بالله وملائكتِهِ وبلقائِهِ وبرسلِهِ وتؤمن بالبعثِ. قال: ما الإسلامُ؟ قال: الإسلامُ أن تعبدَ اللهَ ولا تشركَ به وتقيمَ الصلاةَ وتؤدِّيَ الزكاةَ المفروضةَ وتصومَ رمضانَ. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبدَ الله كأنك تراهُ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: متى الساعةُ؟ قال: ما المسئولُ عنها بأَعْلَم مِنَ السائل، وسأُخبرُكَ عن أشراطِها؛ إِذا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذا تطاولَ رُعاةُ الإِبِلِ البَهْمُ في البنيان، في خمسٍ لا يعلمهنَّ إلّا الله ثم تلا النبيُّ صلى الله عليه وسلم (إِنَّ اللهَ عنده علم الساعة) الآية: ثم أدبر فقال: رُدُّوه فلم يَرَوْا شيئًا فقال: هذا جبريل جاءَ يُعَلِّمُ الناسَ دينَهم). متفق عليه.

والهدف يتلخص في:

- ✓ كيف نجعل القرآن حياة لحياتنا؟
- ✓ وكيف نستشعر معية الرسول الكريم ﷺ؟
- ✓ وكيف يمكننا العيش في أجواء تجليات الأسماء الحسنى؟
- ✓ وكيف ننزل أدعية الأنبياء عليهم السلام في واقع حياتنا؟

✓ وكيف نستحضر الآخرة؟

الموضوعات

✓ بسم الله رأس كل خير (الكلمة الأولى).

✓ ما هو القرآن الكريم، وما تعريفه؟ كيف نرى جمال القرآن؟ -القاعدة في الرد على الشبهات-حكمة التكرار. (الكلمة الخامسة والعشرون).

✓ التعرف على شخصية الرسول المعنوية ﷺ =كيف ننظر لأحداث السيرة؟ - اليد المباركة - آثاره ﷺ وسائل محبته - مرتبة النبوة ومرتبة الولاية - السنة النبوية نور. (المكتوب التاسع عشر).

✓ العيش في تجليات الأسماء الحسنى، اسم القدوس نموذجًا. (اللمعة الثلاثون).

✓ الحقائق تستند إلى الأسماء الحسنى. معجزات الأنبياء عليهم السلام المادية دعوة للاقتداء بهم (الكلمة العشرون).

✓ مع مناجاة الأنبياء الكرام (سيدنا يونس وسيدنا أيوب عليهما السلام). (اللمعة الأولى والثانية).

✓ الإيمان بالآخرة: الحضور الأخروي. (الكلمة العاشرة).

✓ دساتير عامة: الرسائل من فيض القرآن - الحقائق وحدها هي التي تتكلم- لِمَ لا تؤثر نصائح الوعاظ في الناس؟ - التصوف في العصر الراهن - انظر إلى السلف من قرب - لطمات الرحمة وصفعات الشفقة - الحق يعلو - دساتير في الأخوة والإخلاص.

* * *

ختام مسك

أرسل أخي الحبيب نجدت رحمه الله رحمة واسعة رسالة حول "المنهجية في رسائل النور" ولم يتمكن في وقته من المشاركة في الورشة، أنقل رسالته نصًا وليكن ختام مسك ودعاء خالصًا له:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحو منهجية تربوية في فكر النورسي

تُستقرأ النظريات والفلسفات من مسلماتها الأساسية وفرضياتها المعتمدة، وصولاً إلى محتواها الفكري وتطبيقاتها العملية، وتختبر الفرضيات والمبادئ بمعيار حجم التطبيق وإمكانية التطبيق في الحياة، فالنظرية التي تفقد إمكانية التطبيق تفقد مصداقيتها، ولا تحتفظ إلّا بتسلسلها التاريخي في مسيرة الفكر الإنساني، والشواهد على ذلك كثيرة.

وإذ كنا أمام مدرسة حياتية لها فكر ذو نظرية متكاملة للحياة تبدأ من حيث انتهى الفكر الوضعي، وتتلمس آفاق الكون الفسيح بقدر تعمق أقدامها في أرض الواقع والحياة. إنها مدرسة وفكر وسلوك.

ولعلها تختلف عن بقية المدارس الفكرية في كونها تبدأ بالبناء من السلوك ولا تنتهي إليه إلّا بقدر ما يغني البناء ويقوي أركانه.

بدأت بفرد ذي نظرة (أخرى) للحياة والكون، لم ينظر إلى الكون إلّا بمنظار الحياة الإنسانية ولا إلى الحياة إلّا بمنظار الكون، فكانت التكاملية والشمولية صفتي هذه النظرية.

لم يخاطب العقل دون العاطفة ولا العاطفة دون العقل. بل خاطب الطبيعة البشرية كما خلقها الله بما فيها من عاطفة وعقل وضمير ومنطق.

وبدأ بنفسه بعقل سلوكه وتقويم تصرفاته وتعديل نظراته إلى الأمور، من خلال حقائق إيمانية ثابتة، إيمانًا منه بأن حقائق الحياة إنما تقاس بالحق المطلق والحقيقة المجردة والمحسوسة من مصدر الخلق والتكوين، وكأنه أوجد الصلة بين حقائق الخلق وصور التكوين.

فكان السلوك بداية تكوين الفكر ومن ثم تهيئة الأفكار لمدرسة فكرية ذات قوام يتميز بالتكاملية والشمول.

ولعل صفة أخرى مهمة يمكن أن تضاف إلى هذه المدرسة وهي (المرونة) والقدرة على التكيف المستمر مع حركة الحياة لسبب بسيط هو أنه ينهل المعرفة من مصدر العلم وينهل العلم من مصدر الحقيقة وينهل الحقيقة من المصدر الحق.

فهل استقرأ أم استنتج؟

لا يهم السؤال بقدر ما يهم الجواب، وهو أنه كوّن أو شكّل صيغةً جديدة في السلوك وفي التعامل مع الحياة، وهذه هي حقيقة التربية.

...

٢- التربية لها أهداف وأغراض ووسيلتها الأساسية هي التعليم، وعملية التعلم هي محورها، ولا يُعرّف إلّا بأنه (تغير في السلوك) وما لم يحدث التغير في السلوك فلن يحدث التعلم.

إذن إذا حدث تغير في السلوك فقد حدث التعلم (أيًا كان صور السلوك) فكريًا أو عقليًا أو جسديًا أو معرفيًا...الخ.

وحيث إن الأستاذ النورسي بدأ بنفسه (مغيرًا سلوكه) فقد أحدث التعلّم قصدًا وقسرًا في نفسه وبدأ معركة الجهاد النفسي مرورًا بالإرهاصات التي تتبعها أو تعقبها وصولًا إلى وضع قواعد لترصين السلوك، مستلهمًا هذه القواعد من حقائق الإيمان ونور القرآن وهدي السنة النبوية.

ولذلك فقد امتلك الوسيلة والغاية فحقق الهدف.

إن الكثيرين من الناس ممن يتعرضون لانقلاب حقيقي في سلوكهم ويغيّرون مجرى حياتهم أو تتغير مجريات حياتهم بحكم عوامل متعددة. ولكن شخصا لم يتعرض للانقلاب بل عرّض نفسه للانقلاب بعد إرهاصات نفسية حقيقية، ولم يكتفِ بهذا الانقلاب بل درس أسبابه وعوامله واستوعبها ثم استرجعها لهدي الآخرين بعد أن تكشفت له أن هذا المسار هو المسار إلى الحق وأن الروح والمادة خالقهما واحد وراسم خطيهما في الحياة واحد أحد وأنهما يعملان معًا فيؤثران في الكائن دونما منافسة أو تمايز بينهما في التأثير والأثر، بل يتميزان في التناسب والمظاهر.

وبدأت نظرته إلى الحياة وإلى الإنسان وإلى المسلم تتفتح وتتسع لينظر إلى الإنسان ليس بوصفه جسدًا بعضه القلب بل قلبًا غلافه

الجسم. وأن ابتعاد الإنسان عن روحانياته بحكم ضيق أفق المادة وسيطرتها على الحياة الدنيوية، كان سببًا في ركود الروح وخبو جذوته مع أن جذوة الروح تحمل قدرة الاتقاد باستمرار.

وهكذا وجدنا النورسي يلفت النظر إلى الروح وإلى الإيمان وإلى كل ما أهمله الإنسان في مسيرته الحياتية السائرة نحو المصير الواحد إلى الجنة أو إلى النار.

فكيف الإنقاذ إذًا؟

هل يتم بالوعظ أم الترغيب أم بالترهيب أم بتوسيع المعرفة أم....

أبدًا، فقد بدأ بالتربية مستعينًا بالتعليم الهادئ الهادف. واضعًا تجربته الفردية الشخصية الغنية محكًا للاحتكام ومعيارًا للقياس، دونما قسر للآخرين في الاتباع، عارضًا الحالة تلو الحالة والتجربة تلو التجربة على الملأ، فمن شاء ارعوى ومن شاء امتنع أو انسحب.

ثم نأتي إلى التعليم لنقف عند ثلاثة أسئلة مهمة تمثل أساسًا لكل تعليم وهي:

لماذا نعلّم؟

ماذا نعلّم؟

كيف نعلّم؟

لنستنتج بأن أية عملية تعليمية لا بد أن تتوافر فيها (الأهداف) ثم (المادة أو المنهج) ثم (طريقة التواصل). وهي التي تمثل محور الأسئلة الثلاثة.

ففي رسائل النور والكلمات واللمعات والإشارات.... تجد أنها كانت (غائية) (وهادفة) ولم تكن (هائمة في الهواء) أو عفو الخاطر بل كانت مدروسة ذات غاية. ثم تردف كل رسالة بمحتوى مناسب للمقام (وقد يأتي محتوى مشابه في رسائل أخرى ولكنه يناسب مقامًا آخر) فلا تكرار في المعاني والأهداف وإن ظهر التكرار في المثال أو الشواهد.

أما طريقة التواصل فهي مستمرة في الحديث والكلام والمتابعة والمراقبة والنصح والتلميح والتصريح، في عمل متكامل لا يصدق عليه إلّا كونه (حياةً) كاملة ونسيجًا متآلفًا بين الهدف والوسيلة والطريقة.

...

٣- ماذا على المربي أن يقوم به في سبيل وضع منهجية لدراسة فكر الأستاذ النورسي بتدرج متعاقب ومتوازن دون الركون إلى الانتقائية في الدراسة (مع عدم انتفائها عند الحاجة).

المنهج في الفكر هو الصلة بين المبادئ والحقائق والنتائج (نتائج في الفكر ونتائج في الحياة) ولئن كان الأستاذ يستلهم من نور القرآن مبادئه وحقائقه ويتوقع منهما نتائج ثم يلمسها لمس اليد في السلوك، فإن هذا المنهج لم يعد وضعيًا بل هو رباني مبارك بحكم الاستناد إلى القرآن والسنة.

ولكن، كيف السبيل إلى برمجته، ليكون منهاجًا وضعيًا للأجيال القادمة. وينبغي هنا أن نقف عند ما يأتي:

١- إن رسائل النور كتبت بأسلوب ذي خاصية معينة، ففيه ما يخاطب الخاصة والصفوة من المفكرين، وفيه ما يخاطب العامة ويناغي

الفطرة والعاطفة، وفيه ما يخاطب الصغار بوصفهم اللبنات الأولى في بناء الحياة.

٢- إن رسائل النور لم تُكتب لتدرس في مرحلة واحدة أو تدرس على شكل كتب معينة تبدأ بالأول لتنتهي بالأخير، وذلك لأنها رسائل لتقويم الحياة وتربية النفس وبناء العاطفة والعقل.

٣- إن رسائل النور أثبتت جدارتها في التربية الحقيقية للنفوس وفي تغيير نمط الحياة للكثيرين ممن نسغوا أو ارتشفوا من منهلها، فهي إذًا ليست في مقام التقويم بل في مقام البرمجة والتحليل.

٤- إن رسائل النور لا تختص بعلم دون علم، بل هي ترسي الأساس للانتهال من المعرفة الحقيقية ومن مصادرها المتكافئة دون مظاهرها المتقاطعة.

وعندما نجد أن هذه الرسائل وهي نتاج جهد إنساني ومباركة إلهية واضحة، إنما تمثل حاجة إنسانية في الوقت الحاضر وبادرة ظهور لمعات إنسانية إسلامية بعد أن خبا نور الإيمان في القلوب وانحسر الدين والإيمان عن مسرح الحياة، وبدأت الحياة الإنسانية تكشف عن عجزها في تفسير الكون ودور الإنسان فيه مكتفية بالنظريات والفرضيات التي تخطئ وتصيب.... الخ.

في هذا العصر يمثل هذا الفكر حاجة إنسانية وحاجة إسلامية أيضًا وهذا مبرر واضح لاقتراح منهجية لدراسة هذا الفكر خدمة للأجيال المسلمة التي تنتظر الانتهال.

...

المحتويات